Abū Ḥayyān.

/Dīwān/

ديوان
أبي حيان الأندلسي

تحقيق

الدكتور أحمد مطلوب الدكتورة خديجة الحديثي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الطبعة الاولى

١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩

مطبعة العاني ـ بغداد

عِداتي لهم فضْلٌ عليَّ ومِنَّةٌ

فلا أَذْهَبَ الرحمنُ عني الأَعاديا

هُمُ بحثوا عن زَلَّتي فاجْتَنَبْتُها

وهم نافَسُوني فاكْتَسَبْتُ المعاليا

أبو حيّان

مكتبة

أبي حيان الأندلسي

١ ـ من شعر أبي حيان الاندلسي . جمعه وحققه الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي (بغداد ١٩٦٦) .

٢ ـ ديوان أبي حيان الاندلسي . تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي (بغداد ١٩٦٩) .

٣ ـ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لابي حيان الاندلسي . تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي (قريبا) .

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

أبو حيان الأندلسي أحد الأفذاذ الذين خلدهم التاريخ بأسفارهم العظيمة ومؤلفاتهم النافعة ، كان مفسراً كبيراً ونحوياً بارعاً واستاذاً قديراً شهد له ائمة عصره وزها بعلمه تلاميذه وأصحابه . وقد اشتهر بالنحو حتى كاد هذا العلم يطغى على علومه الاخرى وفنونه المختلفة ، وكان اذا ذكر اسمه قيل : « أبو حيان النحوي » .

وحينما شرعنا باصدار « مكتبة أبي حيان الاندلسي » كان أول ما فكرنا به جمع شعره المتناثر في الكتب ، وقد تيسر لنا ذلك وبلغ ما جمعناه أربعاً وتسعين قصيدة وموشحاً ومقطوعة ، وسميناه : « من شعر أبي حيان الاندلسي » ؛ لاننا كنا نؤمن بأنَّ هذا ليس كل شعر الرجل ، وبأنَّ ديوانه الذي أشار اليه القدماء لابدَّ أنْ تظهره الأيام . وقد صدق ما توقعناه فما ان أنتهينا من طبع شعره حتى عثرنا على ديوانه ، وهو من المخطوطات النادرة التي عُثِرَ عليها في مكتبة « وزان » بالمغرب ، وحفظت صورتها في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في القاهرة . وكان هذا أملاً عظيماً رفَّ بعد أن يئسنا من العثور على الديوان ، وأمنية طالما داعبت أحلامنا منذ عهد بعيد .

وديوان أبي حيان الجديد في مائة وسبع وثمانين صفحة من القطع المتوسط ، وقد كتب بخط مشرقي واضح ولكنه لا يخلو من تصحيف وتحريف ، وفيه مائتان وتسع وأربعون قصيدة ومقطوعة بحثنا عنها في

المظان القديمة فلم نعثر إلا على تسع وعشرين منها ، أما القصائد والموشحان والمقطوعات الأُخر التي ذكرناها في « من شعر أبي حيان » فلم نجد لها أثراً في الديوان ، ولعل جامعه أسقطها لسبب من الأسباب او غفل عن ذكرها لأمر من الأمور •

ولم يكن من الاخلاص في العمل ان نهمل هذا الشعر الكثير الذي فيه الجيد والرائع ، وفيه الموشحان اللذان خلا منهما الديوان ، فالحقناه ليكون تكملة للديوان الذي يطبع أول مرة •

وبعد أنْ تمت مطابقة شعر الديوان بما وجدناه في الكتب ، وبعد أن خَرَّجْنا ما عثرنا عليه ، قمنا بتعريف الأعلام الواردة فيه ، وشَرْح الألفاظ الغريبة وهي قليلة ، لانّ شعر أبي حيان من السهل القريب ، وهو شعر يمثل القرنين السابع والثامن الهجريين وهما قرنان جنح فيهما الشعراء الى اللغة الواضحة والتعبيرات الشائعة مما لا يحتاج الى تنقير في كتب اللغة أَوْ كَدّ للأذهان •

وكان لابدّ أن تسبق الديوان مقدمة ضافية تترجم لأبي حيان وتلقي ضوءاً على شعره ليطلع القارىء على سيرة هذا الرجل الفذ ويعرف سمات شعره وفنونه • وبذلك ضم كتابنا الذي نخرجه اليوم ثلاثة أقسام :

القسم الأول : تحدثنا فيه عن سيرة أبي حيان وشعره •

القسم الثاني : ديوان أبي حيان •

القسم الثالث : تكملة الديوان •

وبعد ، فهذا هو الكتاب الثاني من « مكتبة أبي حيان الأندلسي » نقدمه للباحثين وعشاق الأدب ، واللهَ نسأل أن يوفقنا في اخراج الكتب الاخرى ، انه سميع مجيب •

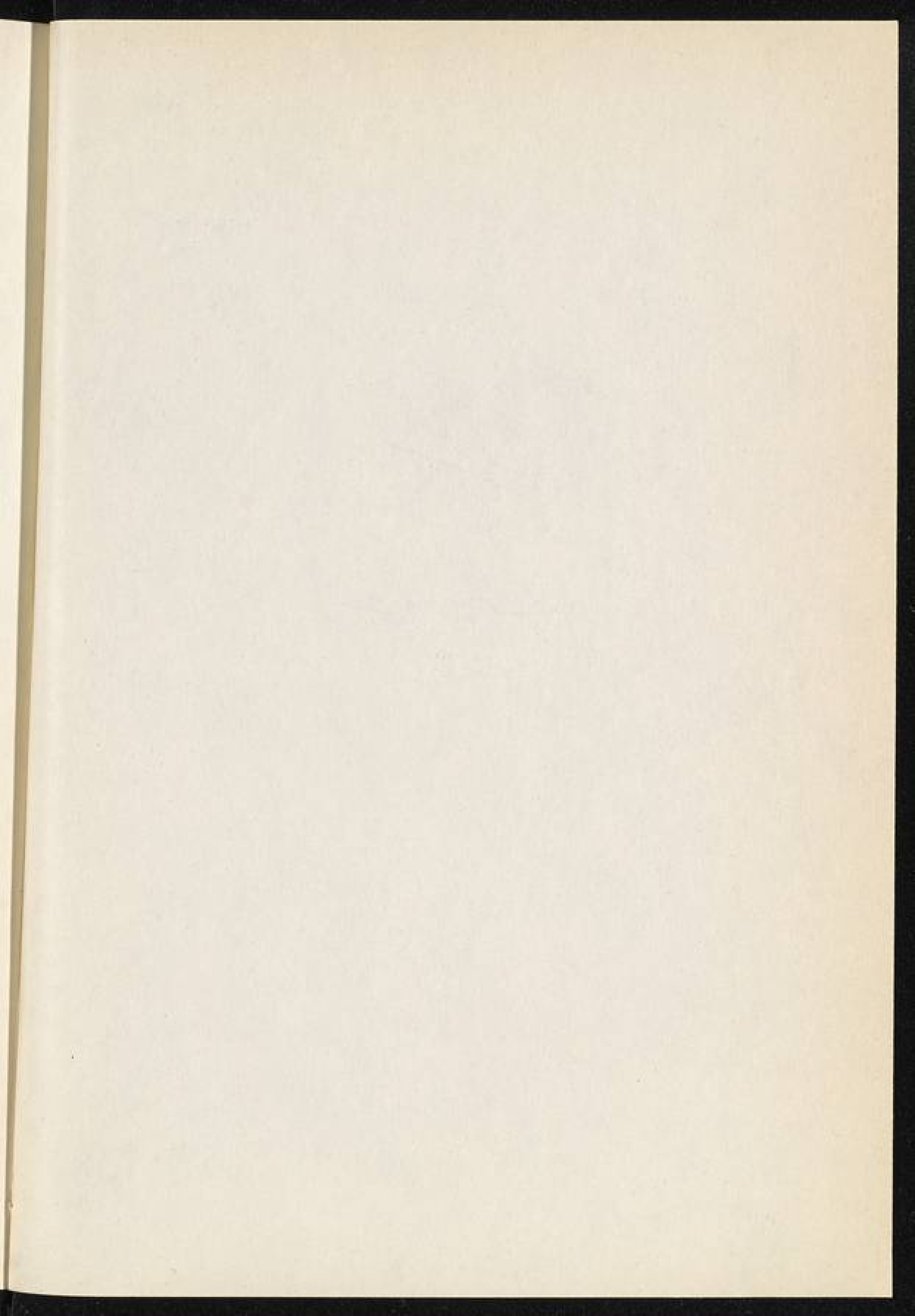
الدكتور احمد مطلوب
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الجمعة ١٣ شوال ١٣٨٨هـ
اول كانون الثاني ١٩٦٩م

أبو حيان

حياته وآثاره

وشعره



الفصل الأول

أبو حيّـــان

للدكتورة خديجة الحديثي

حيــاته :

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي ، أثير الدين أبو حيان الاندلسي الجياني النفزي[1] .

ولد في غرناطة ، ولكن بعضهم يذكر انه ولد في « مطخشارش[2] » . ويبدو ان مطخشارش ليست مدينة مستقلة بذاتها ، وانما هي حي من أحياء غرناطة أو ضاحية من ضواحيها ، يقول المقري مناقشا الصفدي : « وما ذكره - رحمه الله تعالى - في موضع ولادة أبي حيان غير مخالف لما ذكره في الوافي انه ولد بغرناطة . الا ان قوله : « بمدينة مطخشارش » فيه نظر ،

---

(١) ينظر الوافي بالوفيات ، وأعيان العصر واعوان النصر ج٧ ، ونكت الهميان ص ٢٨٠ ، وغاية النهاية ج ٢ ص ٢٨٥ ، والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٢ ، وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٠ ، وتاريخ ابن الوردي ج٣ ص٣٣٩ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٥ ، وطبقات الشافعية للاسنوي ص٩٧ .

(٢) ينظر اعيان العصر ج٧ ، وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٠ ، وطبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٢ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٥ .

لانه يقتضي انها مدينة ، وليس كذلك وانما هي موضع بغرناطة ، ولذا قال الرعيني : ان مولد أبي حيان بمطخشارش من غرناطة » • وهو صريح في المراد ، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه ، على أنه يمكن ان يرد كلام الصفدي لذلك[1] » •

ومهما يكن من شيء فلم يكن لمطخشارش أثر في ابي حيان ، ولم يعلَق به اسم هذه المدينة أو الضاحية ، وبقيت غرناطة عالقة باسمه حتى اليـوم •

وكان مولده في العشر الاخير من شوال سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦م)[2] ، ولكن بعضهم يذكر انه ولد في آخر شوال سنة ٦٥٢هـ[3] •

وليس في المصادر التي بأيدينا ما يشير الى أبيه أو أفراد اسرته ، ويبدو أن أباه لم يكن من ذوي السلطان ولا من ذوي العلم والمكانة الاجتماعية المرموقة ليذكر وتتناقل أخباره الكتب والرواة • وتذكر المصادر أن أبا حيان تلقى علومه الاولى في مسقط رأسه « غرناطة » على شيوخ عصره • وأغلب الظن انه ابتدأ بدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم اللغة العربية • وكانت اول قراءته سنة ٦٧٠هـ ، قرأ السبع ببلده على عبدالحق بن علي بن عبدالله الانصاري ، وأحمد بن علي بن محمد بن الطباع ، وأبي جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير ، وغيرهم من الاعلام[4] •

ولم يطل المقام بأبي حيان في الاندلس فغادرها سنة ٦٧٨هـ أو سنة ٦٧٩هـ ، ضاربا في عرض البلاد وطولها حتى استقر المقام به في القاهرة عاصمة العالم الاسلامي يومذاك • وكانت مصر يوم دخلها تحت ظل المماليك البحرية الذين استطاعوا ان يصدوا هجمات المغول عن مصر والشام وان

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص٣١٤ •

(٢) تنظر المصادر السابقة •

(٣) التعليقات السنية على الفوائد البهية ص١٩٥ •

(٤) ينظر غاية النهاية ج٢ ص٢٨٥ ، وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٠ ، والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٢ ، وتذكرة الحفاظ ج٤ ص٢٦٥ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٦ •

يؤسسوا من الاقليمين العربيين دولة لعبت دوراً كبيرا في الحفاظ على التراث الاسلامي العربي •

وفي هذه البيئة استقر أبو حيان وتفاعل معها ، وكتب وألف كتبا كثيرة في الدراسات القرآنية واللغوية والنحوية • ورأى في مصر موطن احلامه وآماله ، فالقى بها عصا الترحال ، يقول واصفا حاله فيها : « فكم صدر أودعت علمه صدري ، وحبر أفنيت في فوائـده حبري • وامام اكثرت به الالمام ، وعلاّم اطلت معه الاستعلام • أشنف المسامع بما تحسد عليه العيون ، وأذيب في تطلاب ذلك المال المصون • وارتع في رياض وارفة الضلال ، وأكرع في حياض صافية السلسال • واقتبس من أنوارهم ، واقتطف من ازهارهم • وابتلج من صفحاتهم ، وأتأرج من نفحاتهم ، فجعلت العلم بالنهار سحيري ، وبالليل سميري • زمان يقصر ساريه على الصبا ، ويهب للهو ولا كهبوب الصَّبا • ويرفل في مطارف اللهو ، ويتقمص اردية الزهو • ويؤثر مسرات الاشباح على لذات الارواح • ويقطع نفائس الاوقات في خسائس الشهوات • من مطعم شهي ، ومشرب روي ، وملبس بهي ، ومركب حظي ، ومفرش وطي ، ومنصب سني • وأنا أتوسد أبواب العلماء ، واتقصد أماثل الفهماء • وأسهر في حنادس الظلام ، وأصبر على شظف الايام • وأوثر العلم على الاهل والمال والولد ، وارتحل من بلد الى بلد • حتى ألقيت بمصر عصا التسيار ، وقلت : ما بعد عبادان من دار »[1] •

واستوطن أبو حيان القاهرة بعد حجه ، وأنشد لشيخه ابي الحسن الزجاج :

رضيت كفافي رتبـةً ومعيشةً
فلست اسامي موسراً ووجيها
ومن جرَّ أثوابَ الزمان طويلةً
فلابُدَّ يوماً أنْ سيعثر فيها

(١) البحر المحيط ج١ ص٤ •

وأنشد لموسى بن أبي تليد :

حـالي مـع الدهـر في تقلبه
كطائر ضم رِجْلـهُ شَـرَكُ
فهـمُّه في خـلاص مهجتــه
يـروم تخليصَـها فتشـتبك (١)

ولقي أبو حيان حظوة من لدن سلاطين مصر وامرائها وحكامها ، فعيّن مدرسا في مدارس القاهرة ، وأصبح مدرسا للنحو في جامع الحاكم سنة ٧٠٤هـ ، وتولى تدريس التفسير(٢) . وأصبح منذ سنة ٧١٠هـ مدرسا للتفسير فى قبّة السلطان الملك المنصور فى عهد السلطان القاهر الملك الناصر(٣) . وتولى منصب الاقراء بجامع الأقمر أحد جوامع العصر الفاطمي ، وكان قد خلف مشيخة محمد بن النحاس في استاذية النحو(٤) .

وكان لابي حيان خصوصية بالامير سيف‌الدين أراغون النائب الناصري ينبسط معه ، ولما توفيت ابنته « نضـار » طلع الى السلطان الملك الناصر ، وسأل منه ان يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقوقية ، فاذن له(٥) .

وتنقل أبو حيان بعد ذلك في بلاد عدة ، فذهب الى مكة المكرمة ، ولقي فيها أبا الحسن علي بن صالح الحسيني(٦) . وذهب الى الشام ، ولا ندري ماذا فعل هناك وبمن اتصل ؟ ولكن ابن قطلوبغا يقول في ترجمة احمد بن علي فخرالدين الشهير بابن الفصيح (٧٥٥هـ) : « كتب اليه الشيخ

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص٣٢٠ .
(٢) ينظر البداية والنهاية ج١٤ ص٣٣ .
(٣) ينظر البحر المحيط ج١ ص٣ .
(٤) ينظر شـذرات الذهب ج٦ ص١٤٦ ، وخطط المقريزي ج٢ ص ٢٧٨ .
(٥) الوافي بالوفيات ، ونكت الهميان ص ٢٨١ ، ونفح‌الطيب ج٣ ص٢٩٥ ، والدرر الكامنة ج١ ص٣٥٢ .
(٦) ينظر طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٢ .

أثيرالدين أبو حيان لما قدم دمشق قصيدا منها :

شـرف الشام واستنارت رباه

بـامـام الائمـة ابن الفصيح

كـل يوم له دروس علـوم

بلســان عذب وفكر صحيح [1]

واستقر أبو حيان في القـاهرة يدرّس ويؤلف ، ولا نعرف كيف قضى حياته الاخيرة ، وان كنا نستطيع أن نقول انه انصرف انصرافا تاما الى البحث والتأليف ، فاخرج كتبا في علوم شتى ما تزال تشهد على مقدرته وسعة اطلاعه .

وشاء الله ان يختم أبو حيان حياته في القاهرة فتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمنزله خارج باب البحر في يوم السبت بعد العصر ، الثامن والعشرين من صفر سنة ٧٤٥هـ (١١ تموز سنة ١٣٤٥م) . ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وصلي عليه في الجامع الاموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الاخر [2] . وكان قد أضـر قبل موته بقليـل ، ولذلك ذكره الصفدي في كتاب « نكت الهميان في نكت العميان » .

وذكر الأسنوي في طبقاته أنه توفي عشية يوم السبت السابع والعشرين من صفر سنة خمس واربعين وسبعمائة بمنزله خارج باب البحر ، ودفن من الغد خارج باب النصر بتربة الصوفية .

وقال : « وأنا كثير الزيارة له ، لانه مجاور لقبر والدتي وأخيهـا ـ رحمهما الله تعالى ـ ولقبر ولدي أيضا » [3] .

---

(١) ينظر تاج التراجم في طبقات الحنفية ص١٣ .

(٢) ينظر الوافي بالوفيات ، ونكت الهميان ص ٢٨٤ ، وطبقات الشافعية ج٦ ص٣٣ ، واعيان العصر ج٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣٩٢ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٧ ، والمنهل الصافي ج٣ ص٣٢٦ب ، وحسن المحاضرة ج١ ص٣٠٨ وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٣ ، وغيرها .

(٣) طبقات الشافعية للاسنوي ص٩٧ .

وذكر الجزري انه دفن بتربته بالبرقية[1] .

ويرى بعضهم انه توفي سنة ٧٤٣هـ ، يقول المقري : « وما وقع في كلام كثير من أهل المغرب أن ابا حيان توفي سنة ثلاث واربعين وسبعمائة غير ظاهر ، لان أهل المشرق اعرف بذلك اذ توفي عندهم . وقد تقدم انه توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، فعلى كلام أهل المشرق في هذا المعول والله أعلم »[2] .

ويذكر ابن اياس انه توفي سنة ٧٥٣هـ ، يقول : ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وتوفي في هذه السنة الشيخ شمس الدين الذهبي المؤرخ ، وتوفي الشيخ أثير الدين أبو حيان المغربي »[3] .

وكان لموت أبي حيان أثر بالغ، فحزن عليه الناس واصدقاؤه وتلاميذه، ونظموا في رثائه القصائد . ومن أشهر ما قيل فيه قصيدة تلميذه صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، وهي :

مـات أثيرُ الدين خيرُ الورى
فاســتعر البـارقُ واســتعبرا

ورَقَّ من حُزْنٍ نسيمُ الصَّبا
واعتلَّ في الاسحارِ لمَّا سرى

وصادحاتُ الأيكِ في دَوْحها
رثته في السجع على حَرْفِ را

يا عينُ جودي بالدموع التي
تروي بها ما ضَمَّهُ من ثرى

---

(١) ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ج٢ ص٢٨٦ .
(٢) نفح الطيب ج٣ ص٣١٥ .
(٣) بدائع الزهور ج١ ص١٩٩ .

واجري دماً فالخطب في شأنه

قد اقتضى أَكْثَرَ مما جرى

مات إِمامٌ كان في علمه

يرى أماماً والورى من ورا

أمسى منادًى للبلى مفرداً

فضمه القبرُ على ما ترى

يا أسفاً كان هُدًى ظاهراً

فعاد في تربته مُضْمرا

وكان جمع الفضل في عصره

صَحَّ فلما أَنْ قضى كُسِّرا

وعُرِّفَ العلم به برهةً

والآن لما أَنْ مضى نُكِّرا

وكان ممنوعا من الصرف لا

يطرق من وافاه خطبٌ عرا

لا أفعل التفضيل ما بينه

وبين من أعرفه في الورى

لا بَدَلٌ عن نعته بالتقى

ففعله كان له مصدرا

لم يدَّغم في اللحد الا وقد

فك من الصبر وثيق العُرى

بكى لـه عمرو وزيد فمن
أمثلة النحو وممن قرا
ما أعقدَ التسهيلَ من بعده
فكم له من عُسرةٍ يسَّرا[1]
وجَسَّرَ الناسَ على خوضه
إذْ كان في النحو قد استبحرا
من بعده قد حال تمييزُه
وحظه قد رجع القَهْقَرَى
شارك من قد ساد في فنه
وكم له فن به استأثرا
دأْبُ بني الآداب ان يغسلوا
بدمعهم فيه بقايا الكرى
والنحو قد سار الردى نَحْوَهُ
والصرف للتصريف قد غيَّرا
واللغة الفُصحى غدت بعده
يلغى الذي في ضبطها قررا
تفسيره « البحر المحيط » الذي
يهدي الى وارده الجوهرا

(١) التسهيل : كتاب ابن مالك ، وقد شرحه أبو حيان .

فـوائـــد في فضلـــه جمـــة

عليه فيهـــا نعقـــد الخنصـــرا

وكان ثبتـــاً نقلـــه حجـــة

مثـل ضيـاء الصبح إذْ أَسْفَرَا

ورحلـــة في سُنَّة المصطفى

أَصدق من يسمع ان خَبرا

لـــه الأسانيد التي قـــد علت

فاستفلت عنها سوامي الذرى

ساوى بها الاحفاد أجدادهـم

فاعجب لماضٍ فاته من طرا

وشـــاعراً في نظمـــه مفلقـــا

كم حرر اللفظ وكم حَبَّرا

لـه معـــانٍ كلمـا خَطّهـــا

تستر ما يرقـم في تســـترا

أفديه من ماضٍ لأَمْر الردى

مستقَبلاً من ربـــه بالقِرى

مـــا بات في أبيض أكفـــانه

الا واضحى سُنْدُساً أَخْضَـــرا

تصـــافح الحـــور له راحـــةً

كم تعبت في كل ما سَطَّرا

إنْ مات فالذكر له خالدٌ

يحيا به من قبل أن يقبرا

جاد ثرًى واراه غيث اذا

مسّاه بالسقيا له بكرا

وخصّه من ربه رحمةٌ

تورده في حشره الكوثرا[1]

أما أسرة أبي حيان ، فكانت زوجه زمردة بنت أبرق أم ولده حيان ، وقد أسمعها الكثير على الابرقوهي وغيره ، وحدثت ، وسمع منها البرزالي • ومات في ربيع الاول سنة ٧٣٦هـ • وكانت تكنى « أم حيان » ، وهي والدة نضار ابنته[2] •

وكان حيان ولده الكبير ، أسمعه والده من ابن الصواف وابن مخلف ، وتلا بالسبع على أبيه ، وأجاز له وقرأ عليه معظم كتبه ومنها كتابه « غاية الاحسان في علم اللسان » •

وأجاز لحيان جماعة غير والده منهم : محمد بن احمد بن عبدالخالق ابن علي بن سالم بن مكي المصري الشيخ تقيالدين بن الصائغ (٧٢٥هـ)[3] • وقد حدّث حيان ومات في أواخر شهر رجب سنة ٧٦٤هـ •

وكان لحيان ولد هو أبو حيان محمد بن حيان بن أبي حيان • أخذ العلم عن جده أبي حيان[4] •

ولابي حيان ابنة كان يحبها كثيرا هي « نضار » أم العز • ولدت في

---

(١) الوافي بالوفيات ، واعيان العصر ج٧ ، ونكت الهميان ص٢٨٤ • وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٣ ـ ٢٨٥ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٩٢ ، وحسن المحاضرة ج١ ص٣٠٨ •

(٢) ينظر الدرر الكامنة ج٢ ص١١٦ •

(٣) ينظر الدرر الكامنة ج٣ ص٣٢١ •

(٤) ينظر الدرر الكامنة ج٤ ص٣١٠ •

جمادى الاخرة سنة ٧٠٢هـ ، وأجاز لها أبو جعفر بن الزبير ، وحضرت على الدمياطي ، وسمعت من شيوخ مصر ، وحفظت مقدمة في النحـو ، وخرجت لنفسها جزءاً من الاحاديث ، ونظمت شعراً ، وكانت تعرب جيداً ، وكان أبوها يقول : « ليت اخاها حيان مثلها » . ماتت في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠هـ ، فحزن والدها عليها حزنا عظيما ورثاها بقصائد كثيرة ، وجمع فيها جزءاً سماه : « النضار في المسلاة عن نضار » . كتب عنها البدر النابلسي فقال : « الفاضلة الكاتبة ، الفصيحة ، الخاشعة ، الناسكة . وكانت تفـوق كثيرا من الرجال في العبادة والفقه ، مع الجمال التام والظرف »[1] . قال الصفدي تلميذ أبيها في رثائها :

بكينا باللجينِ على نُضَـــار
فسيلُ الدمع في الخدين جارِ
فيـا للهِ جـــارية تولَّت
فنبكيهـا بأدمعنـا الجواري[2]

صفاته واخلاقه :

كان أبو حيان شيخا حسن العمة ، مليح الوجه ، ظـاهر اللون ، مشرباً حمرة ، منور الشيبة ، كبير اللحية ، مسترسل الشعر فيها . وكانت عبارته فصيحة بلغة أهل الاندلس ويعقد القاف قريبا من الكاف ، على انه ينطق بها في القرآن فصيحة[3] .

وذكره الرعيني فقال : « وهو شيخ فاضل ما رأيت مثله ، كثير الضحك

---

(١) الدرر الكامنة ج٤ ص٣٩٥ ، وينظر نفح الطيب ج٣ ص٣١٥ .
(٢) اعيان العصر ج٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣١٥ .
(٣) ينظر الوافي بالوفيات ، واعيان العصر ج٧ ، ونكت الهميان ص٢٨١ ، والمنهل الصـافي ج٣ ص٣٢٢ ، والـدرر الكامنـة ج٤ ص٣٠٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٩٥ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٦ .

والانبساط ، بعيد عن الانقباظ ، جيد الكلام ، حسن اللقاء ، جميل المؤانسة ، فصيح الكلام ، طلق اللسان ، ذو لمة وافرة ، وهمه فاخرة ، وله وجه مستدير ، وقامته معتدلة التقدير ، ليس بالطويل ولا بالقصير »[1] •

وكان ثقة عادلا ، ولعل هذه الصفات الحميدة هي التي حببته الى الناس ، وجعلتهم يخالطونه ويجتمعون به •

وأمتاز أبو حيان بحسن دينه وعقيدته ، وكان لا يتعاطى الخمرة والمخدرات ، ولا يلعب النرد والشطرنج ، لانه يراها محرمة • يقول عن المخدرات : « واما المخدرات كالبنج والسيكران واللفاح وورق القنب المسمى بالحشيشة فلم يصرح فيها أهل العلم بالتحريم ، وهي عندي الى التحريم أقرب لانها ان كانت مسكرة فهي محرمة بقوله صلى الله عليه وسلم: « ما أسكر كثيره فقليله حرام »[2] • ويقول في تفسير قوله تعالى : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام ••• »[3] :

« وقد شاهدنا من يلعب بالنرد والشطرنج ، ويجري بينهم من اللجاج والحلف الكاذب واخراج الصلاة عن أوقاتها ما يربأ المسلم عنه بنفسه • هذا ، وهم يلعبون بغير جعل شيء لمن غلب ، فكيف حالهم اذا لعبوا على شيء فأخذه الغالب ؟ »[4] •

وكان عفيف النفس أبياً لا يطمع في شيء غير تلاوة القرآن والاعمال الصالحة • وكان فيه خشوع يبكي اذا سمع القرآن الكريم ، ويجري دمعه اذا سمع أشعار الغزل والحماسة •

وكان عظيم التقدير للطلبة الاذكياء ، وكان يقبل عليهم ويعظمهم وينوه بقدرهم • ولعل هذا يرجع الى ذكائه وفطنته فقد اشتهر بهذه الصفة واثنى عليه الناس • يقول لسان الدين بن الخطيب : « كان أثير الدين أبو حيان

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص٣٢١ •
(٢) البحر المحيط ج٤ ص٢٤٢ •
(٣) سورة المائدة الآية ٩٠ •
(٤) البحر المحيط ج٤ ص١٤ •

نسيج وحده في ثقوب الذهن وصحة الادراك والاطلاع بعلم العربية والتفسير »[1] •

وكان مع فضله ـ يسخر بالفضلاء من أهل مصر ويستهزيء بهم ، ولكنهم كانوا يحتملونه لحقوق اشتغالهم عليه ، وكان يقول عن نفسه : « أنا أبو حيَّات » بالتاء ـ يعني بعض تلاميذه[2] •

ولعل وصية أبي حيان الى أهله حينما قدم مصر ، خير ما يصور أخلاقه ونظرته الى الحياة وسيرته فيها ، وتدفع عنه ما اتهم به من طعن في الناس واتهامهم باطلا • يقول :

« ينبغي للعاقل ان يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق ، وفي الباطن معاملة العدو في التحفظ والتحرز ، وليكن في التحرز من صديقه أشد في التحرز من عدوه • وان يعتقد ان احسان شخص الى آخر وتودده اليه انما هو لغرض قام له فيه يتعلق به ، يبعثه على ذلك لا لذات ذلك الشخص • وينبغي ان يترك الانسان الكلام في ستة أشياء : في ذات الله تعالى وما يتعلق بصفاته ، وما يتعلق بأحوال أنبيائه ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وفي التعرض أيضا لائمة المذاهب ـ رحمهم الله تعالى ورضي عنهم ـ وفي الطعن على صالحي الامة ـ نفع الله بهم ـ وعلى أرباب المناصب والرتب من أهل زمانهم ، وان لا يقصد أذى أحد من خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الا على حساب الدفع عن نفسه ، وان يعذر الناس في مباحثهم وادراكاتهم ، فان ذلك على حسب عقولهم ، وان يضبط نفسه عن المراد والاستهزاء والاستخفاف بابناء زمانه ، وان لا يبحث الا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث ، وان لا يغضب على من لا يفهم مراده ومن لم يدرك ما يدركه ، وان يلتمس مخرجا لمن ظاهر كلامه الفساد ، وان لا يقدم على تخطئة ببادي الرأي ، وان يترك الخوض في

---

(١) نفح الطيب ج١ ص٣٣٧ •

(٢) ينظر تاريخ أبي الفدا ج٤ ص١٤٢ ، وتاريخ ابن الوردى ج٢ ص٣٣٩ •

علوم الاوائل ، وان يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة ، ولا ينكر على الفقراء وليسلم لهم أموالهم .

وينبغي للعاقل ان يلزم نفسه التواضع لعبيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وان يجعل نصب عينيه أنه عاجز مفتقر ، وان لا يكبر على احد ، وان يقلل الضحك والمزاح والخوض فيما لا يعنيه ، وان يتظاهر لكل بما يوافقه فيما لا معصية لله تعالى فيه ولا خرم مروءة ، وان يأخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن اللفظ وجميل التغاظي ، وان لا يركن الى احد الا الى الله تعالى ، وان يكثر من مطالعة التواريخ فانها تلقح عقلا جديدا ، والله سبحانه وتعالى ـ أعلم »[1] .

وكانت لابي حيان علاقات وصلات كثيرة بعلماء عصره بسبب عدله ، وحسن سيرته ، وغزارة علمه وفضله ، ومن أشهر علماء عصره الذين كانت له صلة بهم العالم الكبير ابن تيمية ، وله فيه مدائح كثيرة .

وقد مدح أبا حيان كثيرٌ من الشعراء والكبار والفضلاء ، منهم القاضي محيي‌الدين بن عبدالظاهر الذى يقول :

قد قُلْتُ لَمّا أَنْ سمعتُ مباحثاً
في الذات قَرَّرها أجلُّ مفيدِ
هذا أبو حيّان ، قلت : صدقتمو ،
وبررتمو ، هذا هو التوحيدي

ومدحه الشيخ صدرالدين بن الوكيل بقوله :

قالوا : أبو حيان غير مدافع
ملكُ النحاةِ ، فقلت : بالاجماعِ

(١) نفح الطيب ج٣ ص٣٢١ .

اسْمُ الملوكِ على النقود وانني
شاهدتُ كنيته على المصراعِ

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطولة أولها :

اليك أبا حيان أَعْمَلْتُ أُنْيقي
وملت الى حيث الركائبُ تلتقي
دعاني اليك الفضل فانقدت طائعاً
ولبيّتُ أحدوها بلفظي المصدقِ

ومدحه كثيرون[1] . يقول الصفدي : « ومدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم ، وكتبت انا اليه من الرحبة[2] سنة تسع وعشرين وسبعمائة في ورق أحمر :

لو كنت أملك من دهري جَناحَينِ
لطرت ، لـكنه فيكم جنى حيني
يا سادةً نِلْتُ في مصرٍ بهم شرفاً
أرقى به شرفاً ينأى عن العينِ
وان جرى لسماكَيوان ذِكْرُ علاً
أحلّني فَضْلهم فوق السماكين
وليس غير أثير الدين أثَّلَهُ
فشاد ما شاد لي حقاً بلا مَيْنِ

---

(١) ينظر كتاب « أبو حيان النحوي » للدكتورة خديجة الحديثي ص٨٥ وما بعدها . (الطبعة الاولى بغداد ١٩٦٦) .
(٢) في نكت الهميان ص ٢٨٥ : « من رحبة مالك بن طوق » .

حَبْرٌ ، ولو قلت إنَّ الباء رُتبتها
من قبل صدّقك الاقوام في ذَيْنِ
أحيا علوماً أمات الدهرُ أكثرها
مُذ خُلِدَت ، خُلدتْ ما بين دفينِ
ياواحدَ العصر ما قولي بمتهمٍ
ولا أحاشي امرءً بين الفريقينِ
هذي العلوم بدت من سيبويهِ كما
قالوا ، وفيكَ انتهت يا ثانيَ اثنينِ
فَدُمْ لها وبودّي لو أكونُ فدًى
لما ينالكَ في الأيام من شَيْنِ
يا سيبويهِ الورى في الدهر لا عجب
إذ الخليل غدا يفديك بالعَيْنِ

يقبّل الارض وينهي ما هو عليه من الاشواق التي برحت بألمها ، وأجرت الدموع دما ، وهذا الطرس الاحمر يشهد بدمها • وأرْبَتْ سحبها على السحائب ، واين دوام هذه من ديمها ؟ وفرقت الاوصال على السقم لوجود عدمها •

فيا شوق ما أبقى ، ويالي من النوى
ويا دمع ما أجرى ، ويا قلب ما أصبى

ويذكره ولاءه الذي تسجع به في الارض الحمائم ، ويسير تحت لوائه مسير الرياح بين الغمائم ، وثناءه الذي يتضوع كالزهر بين الكمائم ، ويتسنم تسنم هامات الربى اذ لبست الربيع ملونات العمائم • ويشهد الله على ما قد

قلته والله سبحانه نعم الشهيد »[1] .

وقال أحمد بن علي بن عبدالكافي بهاءالدين السبكي يمدح شيخه أبا حيان من قصيدة :

فداكم فؤادٌ حان للبعد فقده
وصبٌّ قضى وجداً وما حال عَهْدُه
وقلبٌ جريحٌ بالغرام متيمٌ
وطَرْفٌ قريحٌ طال في الليل سُهْدُه[2]

وهذه المدائح وغيرها تدل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به أبو حيان من منزلة عظيمة وقدر كبير بين رجال عصره وعلمائه .

ثقافتـه :

كان أبو حيان نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه . ومعنى هذا انه كان على جانب عظيم من الثقافة والاطلاع . وقد قال القدماء عنه بانه « ثبت فيما ينقله ، محرر لما يقوله ، عارف باللغة ، ضابط لالفاظها . واما النحو فهو امام الناس كلهم فيه لم يذكر معه في أقطار الارض غيره في حياته ، وله اليدالطولى فيالتفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم ـ خصوصا المغاربة ـ ، وتقييد اسمائهم على ما يتلفظون به من امالة وترقيق وتضخيم لانهم يجاورون بلاد الافرنج ، واسماؤهم قريبة من لغاتهم والقابهم[3] » .

---

(١) أعيان العصر ج٧ ، وينظر نكت الهميان ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٢٩ ، والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٧ .

(٢) بغية الوعاة ج١ ص٣٤٣ .

(٣) الوافي بالوفيات ، واعيان العصر ج٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٩٥ ، والدر الكامنة ج٤ ص٣٠٣ ، والبدر الطالع ج٢ ص٢٨٨ ، وبغية الوعاة ج١ ص٢٨١ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٦ .

وكان اشتغاله بالعلم في موطنه الاندلس ، وأول قراءته سنة ٦٧٠هـ • بدأ بدراسة القرآن على شيوخ عصره ، وسمع عن كثيرين بعد أن طاف في أرجاء البلاد • وكان على أبي حيان وهو يدرس القران وتفسيره ان يلم بعلوم اللغة العربية وادابها وتأريخها ؛ لانها السبيل الموصل الى ادراك ما في القرآن من معان سامية • وقد درس اللغة والنحو والصرف والادب وغيرها من العلوم ، وكان على اطلاع واسع بلغات أجنبية كالحبشية والفارسية والتركية ، وألف في ذلك كتباً كثيرة وصل الينا بعضها وضاع البعض الآخر[١] •

أما شيوخه فكانوا نحو اربعمائة وخمسين شيخا وأكثر من ألف مجيز • وقد ذكر أبو حيان في اجازته لتلميذه الصفدي مروياته وشيوخه[٢] •

عقيدته :

كان أبو حيان عفاً معروفاً بحسن دينه وعقيدته ، بعيدا عن الملذات • وكان في أول أمره مالكيا ثم تمذهب بالظاهرية وهو في الاندلس حيث كان هذا المذهب منتشرا يومذاك ، وكان يقول : « محال ان يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه »[٣] • ولكنه عندما جاء الى مصر وجد مذهب الظاهر مهجورا فيها فتمذهب للشافعي[٤] • وقد سئل عن ذلك فقال : « بحسب البلدة »[٥] ، حيث كان المذهب الشافعي هو السائد في مصر ، ومن هنا

---

(١) تنظر ثقافته بالتفصيل في كتاب « أبو حيان النحوي » للدكتورة خديجة الحديثي ص٦٢ ــ ٧٤ •
(٢) ينظر الوافي بالوفيات ، واعيان العصر ج٧ ، والمنهل الصافي ج٣ ص٣٢٣ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣٠٣ •
(٣) بغية الوعاة ج١ ص٢٨١ •
(٤) أعيان العصر ج٧ ، ونكت الهميان ص٢٨١ ، والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٨ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٩٦ ، وبدائع الزهور ج١ ص١٩٩ •
(٥) بدائع الزهور ج١ ص٢٠٠ •

اعتنق هذا المذهب الذي كان الاهتمام به كبيرا . وكان أبو حيان يفضل آراء الشافعي وتلاميذه في تفسير القرآن ، وعرض الخلافات بين المذاهب المختلفة[1] .

ومال أبو حيان الى محبة الامام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، وكان بعيدا عن الفلسفة والاعتزال والتجسيم والتناسخ ، حتى انه تعجب من اشتغال أهل مصر بالفلسفة علنا[2] .

---

(١) ينظر البحر المحيط ج٢ ص١٥٠ ، ١٩٥ ، و ج٣ ص١٦٥ .
(٢) ينظر البحر المحيط ج٥ ص١٠٥ ، وينظر أعيان العصر ج٧ .

آثـــاره

كان لثقافة أبي حيان العظـيمة والاطلاع الواسـع والاتصال بعلماء عصره ، الاثر الكبير في حياته العلمية فألف كتباً كثيرة في علوم مختلفة ذكر بعضها في اجازته لتلميذه الصفدي[١] • ويرى بعض الباحثين انه لم يصل منها الا عدد قليل ، فالمرحوم الاستاذ احمد امين يقول : « وبلغت مصنفاته في العلوم المختلفة نحو ٦٥ كتابا لم يصل منها الا نحو عشرة »[٢] •

ويقول الاستاذ بلانثيا : « ولم يبق لنا من كتب أبي حيان الا كتابان على الرغم من ان من ترجموا له يقولون انه وضع خمسين مؤلفا • الاول في التفسير وهو مخطوط بمكتبة ليدن ، والثاني في النحو عنوانه : « فضل النحو » مخطوط في مكتبة برلين »[٣] •

وقد جمع الاستاذ سدني جليزر Sidney Glazer في مقدمة كتاب « منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك » ما تاثر من كتب أبي حيان وبوّبها تبويبا موضوعيا ، فذكر كتب النحو واللغة ، فكتب اللغات التركية والفارسية والحبشية ، فكتب الدراسات القرآنية ، فكتب الحديث ، فكتب

---

(١) تنظر آثار أبي حيّان ، في كتاب « أبو حيان النحوي » للدكتورة خديجة ص٣٢٦ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٠٧ ـ ٢٠٨ •

(٢) ظهر الاسلام ج٣ ص٩٥ •

(٣) تاريخ الفكر الاندلسي ص١٨٨ •

التأريخ ، فكتب مختلفة ٠

ويلاحظ في قائمته انه لم يحسن تصنيف كتب أبي حيان فذكر في الكتب العامة « الموفور » و « الفصل في أحكام الفصل » وهما من الكتب النحوية ٠ وكرر بعض الكتب في اماكن مختلفة باسماء محرفة ٠

وما ذكره هؤلاء جميعا ليس دقيقا ، وها نحن اولاء نذكر آثار ابي حيان مرتبة على مجموعتين : الآثار النحوية واللغوية ، والآثار الدينية وفي فنون مختلفة[1] ٠

آثاره النحوية واللغوية :

١ ـ تقريب المقرب (مخطوط) ٠
٢ ـ التدريب في تمثيل التقريب (مخطوط) ٠
٣ ـ المبدع الملخص من الممتع (مخطوط) ٠
٤ ـ الموفور من شرح ابن عصفور (مخطوط) ٠
٥ ـ التذييل والتكميل في شرح التسهيل (مخطوط) وهو أضخم كتبه النحوية ٠
٦ ـ التخييل الملخص من شرح التسهيل (مفقود) ٠
٧ ـ التكميل في شرح التسهيل (مفقود) ٠
٨ ـ منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك (مطبوع) ٠
٩ ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب (مخطوط) ٠
١٠ـ اعراب القرآن (مخطوط) ٠
١١ـ غاية الاحسان في علم اللسان (مخطوط) ٠
١٢ـ النكت الحسان في شرح غاية الاحسان (مخطوط) ٠
١٣ـ اللمحة البدرية في علم العربية (مخطوط) ٠

---

(١) تنظر آثار أبي حيّان ، في كتاب « أبو حيان النحوي » للدكتور خديجة الحديثي ص١٠١ الى ص٢٥٩ وينظر المطبوع والمخطوط والمفقود منها فيه ٠

١٤ـ الشذا في أحكام كذا (مفقود) •

١٥ـ الهداية في النحو (مخطوط) •

١٦ـ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (مطبوع) •

١٧ـ الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء (مطبوع) •

١٨ـ التذكرة (مفقود) •

١٩ـ القول الفصل في أحكام الفصل (مفقود) •

٢٠ـ الشذرة (مفقود) •

٢١ـ شرح كتاب سيبويه (مفقود) •

٢٢ـ التجريد لاحكام سيبويه (مفقود) •

٢٣ـ كتاب الاسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار (مفقود) •

٢٤ـ نهاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب (مفقود) •

٢٥ـ فضل النحو (مفقود) •

٢٦ـ الافعال في لسان الترك (مفقود) •

٢٧ـ الادراك للسان الاتراك (مطبوع) •

٢٨ـ زهو الملك في نحو الترك (مفقود) •

٢٩ـ منطق الخرس في لسان الفرس (مفقود) •

٣٠ـ نور الغبش في لسان الحبش (مفقود) •

٣١ـ المخبور في لسان البشمور (مفقود) •

آثاره الدينية وفي فنون مختلفة :

٣٢ـ البحر المحيط (مطبوع) •

٣٣ـ النهر الماد من البحر (مطبوع) •

٣٤ـ جزء من الحديث (مفقود) •

٣٥ـ الانور الاجلى في اختصار المحلى (مفقود) •

٣٦ـ الوهاج في اختصار المنهاج (مفقود) •

٣٧ـ الاعلام باركان الاسلام (مفقود) •

٣٨ـ مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد (مفقود) .
٣٩ـ المورد الغمر في قراءة أبي عمرو (مفقود) .
٤٠ـ المزن الهامر في قراءة ابن عامر (مفقود) .
٤١ـ الأثير في قراءة ابن كثير (مفقود) .
٤٢ـ النافع في قراءة نافع (مفقود) .
٤٣ـ الرمزة في قراءة حمزة (مفقود) .
٤٤ـ النير الجلي في قراءة زيد بن علي (مفقود) .
٤٥ـ الروض الباسم في قراءة عاصم (مفقود).
٤٦ـ غاية المطلوب في قراءة يعقوب (مفقود) .
٤٧ـ تقريب النائي في قراءة الكسائي (مفقود) .
٤٨ـ عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي (مفقود) .
٤٩ـ الحلل الحالية في أسانيد القراءات العالية (مفقود) .
٥٠ـ تحفة الندس في نحاة الاندلس (مفقود) .
٥١ـ مجاني الهصر في آداب وتواريخ أهل العصر (مفقود) .
٥٢ـ النضار في المسلاة عن نضار (مفقود) .
٥٣ـ مشيخة ابن أبي المنصور (مفقود) .
٥٤ـ نفحة المسك في سيرة الترك (مفقود) .
٥٥ـ نقد الشعر (مفقود) .
٥٦ـ خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان (مفقود) .
٥٧ـ منظومة في علم القافية (مفقود) .
٥٨ـ نوافث السحر في دمائث الشعر (مفقود) .
٥٩ـ نثر الزهر في نظم الزهر (مفقود) .
٦٠ـ نكت الامالي (مفقود) .
٦١ـ بغية الظمآن من فوائد أبي حيان (مفقود) .
٦٢ـ الالماع في افساد اجازة الطباع (مفقود) .
٦٣ـ فهرست مروياته (مفقود) .

٦٤ـ فهرست مسموعاته (مفقود) •
٦٥ـ قطر الحبي في جواب اسئلة الذهبي (مفقود) •
٦٦ـ ديوان أبي حيان ، وهو الذي نخرجه اليوم •

* * * *

هذه حياة أبي حيان الاندلسي الغرناطي ، وهذه آثاره الكثيرة ، وقد وصل الينا بعضها ، وضاع البعض الآخر ، ولو وصلت الينا كلها لالقت ضوءاً ساطعا على سيرة هذا العالم الفذ ، ولانارت كثيرا من جوانب حياته وثقافته •

الدكتورة خديجة الحديثي

الفصل الثاني

شعر أبي حيان

للدكتور احمد مطلوب

١
الديوان

يذكر المؤرخون والأدباء أن لأبي حيان الاندلسي نظما ونثرا جيدين، وله الموشحات البديعة . وقد جمع تلميذه صلاح الدين بن أيبك الصفدي ديوانه يقول : « وانتقيت ديوانه وكتبته وسمعته منه »(١) .

وفي المصادر القديمة كثير من هذا الشعر الجيد الذي يمثل شاعرية أبي حيان أحسن تمثيل ، وإنْ كان بعضه ليس بالشعر العالي الطبقة كشعر فحول العرب في عصورهم الذهبية . وقد تنبه القدماء الى ذلك فقال أبو الفداء : « وله نظم ليس على قدر فضيلته ، فمن أحسنه قوله :

وقابلني في الدَّرْسِ أبيضُ ناعمٌ
وأسمرُ لَدْنٌ أوْرثا جسمي الردى
فَذا هَزَّ من عطفيه رمحاً مثقَّفاً
وذا سَلَّ من جَفْنيه عَضْباً مهنَّدا(٢)

---

(١) الوافي بالوفيات (المصورة المحفوظة في مكتبة جامعة بغداد المركزية) ، ونكت الهميان في نكت العميان ص٢٨٢ .

(٢) تاريخ أبي الفدا ج٤ ص١٤٢ ، وينظر تاريخ ابن الوردي ج٢ ص ٣٣٩ ، وجلاء العينين ص١٨ .

وقال ابن تغري بردي الأتابكي بعد أن ذكر موشحا لأبي حيان :

« ومذهبي في أبي حيان انه عالم لا شاعر ، ولم ذكر هذه الموشحة هنا لحسنها بل قصدت التعريف بنظمه بذكر هذه الموشحة ، لأنه افحل شعراء المغاربة في هذا الشأن . وأما الشاعر العالم فهو الارجاني ، وأبو العلاء المعري ، وابن سناء الملك »[1] .

وحينما عزمنا على اخراج « مكتبة أبي حيان الاندلسي » رأينا أن نبدأ بشعره فعكفنا على المصادر ننقر فيها ، ورجعنا الى المخطوطات ننفض عنها غبار الزمن . وقد اجتمعت لدينا باقة عطرة من شعر هذا الرجل الذي غلب عليه التفسير والنحو فأخرجناها باسم «من شعر أبي حيان الاندلسي»[2] لتكون أول القطر ، ولم يَدُرْ بخلدنا أن الزمن سيطلع علينا بنسخة مخطوطة من ديوان أبي حيان تكون الدليل الناصع والبرهان الاكيد على شاعريته المتفتحة ذات الفنون البديعة والأغراض المختلفة .

ان شعر أبي حيان الذي أخرجناه جَمْعٌ لما تفرق في تضاعيف الكتب المطبوعة وتناثر في المخطوطات الدفينة . ولعل كتاب « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » لاحمد ابن محمد المقري التلمساني كان أرحب المصادر صدرا واكثرها لشعر أبي حيان ذكرا ، لان فيه الاشعار البديعة والقصائد الطويلة والأبيات الرائعة التي نقلها من كتاب « أعيان العصر وأعوان النصر » للصفدي وكتاب « الاحاطة في أخبار غرناطة » للسان الدين بن الخطيب ، وكتاب «البرنامج» للفقيه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي .

وبعد أن تمّ جمع الشعر رتبناه ترتيباً أبجدياً وألحقنا به الموشحين اللذين عثرنا عليهما ، والأبيات النحوية والبلاغية ، وكان مجموع شعر الديوان أربعاً وتسعين قصيدةً وموشحاً ومقطوعةً ، وهذا الذي ذكرناه يلقي ضوءاً على أبي حيان وشاعريته .

---

(١) النجوم الزاهرة ج١٠ ص١١٥ .
(٢) طبع بمطبعة العاني في بغداد سنة ١٣٨٦ هـ الموافق ١٩٦٦م .

وبينما كانت المجموعة في لمسات المطبعة الاخيرة ، طلع علينا ديوان أبي حيان الاندلسي فكان لابدّ أن نخرجه ليكون تثبيتاً لما اخرجناه وعوناً كبيرا لكل من يريد أن يدرس أبا حيان الشاعر .

ومخطوطة الديوان الفريدة محفوظة فى مكتبة « وزان » فى المغرب العربي ، وهي مكتبة تراكم الغبار عليها وعملت الرطوبة فيها عملها ، ولولا عناية القائمين بها لضاعت كثير من مخطوطاتها النادرة ومنها ديوان أبي حيان الذي لا نعلم له نسخة ثانية في مكتبات العالم . وقد وصف الاستاذ سعيد أعراب هذه المكتبة وهو يتحدث عن الديوان بقوله :

« منذ مدة زرت مكتبة وزان الحافلة بالاعلاق والنفائس ، هذه المكتبة التأريخية التي أنفق في تأسيسها المولى عبدالله الشريف كل غالٍ ونفيس ، والتي سلخ بين أحضانها الشيخ الرهوني شطراً كبيراً من حياته نطلع على الناس بمؤلفات بَعُدَ العهد بمثلها في التحرير والتحقيق وارجاع النصوص الى اصولها . وكان الشاعر الرقيق أبو حامد المساري يتردد اليها ويكرع من مناهلها وله فيها قصائد رائعة » . الى أن يقول :

« هذه المكتبة التى تعيش اليوم في غربة ووحشة وقد تراكم الغبار عليها ، وعملت الرطوبة فيها عملها ، وهي عبارة عن مستودع لا نوافذ ولا هواء ، ولا انارة ولا مناضد ، ولا رفوف منتظمة ولا مقاعد ... »[1] .

في هذه المكتبة كان ديوان أبي حيان يرقد بعد أن سجلوه تحت رقم ٤٩٢ ، ومن هذه المكتبة انطلقت مصورته الى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ليرى النور في بغداد بعد أن تفضل الاستاذ الجليل رشاد عبدالمطلب بتصويره لنا وحضّنا على اخراجه تكملة للفائدة وتتمة للعمل الذي بدأناه .

ومخطوطة الديوان الوحيدة ـ كما نعلم ـ مكتوبة بخط مشرقي واضح، وهي في ١٨٧ صفحة من القطع المتوسط وفي كل صفحة عشرة أبيات أو

---

(١) مجلة دعوة الحق العدد الخامس ص ٧٥ (السنة العاشرة ، ذو الحجة ١٣٨٦ هـ ـ أبريل ١٩٦٧) .

أكثر بقليل . وقد كتب على الصفحة الاولى بخط مغربي أبيات شعر ثلاثة ، وعلى الصفحة الثانية عنوان الديوان وهو : « هذا ديوان الشيخ العلامة الامام الأوحد فريد دهره ووحيد عصره شيخ النحاة والأدباء (أبو حيان)[1] محمد الاندلسي المفسر ـ رضى الله تعالى عنه وغفر لنا وله وللمسلمين ـ » . وفي مطلع الصفحة الثالثة مقدمة قصيرة جاء فيها : « قال سيدنا الشيخ العالم العلامة الامام الأوحد الصدر المتقن المحقق ، فريد دهره ووحيد عصره، لسان الأدب وترجمان العرب ، شيخ النحاة والأدباء ، مولانا وسيدنا أثير الدين أبو حيان محمد بن سيدنا الشيخ الصالح التقي الزكي أبي الحجاج يوسف ابن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الأثري نزيل مصر ـ حفظه الله ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفع المسلمين ببركة علومه . آمين » .

ويبدو أن عبارة « رحمه الله ... » أضيفت بعد موت الشاعر ؛ لأنّ عبارة « حفظه الله » توحي بان الديوان قد جمع في حياته ، ثم جاء ناسخ بعد موته فأضاف العبارة الأخيرة من غير أن يحذف العبارة التي قبلها .

ولعل نسـخة الديوان التي بين أيدينا هي التي جمعها تلميذه صلاح الدين بن أيبك الصفدي والتي قال عنها ـ كما تقدم ـ : « وانتقيت ديوانه وكتبته وسمعته منه » . ومما يؤيد ذلك ان الديوان لا يضم شعر أبي حيان كله ، فليس فيه ما قاله وهو في موطنه الاندلس ، ولا موشحاته وقصائده البديعة ؛ وفيه مائتان وتسع وأربعون قصيدة ومقطوعة في موضوعات شتى ، ولو قارنا هذا الشعر بما أثبتناه في : « من شعر أبي حيان الاندلسي » لاتضح أن هناك كثيرا من أشعاره التي ذكرتها المصادر لم تثبت في الديوان . ولم نعثر في الديوان المخطوط على خمس وستين قصيدة ومقطوعة بضمنها الموشحان المشهوران بينما وجدنا تسعاً وعشرين قصيدة ومقطوعة ممـا ذكرناه في شعره ، وهو عدد ضئيل اذا ما قيس بالأشعار الكثيرة التي أهملها الديوان . وقد أشرنا الى هذا العدد القليل في أماكنه من القصائد وأثبتنا الخلافات ، وتركنا القصائد الكثيرة من غير اشارة الى مصدر لاننا لم نعثر عليها في الكتب والمظان المعروفة ، وألحقنا بالديوان القصائد والمقطوعات التي لم

---

(١) كذا في الاصل .

نرد فيه ، فتم لنا اخـراج مجموعـة كبـيرة من شـعر أبي حيـان لـم نستطع من قبل أن نخرجها بهذا الاسلوب • وقد بلغ مجموع القصـائد والمقطوعات المذكورة فى الديوان والتكملة ثلاثمائة وخمس عشرة ، وهو عدد ضخم لم نحلم به يوم عزمنا على اخراج شعر أبي حيان •

وبعد أن تم تدقيق الديوان ومطابقته بما وجدناه في الكتب والمصادر المختلفة ، وبعد ان أثبتنا الملحق وهو مما لم نجـده في الديوان ، شـرحنا الألفاظ الغريبة ـ وهي قليلة ـ وترجمنا للاعلام ، وعلقنا بعض التعليقات التي رأيناها ضرورية • وبهذا الشكل خرج الديوان ليقدم للدارسين شعر أبي حيان الذي ظل قسم كبير منه بين دفتي مخطوطة صانتها من عوادي الدهر مكتبة « وزان » ، وبقي بعضه منثوراً في الكتب والمظان •

٢
الأطـوار

وشعر أبي حيان تصوير لحياته وتعبير عما خفق به قلبه ، وقد جعل الاستاذ سعيد أعراب حياته بحسب شعره ثلاثة أطوار : أحدها طور الصبا وينتهي سنة ٦٧٨هـ أو سنة ٦٧٩هـ ، وهي السنة التي غادر فيها الاندلس الى المشرق •

والثاني : طور الشبيبة وينتهي في حدود سنة ٦٩١هـ ، وفي هذا الطور زار الحبشة وبعض الاقطار العربية والأعجمية وانتهى به المطاف في القاهرة •

والثالث : طور الكهولة والشيخوخة وينتهي في سنة ٧٤٥هـ ، وقد قضى هذا الطور أو جله في مصر[١] •

أما شعره في الطور الاول فقد ضاع أكثره ولم تبق الا أبيات قليلة لا

---

(١) دعوة الحق ص٧٦ •

تصور لنا حياته في الاندلس . قال أبو حيان : « مما نظمته وأنا شاب :

لأَكْلُ الشعير واقتناء المعارف
ألذُّ من السَلوى ولبْسِ المطارِفِ
وإني لَمُسْتَغْنٍ بعلمٍ جَمَعْتُه
وهيهاتَ ما يغني تليدي وطارفي

ومن قديم شعره بالاندلس وقد قاله في صباه قصيدته السينية التي تصور جوانب معركته مع الذين استصغروه ولم يلتفتوا اليه ، يقول :

ما لليراعةِ لا ريعت بحادثةٍ
استعجمت ولحبري الآن قد جمسا[1]
وللقوافي قفتْ مالي فلا أَدَبٌ
يملى ، ولا نَشَبٌ يُريح مبتئسا[2]
فصفْحَةُ الطرسِ من دَرّي مُعَطَّلَةٌ
ورسمُ جُودِيَ إذْ قلتُ قد درسا
وقد ذَوَتْ زَهَراتُ الشعر وا أسفاً
لما غدا ماءُ فكري غائراً يبسا
كأنني لم أُعمر منتدَى أَدَبٍ
ولم أجل للصبا في حلبة فَرَسا

---

(١) جمس : جمد .
(٢) في الشطر الاخير زخاف .

وتشتد سورة غضبه فيصيح :

سَدَدْتُ بابَ القِرى عن كل ملتمس
إنْ كنت أَسْكُنُ بعد اليوم أَنْدلسا

ويمضي متحدثاً عما كان يلاقيه في الاندلس ويصور حاله ويمتدح نفسه ، ويرى أن المقام صعب بين قوم ينكرون فضله ويغمزونه وتغلي صدورهم حقدا ، يقول :

وربَّ ذي حَنَقٍ تغلي مراجلُه
ناراً فيشعل من فيه لنا قبسا

رأى سُمُوِّي وما أُوتيتُ من شَرَفٍ
فرام هَتْكَ حمىً ما زال محترسا

حمى حماه حميُّ الأَنْفِ ذو كرمٍ
كالأَسْجم انهلَّ أو كالضيغم افترسا

مفوّه إنْ دعا حرٌّ الكلام أتى
بديعُه نحوه مستعجلاً سَلِسا

فمن قلائد يعلو الدرُّ جوهرَها
ومن فرائد يجلو نورُها الغَلَسا

أَعْجِبْ به من خطيبٍ ماهرٍ ندسٍ
إنْ قِسْتَ قساً به تخاله ودسا(1)

بل العجاب مقامي بين ذي وَحَرٍ
وحاسد بسوى الأَعْراضِ ما نبسا(2)

---

(١) الندس : الكيس الفطن . ودس الشيء : خفي . والودس ـ بفتحتين ـ العيب .

(٢) الوحر : الحقد .

قَـوْمٌ إذا غِبْتُ قالوا ما يليق بهـم
وإنْ حَضَـرْتُ تراهم خُشَّعًا نكسا

ذنبي اليهم نفوذي حين تفجؤهم
مُسَغَبَاتٌ يُدَلِّهْنَ الفتى الندسـا

وإنني مثـلُ مـاءِ المُزْنِ لا رَنَقٌ
كذاكَ بُرْدي نقيٌّ مـا رأى دَنَسَـا

ما كان ضرّهُمُ لو أنْصفوا رَجُلاً
ما نام وَهْنًا على هجـر ولا هَجَسـا

أَما دَروا أنني لو شئتُ أفضحُهُمْ
بمفصحاتٍ وإنْ ابصرتها خرسـا

من كلِّ شاردةٍ عذراءَ ناهـدةٍ
يكون اهداؤهـا لهم لهـا عرسـا

وكـلِّ فاصمةٍ للظهـر قاصمـةٍ
تـرد من كان جَـذلانـاً حليف أسى

لكنْ نهانيَ عَنْهُمْ أنهـم نَجَسٌ
ومقولي قد أَبَى أَنْ يذكرَ النجسـا

وهذه القصيدة خير ما يفسر رحلة أبي حيان عن الاندلس ، بعد أن اختلف الباحثون في ذلك ، فالسيوطي يقول : « ورأيت في كتابه النضار الذي ألفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته : «ان مما قوى عزمي على الرحلة عن غرناطة ان بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضة والطبيعة قال للسلطان : « اني قد كبرت فأخاف أن أموت فأرى ان ترتب لي طلبة

اعلمهم هذه العلوم لينتفعوا بها من بعدي » • قال أبو حيان : « فأشير الي أن أكون من اولئك ترتب لي راتب جيد وكسوة واحسان فتمنعت ورحلت مخافة ان اكره على ذلك »[1] •

ويذكر المقري ان الكثيرين من المؤرخين يذكرون ان سبب رحلته ما نشأ بينه وبين ابن الطباع فرفع أمره للامير محمد بن نصر المدعو بالفقيه ، وكان أبو حيان كثير الاعتراض عليه ايام تلمذته له فنشأ شر عن ذلك • وقد عزم السلطان على التنكيل بأبي حيان وأمر باحضاره ولكنه أحس بما اعتزم عليه السلطان فاختفى ثم ركب البحر ولحق بالمشرق[2] • ولكن أبا حيان ظل يحن الى الاندلس مهد احلامه ومرتع صباه ، يقول :

يا فرقةً أَبدلتني بالسرور أَسىً
وأسهرت ناظراً قد طالما نعسا

أنّى يكون اجتماعٌ بين مفترق
جسمٌ بمصْرَ وروحٌ حلَّ أَندلسا

وقد عدّ الاستاذ سعيد أعراب[3] قصيدة أبي حيان التي يعارض فيها قصيدة كعب بن زهير من أول شعره في الغزل ، وليس هناك دليل على ذلك، ويمكن القول بانه نظمها بعد أن حج البيت الحرام ؛ لانّ في القصيدة وصفا لسيره الى الحجاز ولما كان يرى في ذلك الموقف الذي تخشع له القلوب •

ومهما يكن من أمر فالديوان لا يحفل بشعر الصبا ولا تعينه المصادر في اكمال ما نقص • ولا يعقل أن يكون ما ذكرناه كل شعر أبي حيان في الاندلس ، بعد أن رأيناه يتحدث عن نفسه وعلمه وشعره في الابيات السابقة •

وشعر أبي حيان في هذه الفترة واضح التقليد ، ولا عجب في ذلك

---

(١) بغية الوعاة ج١ ص٢٨١ •
(٢) نفح الطيب ج٣ ص٣٤١ •
(٣) دعوة الحق ص٧٦ •

فليس من شاعر ناشيء الا والتقليد يسري في شعره • وشعره الى جانب هذا يحفل بالجودة والمتانة ، ولو بقيت لنا قصيدته الدالية التي نظمها في مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها الى مديح صاحب غرناطة ، لالقت ضوءاً على شاعريته وهو في أيامه الاولى من حياة الجهاد وطلب العلم •

وأما شعر أبي حيان في الطور الثاني فهـــو ما قاله بعـد رحيله عن الاندلس ، وفيه يتضح النضج والدربة ، ومعظم شعر هذا الطور في الغزل والوصف والمدح وغيرها من الموضوعات التي كان لها صدى في نفسه يوم ألقى عصا الترحال في المشرق •

وأما شعر الفترة الاخيرة فهو في الحكمة والرثاء والشكوى والحديث عن النفس وما آلت اليه حاله بعد أن ودعه أهلوه وأحبابه واحداً اثـر واحد • وفي هذا الشعر نحس بالألم الذي عبَّر عنه الشاعر أحسن تعبير ، ذلك الألم الذي خلفه موت زوجه وابنته نضار وتلك الشكوى من ضعف البصر وسوء معاملة الناس وعقوقهم •

٣
المـــلامح

وشعر أبي حيان عربي الاسلوب والمنحى ، وفيه تتضح الاصالة التي صقلتها الدربة والحنكة بعد أن استقر في مصر وأصبح علماً يؤمه الطلاب والعلماء ، ينهلون من بحر علمه الزاخر ما شاء لهم أن ينهلوا ، او يطارحونه الحديث في كثير من أمور العلم والحياة ، ويروون شعره الذي كان تعبيراً عن حياته الخاصة وعما كان في أيامه الحافلة بالعلم •

وأبو حيان لا يبتعد في شعره عن الشعر المعروف في عصره وعهود الشعر العربي ، ومعظمه في البحور المعروفة ولا سيما البحر الطويل والبحر البسيط اللذان أكثر فيهما الشعراء من لدن الجاهلية الى أيامه في عهـــد

المماليك • وتتضح فيه الاستفادة من صور الشعر العربي وأساليبه وألفاظه وفنونه ، وتتجلى المعارضة لبعض القصائد المعروفة وأخذه من أشعار معاصريه أو المتقدمين ونقله من أشعار غير العرب •

ولكي نعطي صورة لذلك نكتفي ببعض النماذج التي ذكرها الديوان وبعض المصادر القديمة • ولعل معارضته لقصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول (ص) خير مثال لما نذهب اليه • فقد عارض هذه القصيدة المشهورة كثير من الشعراء ومنهم أبو حيان الذي يقول :

لا تعذلاه فما ذو الحبِّ معذولُ
العقلُ مختبلٌ والقلبُ متبولُ
جميلةٌ فُصِّلَ الحُسْنُ البديعُ لها
فما انثنى الصبُّ إلاَّ وهو مقتول
هزَّتْ له أسْمَراً من خُوطِ قامتِها
فكم لها جُمَلٌ منه وتفْصيلُ
فالنَّحْرُ مرمرةٌ ، والنَّشْرُ عنبرةٌ
والثَّغْرُ جَوْهَرَةٌ ، والرِّيقُ مَعْسولُ
والطَّرْفُ ذوغَنَجٍ ، والعَرْفُ ذوأرَجٍ
والخصْرُ مختطفٌ والمتْنُ مجدولُ
هيفاء يَنْبِسُ في الخصرِ الوشاحُ لها
درْماءُ تَخْرَسُ في السَّاقِ الخلاخيلُ
من اللواتي غَذاهُنَّ النعيمُ فما
يَشْقَينَ ، آباؤها الصِّيدُ البهاليلُ

نَزْرُ الكلامِ عَيِيّاتٌ الجواب إذا

يسّألن ، رقْد الضحى حُضّرٌ مكاسيلُ

وأبو حيان ينهج في ذلك نهج كعب في قصيدته حيث يقول في مطلعها متغزلا :

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبُولُ

مُتيَمٌ إثْرَها لم يُجْزَ مكبولُ[1]

وما سعادُ غداةَ البينِ إذْ رحلوا

إلا أغنُ غضيضُ الطرفِ مكحول

تجلوا عوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت

كأنَّه مَنْهَلٌ بالرّاحِ مَعْلول

وبعد أن يصف أبو حيان تلك المليحة الحسناء يذكر انها حلت بمنعقد الزوراء وانها بعدت :

حلَّت بمنعقدِ الزوراء زائرةً

شوساً غيارى فعِقْدُ الصبْرِ مَحْلولُ

حيٌ لقاحٌ إذا ما يلحقون وغى

حيَتْ ونادمَ مهزوزٌ ومَسْلولُ

لُبانةٌ لك من لُبْناك ما قُضيتْ

وموعدُ لكَ منها الدَّهْرَ ممطولُ

كما قال كعب :

فلا يَغرَّنْكَ ما منَّتْ وما وَعَدَتْ

إنَّ الأمانيَ والأحلامَ تَضْليلُ

---

(١) ينظر شرح ديوان كعب بن زهير ص٦ وما بعدها .

أَمْسَتْ سُعادُ بأَرْضٍ لا يُبَلِّغُهـــا
إلا العتـــاقُ النجيباتُ المراســـيلُ
ولـــن يُبَلِّغَهـــا إلاّ عُـذافـرةٌ
فيها على الأَيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيلُ (١)

ويُحسن أبو حيان التخلص فيقول :

فَعَـــدِّ عن ذِكْرِ لبنى إنَّ ذِكرَكَهـــا
على التنـــائي لتعذيبٌ وتعليـــلُ
إيَّـــاكَ منك نذيرٌ مـــا نذرْتَ بـــه
وبادر التَّوْبَ ، إنَّ التَّوْبَ مقبـــولُ
وأَمِّلِ العفْـــوَ واسْلُكْ مَهْمهاً قذفاً
الى رضى الـــربِّ إنَّ العفْـــو مأمـــولُ
إنَّ الجهـادَ وحجَّ البيتِ مُختتماً
بذمةِ المصطفى للعفـــو تـأميـــلُ

كما أَحْسَنَ كعب التخلص فقال في مدح سيد المرسلين (ص) :

فقلتُ : خلّـوا طريقي لا أبالكـم
فكلُّ مـا قـدَّرَ الرحمـنُ مَفْعـــولُ
كُـلُّ ابنِ انثى وإنْ طالت ســـلامتُه
يَوْماً على آلةٍ حَدْباءَ محمـــولُ

---

(١) عذافرة : شديدة غليظة • الاين : الاعياء • الارقال : ان تعدو وتنفض راسها • التبغيل : مشي فيه سعة •

أُنْبِئْتُ أَنَّ رســولَ اللهِ أَوْعــدني

والعفوُ عند رسولِ اللهِ مأمـولُ

مَهْلاً هـداكَ الذي أعطـاكَ نافلــةَ الـ

ـقرآنِ فيهــا مواعيظٌ وتَفْصـيلُ

ويتحدث أبو حيان عن سفره ويصف ما رأى حتى يصل الى الثغر مع الناس ويكبرون اعظاما لربهم وكلهم طرفه بالسهد مكحول ، ويقطعون ما بين الثغر والبيت الحرام على نجائب بها الخير معقود حتى اذا لاح بيت الله حفوا بكعبته :

حَفُّــوا بكعبــةِ مولاهــم فكعْبُهُــمْ

عــالٍ بهــا ، فلهــم طَوْفٌ وتَقْبيــلُ

وبالصَّفــا وَقْتُهــم صافٍ لسـعيهم

وفي منى لمنــاهم كــان تنويــلُ

تَعَرَّفــوا عرفاتٍ واقفيــن بهــا

لهــم الى اللهِ تكبــيرٌ وتَهْليــلُ

ثم ماذا بعد ذلك ؟

لمــا قضينــا من الغــرّاء مَنسـكَنا

ثُرْنا ، وكلٌّ بنارِ الشَّوْقِ مَشْمولُ

ثُرْنا الى الشَّــدْقَمياتِ التي سَهِكَتْ

أبدانُهــنَّ وأَعيــاهُنَّ تَنْعيلُ[1]

(١) الشدقميات : الابل المنسوبة الى شدقم وهو فحل كان للنعمان بن المنذر · سهكت : سهك الرجل : ظهرت له ريح كريهة من عرقه ، وسهكت الدابة جرت جريا خفيفا وتمايلت يمينا وشمالا ·

الى الرسولِ نُزَجّي كُلَّ يَعْملةٍ

أجل من نحوه تُزجى المراسيلُ

مَنْ أُنْزِلَتْ فيه آياتٌ مطهرةٌ

وأوريَتْ فيه توراةٌ وانجيل

ويستمر في مدح الرسول (ص) حتى اذا جاء الى القرآن الكريم قال :

أوْحى اليه الذي أوْحاهُ من كُتُبٍ

فالقلبُ واعٍ بِسِرِّ اللهِ مَشْغولُ

يتلو كتاباً مِن الرحمنِ جاء به

مُطَهَّراً ظاهرٌ منه وتأويلُ

جارٍ على مَنْهجِ الأَعْرابِ أَعْجزهم

باقٍ مَدَى الدَّهْرِ لا يأتيه تبْديلُ

بلاغَةٌ عندها كَعَ البليغُ فلم

يَنْطِقْ ، وفي هَدْيه طاحَتْ أضاليلُ

ويعود بعد ذلك الى الرسول (ص) فيقول :

وكم له معجزاً غير القُرآن أتى

فيه تظافَرَ مَنْقولٌ ومَعْقولُ

فللرسولِ انشقاقُ البدر نَشْهَدُهُ

كما لموسى انفلاقُ البحر مَنْقولُ

وبعد أنْ يذكر كراماته ـ عليه السلام ـ يختم قصيدته بقوله :

هـذا وكم معجـزاتٍ للرسـولِ أتَتْ
لهـا من اللهِ إمْدادٌ وتأْصيـلُ

غَدَتْ من الكُثْرِ أعْداد النجوم فما
يُحصي لها عَدَداً كُتْبٌ ولا قِيـلُ

قد انقضت معجزاتُ الرُسْلِ منذ قَضَوا
نَحْبـاً ، وافحم منهـا ذلك الجيـلُ

ومعجـزاتُ رسـولِ اللهِ باقيـةٌ
محفوظةٌ مـا لها في الدهْرِ تحويلُ

تكفَّـلَ اللهُ هـذا الذكر يحفظـه
وهـل يضيع الذي باللهِ مكْفـولُ

هذي المفـاخرُ لا تحظى الملـوكُ بهـا
الملكُ منقطعٌ والوحي موْصـولُ

وينهي كعب قصيدته بمدح الرسول أيضا ، ومن هنا تبدو متابعة أبي حيان له في الغزل والوصف والمدح وحسن التخلص ، ولا يقلل من قيمة القصيدة ما فيها من متابعة لولا انها جاءت في عصر غلبت على شعرائه الصنعة والغلو في ذكر المحسنات البديعية .

ويتجلى أخذ أبي حيان من الآخرين في بيتيه المشهورين وهما :

عِداتي لهـم فَضْلٌ عليَّ ومِنَّـةٌ
فلا أذْهَبَ الرحمنُ عني الأعـاديا

هُمْ بَحثوا عن زَلَّتي فاجْتَنَبْتُها

وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليــا

وقد أخذهما من قول الطغرائي[1] :

من خصَّ بالـودِ الصحــابَ فـانني

أَحَبْـو بخالص وِدّيَ الأَعْدّاءا

جعلــوا التنافُسَ في المعــالي دَيْدني

حتى وطئت بأخمصي الجـــوزاءا

ونَعَـوا اليَّ مثالبي فحذرْتُهــا

ونفيتُ عن أَخْـلاقيَ الأَقْـذاءا

ولربّمــا انتفــع الفتى بعدوهِ

كالســم أحيــانا يكــون دَواءا

(١) ينظر نفح الطيب ج٣ ص٢٩٠ ، وديوان الطغرائي ص ٦١ ـ ٦٢ (مطبعة الجوائب ١٣٠٠ هـ) ، والابيات فيه :

من خص بالشــكر الصــديق فانني

أحبــو بخالص شــكري الاعــداءا

جعلوا التنافس في المعــالي ديـدني

حتى امتطيت بنعلي الجـــوزاءا

نكروا عليّ معــايبي فحــذرتها

ونفيت عن أخــلاقي الاقــذاءا

ولربما انتفــع الفتى بعــدوه

والسم أحيانا يكــون شــفاءا

وبيتا أبي حيان اكثر ايجازاً وأوضح دلالة وأشد تأثيرا .

ويتجلى الاخذ في قوله :

إني لأَسْمَعُ من خُلْدٍ وحين أرى
حِبي يحدثني أُصْغي على صَمَمِ

كيما تَلَذَّ بتكرارِ الكلام معي
أذني ، وتلفظ منه الدرَّ في الكَلِمِ

يقول أبو حيان : « أخذت هذا المعنى من قوله » :

تصامَمْتُ إذْ نطقَتْ ظَبْيَةٌ
تصيد الأسودَ بألحاظِها

وما بيَ وَقْرٌ ولكنني
أَرَدْتُ إعادةَ ألفاظِها

وفي قوله :

إذا وضعَ الاحسانُ في الخب لم يُفِدْ
سوى كفره ، والحرُّ يجزي به الشُكْرا

كغيثٍ سقى أفعى فجاءَت بسمها
وصاحَبَ أصْدافاً فأثْمرتِ الدُرَّا

وقد ذكر المقري قبلهما : « وقال ابن رشيد : حدثنا أبو حيان قال :
حدثنا التاجر أبو عبدالله البرجوني بمدينة عيذاب من بلاد السودان —

وبرجونة قرية من قرى دار السلام ـ قال : كنت بجامع « لولم » من بلاد الهند ومعنا رجل اسمه يونس ، فقال لي : اذكر لنا شيئاً . فقلت له : قال علي ـ رضي الله عنه ـ : « اذا وضع الاحسان في الكريم أثمر خيراً ، واذا وضع في اللئيم أثمر شراً ، كالغيث يقع في الاصداف فيثمر الدر ويقع في فم الأفاعي فيثمر السم » .

فما راعنا الا ويونس المغربي قد أنشدنا لنفسه :

صنائعُ المعروف إنْ أودعتْ

عند كريمٍ ذكتِ النعْما

وإنْ تكن عند لئيمٍ غدَتْ

مكفورةً موجبةً إثْما

كالغَيْثِ في الأَصْداف درٌ وفي

فم الأفاعي يُثمِرُ السُّما

قال أبو حيان : « فلما سمعتُ هذه الأبيات نظمت معناهما في بيتين هما : اذا وُضِعَ ... »(١) .

وقال أبو حيان : « قرىء عليّ في شعر الأعشى قوله :

عُلّقْتُها عَرَضاً وعُلّقتْ رَجُلاً

غيري وعُلّق أخرى غيْرَها الرَّجُلُ

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص٣٣٩ .

وعُلّقتْه فتاةٌ ما يحاولها

ومن بني عمها مَيْتٌ بها وَهِل[1]

وعُلّقتني أُخيرى ما تلائمني

فاجتمع الحب حبٌ كُلُّهُ تَبلُ[2]

فاعجبتني هذه السلسلة التي هي ست حلقات فرضت نفسي في نظم سلسلة في الحب فقلت :

ولمّا أبَى إلاَ جفاءاً مُعَذّبي

دعوتُ له أنْ يُبْتَلى بهيامِ

وكان دعائي اللهَ وَقْتَ إجابةٍ

فها هو ذا في لوعةٍ وغرامِ

يذوق من الهجران ما قد أذاقني

ويسقم منه الجِسْمُ مِثْلَ سقامي

وكان بخيلاً بالوصال فحبُه

غدا باخلاً حتى بطيفِ منامِ

وعلّقته ريماً وعُلّق آخراً

هوى آخراً يهذي ببدر تمامِ

---

(١) في ديوان الاعشى ص١٤٥ : من أهلها ميت يهذي بها وهل ٠ الوهل : الذاهب العقل ٠٠

(٢) في الديوان : فاجتمع الحب حبا كله تبل ٠ التبل : من تبله ، ذهب بعقله ٠

وعلق أخرى حبها آخر هوى

أُخيرى غدت تهذي بآخر رامِ

الى آخر الأبيات .

ولأبي حيان معانٍ شعرية أخذها من لسان العجم ونظمها في أبيات بديعة ، يقول : « وجاء بعض العجم بأبيات بلسان العجم فيها معانٍ لم يعهدها العرب وسألني نظم معانيها بالعربي في قافية التاء المكسور في بحر الطويل ، فقلت :

مهندُكَ الميمونُ كالسَّيْفِ صورةً

ولكنْ فِرِنْدُ السَّيْفِ ماءٌ بمزنةِ

لئن كان يحكي الماءَ لُطْفاً ورقةً

فكم هامةٍ في ذلك الما غريقةِ

الى آخر الأبيات .

ولو مضينا في المقارنة لوجدنا كثيرا من المعاني والصور التي أخذها من الشعراء الآخرين ، ولايقلل ذلك من قيمة أبي حيان الذي عاش في عصر كان للتقليد فيه أثر كبير .

ومن السمات التي تربط أبا حيان بشعراء عصره تلك المحسنات البديعية التي أكثر الشعراء منها في قصائدهم ، ولكنه استطاع باصالته وشاعريته أن ينجو في كثير من الاحيان من هذا القيد ، وتمكن في بعضها أن يكسبها حياة جديدة لا يضيق بها المطبوعون . وقد مرّت في معارضته لقصيدة كعب بن زهير أبيات فيها جناس وطباق ومقابلة في مثل قوله :

« فالنحر مرمرة والنشر عنبرة » ، وقوله « والطرف ذو غنج والعرف ذو أرج » ، وقوله : « حلت بمنعقد الزوراء ... فعقد الصبر » ، وقوله : « حي لقاح اذا ما يلحقون » ، وقوله : « لبانة لك من لبناك » ، وقوله : « اياك منك نذير ما نذرت » ، وقوله : « حلوا بكعبة مولاهم فكعبهم » ،

وقوله : « وبالصفا وقتهم صافٍ » ، وقوله : « وفي منى لمناهم » ، وقوله : « تعرفوا عرفات » ، وغيرها .

ومن محسناته وتفننه في الشعر قوله :

كأنَّ النَّقا والغُصْنَ والبدرَ والدجى
معاً رِدْفُها والقدُّ والوَجْهُ والشَّعْرُ

وقوله :

لاحت لنا ولها في ساقِها خلخال
وقد تزينَ منها خَدُّها بالخال
لما ظفِرْتُ بها في منزلٍ لي خال
قلت : ارحمي مُدْنفاً ، قالت نعم يا خال
وأسْفَرتْ عن محيا من رآه خال
بدراً بدا ونَضَتْ عنها برودَ الخال
كأنّها غُصُنٌ بالروض من ذي خال
ولا تَسَلْ ما جرى من ناهدٍ مبْخال

فقد كرر لفظة « خال » بمعانيها المختلفة .

وقوله :

عَيْنُ المها للصَّبا قلب الشجي يلْززنْ
كم أتلفت مهجاً منا وكم يعززن
يَهْزُزْنَ سُمْرَ القنا يا حُسْنَ ما يهززن
إذا طعنّ بها في مهجتي يحززن

وقوله :

شوقي لذاك المُحيا الزاهِر الزاهي
شوقٌ شديدٌ وجسمي الواهن الواهي
أَسْهَرْتُ طَرْفي وولهت الفؤادَ هوًى
فالطرْفُ والقلْبُ منها السَّاهِرُ الساهي

الى آخر الأبيات ....

ومثل هذه الفنون كثير في شعر أبي حيان . وصفوة القول : إنّ شعر هذا الرجل يمثل الاصالة والمتانة في الاسلوب واللغة من ناحية ، ويمثل اسلوب عصره في التفنن في القول والاسراف في المحسنات اللفظية والمعنوية من ناحية أخرى ، وهو لذلك يمثل فترة أدبية جديرة بالعناية والدرس ، ويصور جانبا من حياة أبي حيان وثقافته التي كانت واسعة متعددة الجوانب .

٤
الموشحات

ونجد الى جانب هذا الشعر لوناً آخر فتن به أهل الاندلس وأكثروا منه ، وهو الموشحات . والغريب ان مخطوطة ديوان أبي حيان تخلو من هذا اللون من الشعر مع شهرة الرجل بالموشحات وهو الاندلسي الصميم . وأغلب الظن انه لم ينظم موشحات وهو في بلاده الاندلس ، وما وصل الينا يشير الى انه نظمه وهو في مصر . ومن أروع ما له في هذا الباب موشح عارض به ابن عفيف التلمساني ، يقول فيه :

عاذلي في الأَهْيفِ الأنسِ
لو رآه كان قد عذرا

رشأ قد زانه الحور

غُصُنٌ من فوقِه قَمَرُ

قَمَرٌ من سُحْبِهِ الشَّعَرُ

ثغر في فيه أم دُرَرُ

حال بين الدر واللعسِ

خمرة مَنْ ذاقها سَكرا

ويقول :

نَصَبَ العينينِ لي شَرَكا

فانثنى والقلبُ قد ملكا

قمر أضحى له فلكا

قال لي يوماً وقد ضَحِكا

أَتَجي من أَرْضِ اندلسِ

نحو مِصْرَ تَعْشَقُ القَمرا

والقفل الأخير يدل دلالة واضحة على أنّ أبا حيان قال هذا الموشح وهو في مصر *

وله موشح آخر يقول فيه :

إنْ كان ليلٌ داج وخاننا الاصْباح
فنورُها الوهّاج يُغني عن المصباح

*　*

سلافةٌ تبدو كالكوكبِ الأزْهَرْ
مِزاجُها شهدُ وعَرْفُها عَنْبَرْ

يا حبَّذا الوَرْدُ منها وإنْ أَسْكَرْ
قلبي بها قدْ هاج فما تراني صاح
عن ذلك المنهاج وعن هوى يا صاح

ولم نعثر الا على هذين الموشحين بعد أنْ خلا الديوان منهما ومن غيرهما ، ولا نعرف السبب الذي جعل جامع الديوان ومنتقيه يسقط هذا اللون من الشعر الذي اشتهر به الاندلسيون والمغاربة • ولعل الأيام تكشف عن موشحات أُخَر لتضاف الى ما أثبتناه في ملحق في هذا الديوان •

والموشحان اللذان عثرنا عليهما في الغزل والخمرة ، وغزله فيهما يتجه الى الغلمان كما هو مشهور في عصره ، يقول :

مهلاً أَبا القاسمْ على أبي حيّانْ
ما إنْ له عاصِمْ من لحظِكَ الفتّانْ

ويقول :

قَد أتاني اللهُ بالفَرَجِ
إذْ دَنا مني أبو الفرجِ
قَمَرٌ قَدْ حَلّ في المهجِ

ولا نعرف أنّه كان ميالاً الى ذلك ولكنه اسلوب عصره ، ولا نعرف أنّه عاقر الخمرة ولكنه على عادة الشعراء جرى وعلى نهجهم سار ، ولذلك قال :

سلافةٌ تبدو كالكوكبِ الأزْهَرْ

وقال :

سَبْعُ الوجوه والتاج هِيْ مُنيةُ الأَفْراحْ
فاختر لي يا زَجّاج قمصال وزوج أَقْداَح

و « سبع الوجوه والتاج »[1] مكان مشهور ظاهر القاهرة وهو من منتزهاتها يقصده الناس أيام الربيع ، والقمصال خابية الخمر أو دنها ، وأبو حيان يدعو الى ذلك المكان البديع ويطلب أن يعد مجلس الخمر ، وأين منه ما عرف عنه من تقوى وورع ، ولكنه - كما قلنا - جرى على اسلوب شعراء عصره ولا سيما ابن عفيف التلمساني الذي عارض موشحه •

٥
الفنون

عالج الشعراء العرب فنوناً مختلفة منذ عهدهم الأول بالشعر الى عهد أبي حيان ، وكانت معظم الأغراض الشعرية التي شاعت في عصر المماليك ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما قاله الشعراء المتقدمون • وفي ديوان أبي حيان وشعره المبثوث في المصادر القديمة كثير من هذه الفنون والأغراض أهمها وأوضحها : الغزل والرثاء والمديح والوصف والحكمة والتصوف والفلسفة والزهد والاخوانيات والشكوى والعتاب وحديثه عن نفسه وعن الصحابة والكتب ومدعي العلم وغيره •

الغزل :

أما الغزل فهو معظم ديوان أبي حيان ، وأكثره مما قاله في الطور الثاني من حياته ، وهو لونان : غزل بالمؤنث وغزل بالمذكر •

أما غزله الأول فيتجلى في حبه لزوجه أم حيان فقد بث لوعته في اشعاره وتحدث عنها وجن بها ، يقول :

جننْتُ بها سوداءَ لَوْنٍ وناظرٍ
ويا طالما كانَ الجنونُ بسوداءِ

(١) ينظر هامش ٣ ص١١٤ ج١٠ من النجوم الزاهرة وخطط المقريزي ج١ ص٤٨١ ففيهما حديث عن سبع الوجوه والتاج •

وَجَدْتُ بها بَرْدَ النعيم ولم يكن
فؤادي منها في جحيمٍ ولأْواءِ
وشاهَدْتُ معنى الحُسْنِ فيها مُجَسَّداً
فاعجبْ لمعنى صار جَوْهَرَ أَشْياءِ
أطاعِنةً من قَدِّها بمثقفٍ
أصبت وما أغنى الفتى لبْسُ حَصْداءِ
لقد طعنتْ والقَلْبُ ساه فما درى
أَبالقَدِّ منها أمْ بصعدةٍ سَمْراءِ

وأحَسَّ أبو حيان انه جاوز الحد في البيت الأول فغيّره وقال :

جُننتُ بها سوداءَ شعرٍ وناظرٍ
وسمراءَ لونٍ تَزْدري كُلَّ بَيْضاءِ

ويختلط الغزل بالمديح والاعجاب في هذه الأبيات ، ولا غرو في ذلك ، فقد أحبها وهام بها وكانت أنيسه في الغربة وسميره في الوحشة . وقصائده الغزلية كثيرة ولا سيما في التركيات الجميلات اللاتي كن مضرب المثل في أيامه ، يقول :

هو الحُسْنُ حُسْنُ التُرْكِ يُسْبي الورى لُطفا
ويعطف سالي القلب نحو الهوى عَطْفا
يُدِرْنَ من اللُخصْ السواجي مدامةً
فللّهِ ما أَحْلى ولله ما أَصْفى[1]

---

(1) لخصت عينه : ورم ما حولها ، فهو الخص ، وعينه لخصاء ج لخص .

وينصبن من هدب المآقي حبائلاً
فكم أنفس أسرى لدى المقلة الوطفا

ويقول :

كنت قدماً عاشقاً في عرب
وأنا اليوم محب في أسن

ويرى في صغر أعين التركيات جمالاً لا يعدله جمال ، يقول :

بروحي التي زارت بليل واقبلت
تجر على آثارها العصب والوشيا
هداها سناها نحو طاو ضلوعه
على سلوة ماتت ووجد بها حيا
تحلت بدر فوق لبات نحرها
فكان لذاك الدر لباتها حليا
من الترك ضاق العين منها لبخلها
وليست من العين التي تشبه الظبيا

ويقول :

قد سباني من بني الترك رشا
جوهري الثغر مسكي النفس
قد حكى غصناً وبدراً ونقا
في ارتجاج وانبلاج وميس
ضيق العينين تركيهما
واسع الوجنة خزي المجس

وظل أبو حيان يحن الى التركيات وهو في شيخوخته فيقول :

وبي من التُرْكِ ما لو كنتُ أذكُره

لأصبحَ الدَّهرْ مِن ذكراه مُختالا

قد كان هذا وريعانُ الشَّباب لنا

غَضٌّ وطَرْفُ الصِّبا في حَلْبةٍ جالا

ويقول :

يا صبوةً قد أتتني آخر العُمُرِ

تذكر القلْبَ ما قد كان في الصغرِ

وأمّا غَزَله بالمذكر فكثير أيضا ، ومن طريفِ ذلك قولُه :

يقولُ لي العذولُ ولم أُطِعْه

تَسَلَّ فَقَدْ بَدَتْ للحبِّ لِحْيَه

تَخَيَّلَ أنَّها شانَتْ حبيبي

وعندي إنَّها زَيْنٌ وحِلْيَه

ولا تخرج صور غزله بالمؤنث والمذكر عن الصور والأخيلة والمعاني المعروفة . ولعل أبا حيان لم يكن صادقاً في معظم شعره هذا الا ما رأيناه في الحديث عن زوجه زمردة بنت أبرق أم ولده حيان ، مع ان بعض المصادر تروي هيامه بالغلمان وولعه بهم ، يقول الأدفوي في ترجمة ابن دقيق العيد : « وقال لي شيخنا أثير الدين : رآني مرة ومعي شاب أمرد اتحدث معه . فقال : يا أبا حيان أنت تحبه ؟ فقلت : نعم . فقال : أنتم يا أهل الاندلس فيكم خصلتان : محبتكم للشباب ، وشربكم الخمر . فقلت : أما الخمر فواللهِ ما عصيت الله به ، وأما الشباب فان أهل مصر أفسق منا . قال فتبسم »[1] .

---

(١) الطالع السعيد ص٥٨٤ . (تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦) .

والى جانب هذين اللونين من الغزل نجد اتجاها جديداً عند أبي حيان ، فقد هام بحب السود وافتتن في وصف محاسنهن وفضلهن على الغواني البيض ، وله في ذلك فلسفة غريبة ، يقول :

لنــا غرامٌ شــديدٌ في هوى السُّــودِ
نختــارُهُنَّ عـلى بيض الطــلا الغيــدِ
لَوْنٌ بــه أَشْـرَقَتْ أبصــارُنا وحكى
في اللون والعَرْفِ نَفْحَ المِسْكِ والعودِ
لا شــيءَ أحســن من عــاجٍ تركّبُــه
في أبَنــوسٍ ولا أشــفى لمبــرودِ
لا تَهْوَ بَيْضاءَ لَوْنَ الجِصِّ واسْمُ الى
سوداءَ حسناءَ لون الأَعْينِ السُّــودِ

ويقــول :

علقته ســبجيَّ اللــون فاحمــه
ما أبيضٌ منه سوى ثغرٍ حكَى الدررا
قد صاغـه من ســواد العــين خالقُــه
فكُــلُّ عينٍ اليــه تُدْمِنُ النَّظَــرا

ويقول في زوجه ــ على احدى الروايات ــ :

جُنِنْتُ بهــا ســوداءَ لــونٍ وناظــر
ويـا طالمــا كان الجنونُ بســـوداءِ

ولم يظل أبو حيان صريع السود بل قال في عكس ذلك :

إذا مــال الفتى للسّــود يومــاً
فــلا رأيٌ لديــه ولا رَشــادُ

أتَهوَى خنفساءَ كأنَّ زفتاً
كسا جِلْداً لها وهو السَّوادُ
وما السَّوداءُ إلا قِدْرُ فرنٍ
وكانونٌ وفَحْمٌ أوْ مِدادُ
وما البيضاءُ إلاّ الشمْسُ لاحت
تُنيرُ العينُ منها والفؤادُ
سبيكةُ فضةٍ حُشيَتْ بوردٍ
يَلَذُّ السُّهْدُ معْهاً والرُّقادُ
وبَيْن البيضِ والسُّودان فَرْقٌ
لدى عَقْلٍ به اتَّضح المرادُ
وُجوهُ المؤمنينَ بها ابيضاضٌ
وَوَجْهُ الكافرينَ به اسودادُ

وفي ذلك مفارقات كبيرة ، ولعل الشاعر كان يتفنن في قوله ، فيهوى السود ويقع في غرامهن أحيانا ، ويعشق البيض ويسقط صريعا في هواهن احيانا اخرى •

ولا يقف أبو حيان عند هذا وانما يصور كيد النساء والغلمان فيقول :

جُبِلَ النساءُ على التكتم فاحترزْ
من كيدهِنَّ وإنَّه لعظيمُ
فمتى تعف فربما عَفَّتَ فانْ
تهمل فكشْحٌ يُسْتَباحُ هَضيمُ

وكـذا الصبيُّ إذا عرَتْه خصاصةٌ
يبـدو لـه لفْـظٌ يُعَـدّ رخيـمْ

ويعلن توبته من الغواني فيقول :

قد كان هـذا وريعـانُ الشباب لنـا
غَضٌ وطرْفُ الصِّبا في حلْبـةٍ جالا
والآن أَحْدَثَ شيبي في ضعف قوًى
وأَوْرَثَ القلْبَ أوْجاعاً وآجـالا
وصارَمَتْني وصارَمْتُ الغوانيَ لا
يحفلن بي كلهـا في ودِّهِ حـالا
وتُبْتُ لله أَرْجـو منـه مغفـرةً
ورحمـةً توسِـعُ المسكينَ إفضـالا
فالحمْدُ للهِ إذْ لم يأْتني أَجلي
حتى اكتسيْتُ من الطاعاتِ سربالا

ولم يقترف أبو حيان معصية حتى يتوب فقد كان عفا بعيـداً عن الشبهات ، يقول :

تَجنَّبْتُ ما يختـار منه ذوو الخنـا
قبيـح فعـالٍ يُوجِبُ المَقْتَ والزّلَـلْ
فلم أَرَ مثلي عاشـقاً ذا صبابـةٍ
تمكّن مما يشـتهيه وما فَعَـلْ

ويقـول :

وكنت امرءاً أهوى الجمالَ ولم أشبْ
ودادي يـوماً باتبـاعي للغـيِّ

ولأبي حيان غزل عجيب وعشق أعجب فهو يتغزل بالبرص وبنوتي ويعشق مصارعا وفحاما واعمى وأحدب وشيخا ، وكأنه أراد بذلك أن يدلي بدلوه فى كل فن ولون ، يقول فى الشيخ :

تعشقته شـيْخاً كـأنَّ مشـيبه
على وجنتيـه ياسـمينٌ على وَرْدِ

أخا العقـلِ يدْري مـا يُراد مِن النهى
أمِنْتُ عليـه مـن رقيبٍ ومـن ضـدِّ

وقالوا : الورى قسمانِ في شرْعةِ الهـوى
لسُودِ اللحـى ناسٌ وناسٌ الى المُـرْدِ

ألا إنّني لـو كنتُ أصْبو لأمْـردٍ
صَبَوتُ الى هيفـاءَ مائسةِ القَـدِّ

وسودُ اللحى أبْصَرْتُ فيهم مشاركاً
فأحْبَبْتُ أنْ أبقـى بأبيضهـم وَحْـدي

ويقول في الأعمى :

ما ضرَّ حسـن الـذي أهـواه أنَّ سـنى
كريمتيـه بـلا شيْنٍ قـد احتجبـا

قد كانتـا زهْرتي روْضٍ وقـد ذوتـا
لكنَّ حُسْنَهُما الفتّانَ مـا ذَهبـا

كالسَّيْفِ قَدْ زالَ عنه صقله فغدا
أنْكى وآلَمَ في قلْبِ الذي ضَربا

وهذا تعليلٌ عجيب ، فهو يُحبُّ الشيخَ لينفردَ بحبه ، ويهوى الأعمى لانّ هواه أكثر ايلاما ، ويهيم بالابرص والنوتي والمصارع والفحام والاحدب لأمور يراها جميلة •

الرثاء :

فَقَدَ أبو حيان الأهل والولد والاصدقاء واحداً اثر واحد فبكاهم أوجع البكاء وذرف عليهم الدمع مدرارا • وكان أهل بيته خمسة تشرق المنازل منهم ولكنّ الردى طواهم :

خَمْسَةٌ تُشْرِقُ المنازلُ منهم
أُدْرِجوا تَحْتَ ظلمةِ الأَحجار

مات ابنُه حيان وماتت ابنته نضار ولحقت بهما زوجه زمردة بنت أبرق ، يقول :

ودَهاني من بَعْد ذلك فَقْدي
أم حيّان خيرة الأخيار

وتتابعت عليه الآلام وهو شيخ كبير ومضى اولاده الى دار البقاء وظل وحده يندب حظه العاثر ويشكو من الدنيا الفانية ويرجو نعيما دائما في الباقية ، يقول :

وأنتجتُ أفراخاً مضَوا لسبيلهم
على حينِ نقلٍ من سريرٍ ومن مهْدِ
وبلَّغْتُ من عُمري ثمانين حجّةً
وثنتين أمسي دائماً نائماً وَحْدي

ثم يقول :

ودنياهُمُ ما نِلْتُ منها نعيمَها
وأرجو نعيماً دام في جنة الخلْد

ولعل أبا حيان من أكثر الشعراء الذين رثوا بناتهم وبكوا عليهم بكاءاً مرّاً ، وكان يعزها كثيراً ويفضلها على أخيها حيان لانها كانت عالمة معربة مؤدبة ، حضرت على الدمياطي وسمعت من شيوخ مصر وكانت تقرأ وتكتب وخرجت لنفسها جزءاً من الأحاديث ونظمت شعراً وكانت تعرب جيدا ، وكان أبوها يقول : « ليت أخاها حيّان مثلها » . ماتت في جمادي الآخرة سنة ٧٣٠هـ فحزن عليها حزنا عظيماً وجمع في ذلك جزءاً سماه : « النضار في المسلاة عن نضار » ، وكتب عنها البدر النابلسي فقال : « الفاضلة الكاتبة الفصيحة الخاشعة الناسكة وكانت تفوق كثيراً من الرجال في العبادة والفقه مع الجمال التام والظرف»[١] .

ولما توفيت طلع أبوها الى السلطان الملك الناصر محمد وسأل منه أن يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقية فأَذِنَ له في ذلك ، ووجد عليها وَجْداً عظيماً وانقطع عند قبرها ولازمه سنة .

وفي الديوان اثنتا عشرة قصيدة في رثائها ، وأبو حيان في كل هذه القصائد يتحدث عن لوعته وحزنه وعن علمها وفطنتها وذكائها ، ويصور ما كان يعتريه وهو مكب على قبرِها يذرف الدمع ، يقول في قصيدته التي مطلعها :

ضَريحُ بنتي جعَلْتُ بيَتْي
وقُلْتُ : ليتي أَموتُ ليتي

ان الغائب عن اهله يَعود ولكن الميت لا يرجى قدومه ، وان دمعه لا يجري فليبك دماً عليها . ويخاطب تربتها فيقول :

---

(١) الوافي بالوفيات ، والدرر الكامنة ج٤ ص٣٩٥ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣١٥ ، وأبو حيان النحوي ص٤٩ .

يا تربةً قَدْ حَوَتْ نُضاراً

طِبْتِ شَذاً بالذي حَوَيْتْ

لماذا ؟ لأنّها فتاة حَوت عقلاً وبحر علم وسؤدداً ، وسعت الى المكارم والعلى ولكنها لم تمتع بشيء ، فسرعان ما سرت الى عالم عليّ بعد أن آمنت بالقضاء لتعيش روحها في جنة الخلد .

ويختم قصيدته بقوله :

وإنَّ بيتاً أضحى مَحَلاً

لخيرِ بِنْتٍ لخيرُ بَيْتِ

ومضت الأعياد وأبو حيان مكب على قبر ابنته نضار لا يبرحه ولا يستطيع سلوانا ، يقول :

إن جسمي مقيدٌ بالضريحِ

وفؤادي وَقْفٌ على التبريحِ

راح عيدٌ وبعْدُ عيدٌ كبيرٌ

ونضارٌ تحت الثَّرى والصفيحِ

لا أرى فيهما وُجيهَ نُضار

يا لشوقي لذا الوُجيه المليحِ

ونُضارٌ كانتْ أُنيسي وحبي

ونضارٌ كانت حياتي ورُوحي

ويتحدث بعد ذلك عن ذكائها وعقلها الرجيح وحيائها ونظرها في علوم الفقه والحديث والنحو والتأريخ ، ويشير الى انه سيلحق بها عن قريب :

إنْ تَكن قد تَقَدَّمَتْ وبَقينا

برهةً في زمانِنا المَسْفوحِ

فعلى إِثرها نروحُ ونرجو
عَفْوَ رَبٍّ عن الذنوب صفوحِ

ولا ينفك أبو حيان في قصائده الاخرى عن ترديد هذه المعاني ، ونحس في جميعها بالألم الذي كان يعتصر قلبه والحزن الذي جعل عينيه تبيضان ، ونشعر بكرهه للحياة وأمله في أن يلحق بابنته :

أرْقُبُ المَوْتَ وأسْتَبْطِئُه
ليلةَ اليومِ أَتى أو في غدِ

ونحس بعزوفه عن الناس :

عَزَفَتْ نفسيَ عن هذا الورى
بعدما حلَّتْ نُضارٌ في الثَّرى

فبسمعي صَمَمٌ إنْ حَدَّثوا
وبعيني نَبْوةٌ أنْ تنظرا

كيف لي عَقْلٌ بأنْ أصْحبهم
لا أرى وَجْهَ نضارِ النيّرا

لا ولا أسْمَعُ من ألْفاظها
كَلِماً قَدْ أبْرزتها دُرَرا

و في بعض قصائده حديث عن مرضها وما كانت تعانيه في الأشهر الستة من حمى وسعال وسل انهك قواها فمضت الى بارئها قبل أن تتمتع بجمالها وعلمها الجم الغزير • وقد تحملت الآلام لانها مؤمنة بالله – عز

وجل ـ الى أن قضت نحبها يوم الاثنين ، يقول :

فما ضَجِرَتْ يَوْماً ولا اشتكتِ الضَّنى
ولا ذكرت ماذا تقاسي من اليأسِ

قَضَتْ نَحْبَهَا في يوم الاثنين بَعْدَما
تَبَدّى لنا قَرْنُ الغزالةِ كالوَرْسِ

ويقول :

قَضَتْ عِنْدَما لاحتْ ذكاءُ وأشْرَقَتْ
لنا عوضا ، أقْبِحْ بها من معوّضِ

ويشير في قصائد أخرى الى حجها البيت الحرام وزيارتها قبر الرسول

عليه السلام ، فيقول :

وبالكعبةِ الغَراء طُفْتِ بمكةٍ
وللحجرِ المسوَدِّ كان التِثامكِ

وجاوَرْتِ أياماً بها ولياليا
وكان كثيراً بالمقامِ مَقامكِ

وزُرْتِ رسولَ الله أفْضَلَ مَنْ مَشَى
على الأرض واحتلَّتْ هناك خيامكِ

فكان ببيتِ الله بِرؤكِ أوّلاً
وزورة خيرِ الخَلْقِ كان اختتامكِ

ويقول في قصيدة أخرى :

قد نوّرَ اللهُ بالتقوى بصيرتها
فلم يضيعْ لها في غيرِها الزَمنا

حَجّتْ وزارَتْ رسولَ اللهِ ثم أتَتْ
لِمصْرَ قَدْ أحْرَزَتْ أجْراً وحُسْنَ ثَنا

وادلهمّت الحياة بوجه أبي حيان وترنّق صفو حياته وظل يردد :

أبَعْدَ نُضارٍ أبتغي صَفْوَ عيشةٍ
وقد كدّرَتْ ، يا بعد عيشي من الصَفْوِ

لقد أشْرَبتُ قلبي وطرفي ومسمعي
ومالِيَ من فِكْرٍ ومالِيَ من عضوِ

وإني معمور الزمان بشخصها
يمثّلُ لي في الأمْسِ واليومِ والغَدْوِ

وعاهَدْتُ أنّي لا أزالُ إزاءَها
مُقيماً كئيباً دائمَ الشَوْقِ والشَجْوِ

الى أنْ تُوافيني شَعوبُ فنرتقي
من الوحدةِ السُفْلى الى العالَمِ العُلْوي

لَئِنْ كان غيري قَدْسَها عن حبيبه
فما أنا يوماً عن نضارٍ بذي سَهْوِ

وإنْ كان سكرانٌ من الحب قَدْ صحـــا

فـإني سَـــكرانٌ ، ومـالي من صَحْـــو

ولحقت زوجُه زمردة بابنتها نضار عام٧٣٦هـ فبكاها كما بكى ابنته ورثاها أحر الرثاء ، يقول وهو يرثي ابنته :

ثمَّ راحَتْ لمَّـــا قضى اللهُ فيهـــا

بِثنـاءٍ وطيِّـبِ التَّـذْكـــارِ

ودَهاني من بَعْـدِ ذلـك فَقْدي

أمَّ حيّـــان خِـــيرةَ الأخيـــارِ

كانت اُنْسـي في وَحْـدتي واغترابي

ومنـامي ويقظـــتي وســـفاري

ونديمــي في رِحْـلتي ومقـــامي

وزميلـي في حجتـــي واعتمـــاري

كُنْتُ أرْجـو بأنْ تعيشَ وتبقى

حـين سـقمي تدور بي وتـــداري

لم تـكن زوجـةً ولـكن كـأمٍّ

وأنـا كابنهـــا صغـــيرُ الصغـــار

كانَـتِ الروحَ بـين جنبيَّ راحت

فحياتي صارت كثـوبٍ مُعـــارِ

دَعَتِ اللهَ أَنْ تموتَ سريعاً
في حياتي في عِزَّةٍ واسْتِتارِ
فأَجابَ الالهُ منها دُعاءاً
وقضت نَحْبَها لدارِ القرارِ
فَسقى اللهُ قَبْرَها - غير عاثٍ
وحباها بديمةٍ مِدْرارِ

وأبو حيان لا يرجو الحياة بَعْدَها :

أأرجو حياةً بعد فَقْدِ زُمَرَّدٍ
وكانَتْ بها روحي تَلَذُّ وتَغْتذي
زُمرَّدُ قد خلَّفْتِ للصَّبِّ لوعةً
وحُزْناً بقلبي آخِذاً كُلَّ مأخذِ

وفي هذه القصيدة الطويلة يتحدث عن زوجه ويصف اخلاقها وعلمها وتقواها وحجها بيت الله الحرام وزيارتها للرسول عليه السلام .

وفي ديوان أبي حيان لون آخر من الرثاء وهو رثاء اساتذته واصدقائه، فقد رثى استاذه رضي الدين الشاطبي وأبا القاسم بن سهل وصدقة الطيبي . وتغلب النظرة العقلية في هذا الرثاء ، ولا نحس بالعاطفة الجياشة التي لمسناها في رثاء اولاده وزوجه .

المديح :

ومَدْحُ أبي حيان يكاد يكون مقصوراً على أهل العلم والأدب ، من أصدقائه وشيوخه وتلاميذه . ولعل لانقطاعه للعلم وعزوفه عن حب الشهرة والحياة الرغدة أثراً في هذا الاتجاه ، فليس له صلات بالسلاطين

والحكام تدفعه الى التزلف والمديح ، وليس له أرب في عطاياهم • وهو حينما مدح جلال‌الدين القزويني وابنه لم يقصد الرفد والمال وحده بل لانّه قسا على الزنادقة وغيرهم من المضللين ، يقول :

أَلا يا قُضاة المسلمينَ أَلا انْهضوا
لقتلِ كفورٍ صار في الدين قادحا
كأني بالقاضي المعظَّمِ قد دَرى
بهم فاغتدوا فوق الترابِ ذبائحا
وإنَّ جلالَ الدين قاضي قضاتنا
أقام منارَ الشَّرْعِ فالتاح واضِحا
وقام بنَصْرِ الدّينِ دينِ محمدٍ
وأَخْمَدَ شَراً كانَ كالنار لافحا
على حين لم ينْهَضْ الى نَصْرِه امروٌ
سواه فأضحى وافرَ الأَجْرِ رابحا
فدام جلالُ الدين للدينِ ناصراً
وللعلِمِ ذا نَشْرٍ وللجود مانحا

ولا ينسىٰ أبو حيان جود القزويني وكرمه ، يقول في قصيدة أخرى :

كريمٌ متى تَسْأَلْه شيئاً فانه
يجودُ ويُعْطي ما تشاءُ وينتقي
وإنَّ جلالَ الدين قاضي قضاتنا
لخيرُ إمامٍ في الفضائل مُعْرِقِ

ويقول عن تاج الدين ابن القزويني :

جليل قَدْرٍ جلال الدين والدُه
قاضي القضاة فمنه نُورُه لاحا
إنَّ الزمانَ بتاجِ الدين مُزْدَهِرٌ
يكادُ مِنْ طَرَبٍ يهتَزُّ أَفْراحا

ومدائحه الاخرى قالها في ابن منظور صاحب « لسان العرب » وأبي زكريا ابن القاسم العزفي وابن الفصيح وابن تيمية وتاج الدين السبكي وبهاء الدين بن النحاس وغيرهم من اصدقائه وشيوخه وتلاميذه .

ولأبي حيّان مدائح في العلم والنحو وغير ذلك ، وهي تدل دلالة واضحة على انصرافه الى الحياة العلمية المحضة وعزوفه عن ملذات الحياة والوقوف أمام أبواب الأمراء والسلاطين .

وليس لأبي حيان قصائد مستقلة في الهجاء وانما تأتي أهاجيه في غضون مدائحه والفخر بنفسه .

الوصف :

وقصائده في الوصف قليلة ، ومن ذلك قوله :

لقد ذكرتُك والبحرُ الخضمُّ طغت
أمواجُه والرَّدى منه على سَفَرِ
في ليلةٍ أَسْدَلَتْ جلبابَ ظلمتها
وغاب كوكبُها عن أَعْيُنِ البَشَرِ
والماءُ تحتَ وفوقَ المُزْنِ واكفُه
والبرقُ يستَلُّ أسيافاً من الشَّرَرِ

والفُلْكُ في وَسَطِ الماءِين تحسبُها
عَيْناً وقد أطبقَتْ شَفْراً على شَفَرِ

وقوله يصف متنزهاً خرج اليه مع ناس من اصحابه :

صَفَفْنا حوالي بركةٍ راقَ ماؤها
ورقٍّ كأخلاقٍ لنا لم ترنَّقِ

سَبَحْنا بها عَوْماً ففارت لسَبْحنا
أوز ففاتتنا تَصيحُ وتلتقي

وناعورةٍ تحكي بطولِ بكائها
ورنَّتِها صَبّاً كثير التشوّقِ

لَئِنْ ضاقَ عنها الجفن من عَبَراتها
فأضْلاعُها عن دَمْعِها لم تَضِقِ

بَكَتْ فأرَتْنا الدَّهْرَ يَضْحَكُ إذْ بكت
وناحَتْ فأزْرَتْ بالحمامِ المطوّقِ

وقوله في وصف روضة :

عدِّ للروضة التي قد تجلت
كعروس ونقَّطَتها الغيومُ
فاكتسى أيكُها من الزَّهْرِ زُهْراً
فكأنَّ الغصونَ فيها النجومُ

وله قصيدتان احداهما فى وصف التمساح والاخرى فى وصف الفيل ، يقول في التمساح :

وخلقٍ غريبِ الشَّكلِ في مِصرَ ناشيءٍ
وما هو في أرضٍ سوى مِصرَ يُوجَد

هو السَّبعُ العادي بنيل صعيدها
يقافص مَنْ للماء في النّيل يقْصِدُ

ويتحدث عن افتراسه الناس ، ويصف ذنبه الطويل المرخى الذي يلفه حول فريسته ، واسنانه ، وصلابة جلده الذي هو كالصفيح المسرد ، والجلدة اللينة التي تحت ابطه وفيها يكون مصرعه .

ويقول في الفيل :

وأدْكَنَ مثل الطودِ أمَّا سراتُه
ففيحاءُ يعلوها عَديدٌ من الرجْلِ

له جُثَّةٌ عظمى كأنَّ إهابَه
صفيحُ حَديدٍ لا يخرّق بالنَّبْلِ

ثم يصف حدَّةَ بصره وقوته وكيف يهزالأرض فتميد بأهلها كأنَّ بها الزلزال . والفيل سفينة البر له خرطوم يقوم مقام اليد في الأخذ والرمي والأكل ، ويلعب بالأسياف كأنها مخاريق بالأيدي ، ويخر ساجداً للسلطان حتى كأنه انسان يحس ويشعر ، يقول :

إذا ما رأى السلطان قد خرَّ باركاً
له خدمة غرزاً بأنيابه العُصْلِ

ذكيٌّ أخو فَهْمٍ على عظْمِ جسمه
يكاد يباري في الذكاء ذوي العَقْلِ

فلو صَحَّ قولٌ بالتناسخِ قلت : قد
سرت روحُ أَرسطو لجثمانه العَبْلِ
غريبَ بلادٍ قد تأنَّسَ بعدما
توحَّشَ دَهْراً في يَبابٍ وفي أَهْلِ
تعالى الذي أَنْشاه شَكْلَ بعوضةٍ
فلا فَرْقَ إلاّ بالتكثرِ والقِلِّ

الحكمة :

تتجلى في شعر أبي حيان الأخير الحكمة والتأمل ، ولا سيما بعد أن خطا خطوات واسعة نحو الشيخوخة والوحدة التي فرضها على نفسه بَعْدَ مَوْت أحبابه واصدقائه ، ومن ذلك قوله :

يا منضيَ الطَرْفِ في مَيْدانِ لذَّتِه
وناضيَ الطرْفِ بين الرّاح والرودِ
سَتَشْرَبُ الراحَ راحَ الوقتِ كارهةً
ويذهبُ الجسمُ بين الترْبِ والدودِ

وقوله :

طالِعْ تواريخَ مَنْ في الدَّهْرِ قد وُجدوا
تَجِدْ خطوباً تُسلّي عنك ما تَجِدُ
تَجِدْ أكابرهم قد جرعوا غصصا
من الرزايا بها كم فُتِّتَتْ كَبِدُ

وقوله :

ويزهى الفتى بالمالِ والجاه في الدنى
ولذةِ مطعومٍ وناعمِ ملبوسِ

وغايتُـه ضَعْفٌ وشيبٌ وميتـةٌ

وقبـرٌ وبعْثٌ للنعيـمِ أو البـوسِ

وقولـه :

إِذا استَتْبعتْ نفسُ امـريءٍ نفسَ غيره

فتلك لهـا عـزٌ وهذي لهـا ذلٌ

كفى بـك نَقْصاً أَنَّ غيرَكَ حاكمٌ

عليـك فلا عقـدٌ اليـك ولا حَـلُ

ومن أبياته السائرة في الحكمة قوله :

عداتي لهم فضلٌ عليَّ ومنـة

فـلا أذهب الرحمـنُ عني الأعـاديا

هُمُ بحثـوا عن زلَّتي فاجتنبتهـا

وهـم نافسـوني فاكتسبت المعاليا

وشعر الحكمة مبثوث في قصائده وديوانه ، ويمثل هذا اللون اتجاه أبي حيان في حياته الأخيرة •

التصوف :

ازدهر التصوف ازدهاراً عظيماً في عصر أبي حيان ، وظهر في مصر عدد كبير من ائمته الذين تنسب اليهم طرق ومناهج بأعيانها أمثال ابراهيم الدسوقي والسيد احمد البدوي وأبي الحسن الشاذلى وأبي يوسف العباسي المرسي وعبدالعزيز الدريني وغيرهم(١) • وكان لأبي حيان موقف خاص من بعض المتصوفة فقد وقف بوجههم ورماهم بالالحاد والزندقة والنجاسة ونبه الناس الى اعمالهم وسَرَدَ اسماءَهم عندما فسر قوله تعالى : « لقد

---

(١) ينظر الادب الصوفي في مصر للاطلاع على حركة التصوف ومعرفـة الاعلام •

كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح بن مريم »[1] .

ويرى ان من يلبس الصوف ويدعي العلم بالمغيبات انما يفعل ذلك لأجل الانصراف عن العمل والتكسب الى اللهو واللعب بعقول الناس ، ولأجل جمع الاتباع والمريدين . إنّ المتصوفة يتباهون بالعلم وهم أجهل الناس ، ويلبسون الصوف وهم عارون عن الفضل ، يقول :

أَيا كاسياً من جيِّدِ الصُّوفِ نَفْسَه
ويا عارياً من كُلِّ فَضْلٍ ومن كَيس
أَتُزْهَى بصوفٍ وهو بالأَمسِ مصبحٌ
على نعجةٍ ، واليومَ أمسى على تَيْسِ

ويقول في المنتسبة الى الصوف :

فارتَموا يدعون أمراً عظيماً
لم يكن للخليلِ لا والكليمِ
بينما المرءُ منْهُمُ في استفْال
أَبصر اللوح ما به من رقومِ
فجنى العلم منه غَضّاً طرياً
ودرى ما يكون قبل الهجومِ
إنَّ عقلي لفي عقالٍ إذا ما
أَنا صدَّقْتُ بافتراءٍ عظيمِ

قال أبو حيان قبل هذه الأبيات : « ولقد ظهر من هؤلاء المنتسبة الى الصوف أشياء من أدعاء علم المغيبات ، والاطلاع على علم عواقب اتباعهم

---

(1) ينظر البحر المحيط ج٣ ص٤٤٩ ، وأبو حيان النحوي ص٢٢٨ .

وانهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولاتباعهم بها يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ،و لا ينكر ذلك أحد . هذا مع خلوهم عن العلوم يوهمون انهم يعلمون الغيب ... وقد كثرت هذه الدعاوى والخرافات في ديار مصر ، وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقل والنقل وأعياهم طلاب العلوم »[1] .

ولأبي حيان مع ذلك قصائد على طريقة أهل التصوف ، وقد ذكر ابن الملقن انه لبس ملابس الصوفية ، يقول : « وأجاز لي شيخنا الاستاذ أبو حيان الاندلسي جميع ما يسوغ له روايته ، حضرت عنده وسمعت عليه ، وهو لبس من شيخه قطب الدين القسطلاني وكمال الدين بن النقيب »[2] . ومن شعر أبي حيان في هذا الغرض :

سَرَتْ من نسيمِ الأنسِ ما عطَّرَ الكونا
فبحتُ بسر طال كتمي له صَوْنا
وما نَظَرَتْ عيني الى غيرِ واحدٍ
تصرّفَ في كلٍ ، فلونٌ يرى لَوْنا
وما أدْرَكَ الاشياءَ غيرُ منطّقٍ
أخي لُطْفٍ يَمْشي على أرْضِهِ هَوْنا
فكم بَيْنَ ذي عِلْمٍ وآخَرَ جاهلٍ
وكم بين ذي نُورٍ وعادِمِهِ بَوْنا
هي النَّفْسُ يجلوها فتبدو حقائقٌ
بها وصداها الجون يظهره جَوْنا

(١) البحر المحيط ج٤ ص١٤٥ .
(٢) طبقات الأولياء (مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ومخطوطة الظاهرية بدمشق ونسخة الاستاذ عبدالله الجبوري التي يقوم بتحقيقها) .

ومن أبياته في غرض التصوف قوله :

تفرَّدْتُ لما أنْ جمعت بذاتي
واسكنت لما أنْ بدَتْ حركاتي

فلم أرَ في الأكوان غيري لانني
أزحت عن الأغيار روحَ حياتي

الى آخر الأبيات .

الفلسفة :

ووقف من الفلاسفة كما وقف من المتصوفة ، ورأى أن كلامهم مطرح لا يلتفت اليه وانه ينبغي تنزيه تفسير الكتاب العزيز منه[1] . وحمل عليهم وعلى القرامطة والزنادقة حملة عنيفة ، يقول :

أرى كلَّ زنديقٍ إذا رام نَشْرَ ما
طواه ادّعى أنْ صار في الناس صالحا

فيستخدمُ الجهّالَ يَنْهَبُ مالهم
ويُبْدي لهم كِذْباً على الله فاضحا

قرامِطُ دجّالونَ سُنْخُ ضلالةٍ
كلابٌ على الاسلام أضْحتْ نوابحا

ويذكر في هذه القصيدة أنّ هؤلاء حرفوا القرآن الكريم تحريف كافر ويدعو قضاة المسلمين الى قتل كل كفور صار في الدين قادحاً ، ويمدح جلال الدين الخطيب القزويني لانه نهض لهذه المهمة وأخمد الشر الذي أثاره هؤلاء .

---

(١) ينظر البحر المحيط ج٥ ص٣٨٧ وص٤١٦ ، وأبو حيان النحوي ص٢٣٠ .

ويقول في قصيدة أخرى :

أَمطلباً رَشاداً من أناسٍ
غَدَوا وَهُمْ على غَيٍّ عكوفُ
قد اتخذوا مجالسَ لاجتماعٍ
بأغمارٍ وهم فيه صنوفُ
فَبَعْضُم اتحاديٌّ وبعضٌ
لباطنٍ أو لفلسفةٍ يَشوفُ
قرامطُ يدَّعون لهم صلاحاً
ودنيا والفسوقُ لهم حَليفُ

ويتحدث عن كذب الفلاسفة فيقول :

وادَّعى الفيلسوفُ وهو كذوبٌ
إنَّ عَوْدَ الجسومِ صار مُحالا
وسَواءٌ إِعادةٌ وابتداءٌ
عند ربي والعَوْدُ أَهْوَنُ حالا
كلُّ ما شاءَه إلهُ البرايا
كونَه فهو كائنٌ لا محالا
واختلافُ الأنامِ في النفس جَهْلٌ
لا يَزيدُ البحَّاثَ إلاَّ ضلالا
هي خَلْقٌ وليس يَعْلَم خَلقٌ
كنهها ، إنها عجيبٌ فعالا

وادَّعى علمه بها فَلْسَفيٌّ
بكلامٍ قد أوْهَمَ الجُهّالا
وأدَّعى إنّها قديمةُ ذاتٍ
قِدَمَ الربِّ ، جَلَّ ربي جلالا

الزهد :

وهذا الفن من شعره المتأخر قاله بعد أن ذاق حلو الحياة ومرها ، وبعد أن مرّ بتجارب كثيرة ورأى الناس على طبيعتهم • وكان لابدّ له أن يزهد بكل شيء بعد أن ايقن أنّ الحياة فانية ، وبعد أن ودّع اولادَه وزوجَه واصدقاءَه ، يقول :

وما لكَ والاتعابَ نَفْساً شريفةً
وتكليفَها في الدَّهْرِ ما ليس يَعْذُبُ
أرِحْها فعَنْ قُرْبٍ تُلاقي حمامَها
فتنعمُ في دارِ البقا أو تُعَذَّبُ

ويقول في المال :

وزهَّدَني في جَمعيَ المالَ أنّه
إذا ما انتهى عند الفتى فارَقَ العُمْرا
فلا رُوحُه يوماً أراحَ من العَنا
ولم يكتسِبْ حَمْداً ولم يَدَّخِرْ أجْرا

ويقول :

تذكُّري للبلى في قَعْرِ مظلمةٍ
أصارني زاهِدا في المالِ والرُّتَبِ

إني أُسَرُّ بحالٍ سوف أُسْلبها

عمّا قريبٍ وأبقى رِمّة التربِ

ويقول :

لقد زادني بالنَّاس عِلْماً تجاربي

ومن جَرَّبَ الأَيامَ مثلي تَعلَّما

وإني وتَطْلابي من الناسِ راحَةً

لكالمبتغي وَسْطَ الجحيم تَنعُّما

سَأَزْهَدُ حتى لا أرى ليَ صاحباً

وأُنْجِدُ حتى لا ألاقيَ مُتْهِما

ويقول :

يومُنا يُشبه أَمس مِثْلَما نُصْبِحُ نُمسي

إنَّ هذي لحياةٌ ما تساوى عشر فَلْس

الاخوانيات :

ولأبي حيان مطارحات ومجاملات مع اصدقائه واساتذته وتلاميذه ، وفي ديوانه وشعره المنثور في الكتب أمثلة كثيرة ، من ذلك قوله مخاطبا ابن جماعة عند ولادة ابنه عمر بعد بنتين :

حبيتَ بريحانتي روْضَةٍ

وبعدَهما جاءَ نَجْلٌ أَغَرّ

وقوله رداً على أبيات تلميذه بهاءالدين السبكي :

أبو حامدٍ حتْمٌ على الناس حَمْدُه

لما حاز من علمٍ به بان رُشْدُه

وقوله لابن فضل‌الله الذي طلب منه استعارة ديوان أبي فراس فأرسله اليه أبو حيان مع أبيات أولها :

لا سفْرَ هــذا السفر إنْ صار مُلْكَ مَنْ
مكارمُــه أنْدى وأجْــدى من السُّحْبِ

ومن ذلك قصائده في بدر الدين الاسعردي ، وبدر الدين بن جماعة ، وشرف‌الدين الحراني ، وجلال‌الدين القزويني ، وشرف‌الدين السنجاري المجدلي امام جامع الأزهر قطب الدين ، وشمس‌الدين السروجي الحنفي ، والقاضي نجم‌الدين ، وابن الوكيل ، وبهاء‌الدين بن النحاس الحلبي ، والوزير أبي القاسم الرندي ، والتاج مظفر الذهبي وغيرهم .

وتظهر القصائد التي قيلت في هؤلاء أو وجهت اليهم علاقة أبي حيان بأعيان عصره ومودتهم واحترامهم العظيم له . وكان بعض هذه القصائد جوابا لرسائل أو أبيات شعرية بعث بها هؤلاء الأعلام .

الشكوى :

رفع أبو حيان صوت الشكوى بعد أن تخطى عتبة شبابه وكهولته ، ومضى يشكو مما هو فيه من حزن وألم ، ولوعة وفراق ، ومما لقيه من الأيام والناس ، يقول :

أيَّ عيشٍ لشَــيخٍ هــو حَيٌّ مِثْلُ ميْتٍ
عادمُ الانس غــريبٌ مُفْرَدٌ من أهْلِ بيت
ولــه نفسٌ تنــادي للمنــايا هيْتَ هيْتَ

ويقــول :

رمــاني الزَّمــانُ بأحْداثــه
وكنْتُ صَــبوراً علی مـا حَدَثْ

وأَفْنى الشّباب وأَهْلاً قَضَوا

وما كُنْتُ ممن بذاك اكترثْ

ويقول :

مَلَلْنا ومَلَّتْنا الحياةُ فلو أتَتْ

شَعوبُ استَرَحْنا من مُقاساةِ أعْراضِ

تقارُبُ خَطْوٍ وانحناءٌ وشيبةٌ

وضَعْفُ لحاظٍ وانتهاض كمنهاضِ

ويقول :

حَلَبْتُ الدَّهْرَ أشْطُرَه زَمانا

وأَغناني العيانُ عن السُّؤالِ

فما أَبْصَرْتُ من خِلٍّ وَفيٍّ

ولا أَلفيت مشكورَ الخلالِ

ذئابٌ في ثيابٍ قد تَبَدَّتْ

لرائيها بأشْكالِ الرجالِ

ويشكو من ضعف بصره فيقول :

ومنذ عيا بصري ضعفه

قَعَدْتُ كأني رهينُ الجَدَثْ

وقد كنْتُ مستأنساً ساكناً

فقد صِرْتُ مُسْتَوحشاً ذا عَبَثْ

إذا رُمْتُ انظر في مهرق

تغشى سَنا ناظريَّ الشَّعَثْ

ويقـول :

أرى بصري قَد قَلَّ إذْ صِرْتُ مبتلى
بدائـرةٍ منهـا لوجهي براقـع

ويقـول :

عَشِيَتْ عيني فلا أُبْصِرُ مـا
خطَّ في صُحُفٍ ولا شيء حسـن
ولقـد كان أنيسـي بَصَـري
فعدمْتُ الأُنْسَ منـه والوسن

ويشكو من الناس لانه لم يجد فيهم رجلاً صالحاً ، يقول :

عجبْتُ لمثلي عِشْـتُ سَبعين حجـة
وتسعاً أُلاقي النَّاسَ شَرقاً ومَغْرِبا
فمـا ظَفِرَتْ عَيْني بمَنْ هو صالحٌ
سوى مَنْ بـه بين الأنـام تلقّبـا

ويقـول :

وقد جلْتُ ما بـين الحجازِ ومغربٍ
واندلسٍ مع مِصْرَ في البَرّ والبَحْرِ
فلم أرَ في الدنيـا امْرءً هـو يرتجى
لنفـعٍ ولا يدعى ليكشف عن ضُـرّ

ويقول في أهل مصر الذين عاش معهم زمناً طويلا :

عذيري من بني مِصْـرٍ فـاني
أَفَدْتُهمُ العلومَ ، ولا فخارُ

أَقَمْتُ بمصرِهم ستين عاماً

فلم يُخْلِص لي فيهنَّ جارُ

وفارَقْتُ الأنامَ وفارقوني

فها أنا لا أَزورُ ولا أُزار

فانْ ماتوا فلا أَسَفٌ عليهم

وإنْ مُتْنا فقد ماتَ الخيار

ولذلك انصرف أبو حيان عن الناس وجلس مع كتبه التي هي أعز ما عنده ، يقول :

أرحت نَفْسي من الايناس بالناس

لما غنيتُ عن الأكياس بالياسِ

وصِرْتُ في البيت وَحْدي لا أرى أحداً

بناتُ فِكْري وكتبي هُنَّ جلاّسي

ويقول :

أعاذِلَ ذَرْني وانفرادي عن الورى

فلستُ أُرى فيهم صَديقا مصافيا

نداماي كُتْبٌ أَسْتفيدُ علومَها

أَحِبّايَ تُغْني عن لقائي الأعاديا

وآنَسُها القرآنُ فهو الذي به

نجاتي إذا فكرْتُ أو كنت تاليا

لقد جلْتُ في غرْب البلاد وشرقها

أنقب عمن كان لله داعيا

فلم أرَ إلاّ طالباً لرياسةٍ
وجمّاعَ أموالٍ وشيخاً مُرائيا
قبَضْتُ يدي منهم وآثرت عزلةً
عن الناس ، واستغنيت بالله كافيا

وكان سيء الظن بالناس ، يقول :

وأوصاني الرضيُّ وصاةَ نُصحٍ
وكان مُهذَّبا شَهْماً أبيا
بألاّ تحسِنَنْ ظَنّاً بشخص
ولا تصحبْ حياتك مغربيا

ويقول :

قصَرْتُ ذاتي على ذاتي وقُلْتُ لها :
فرّي عن النّاسِ ما منهم ترَي حسَنا

ويقول :

إذا كان للانسانِ عِنْدكَ حاجة
أتى رائحاً فيها اليك وغاديا
فانْ تَقْضِها يَوْماً فليس مسلماً
عليك ويهوى أنْ يُرى لك ناعيا

وما دام الناس كذلك فليتمسك بالدراهم وليعض عليها بالنواجذ لانها أجل شفيع ، يقول :

أجَلُّ شفيعٍ ليس يمكن رَدُّه
دراهِمُ بيضٌ للجروحِ مراهمُ

تَصيرُ صَعْبَ الأمر أسهلَ ما أرى
وتقضي لبـانات الفتى وهـو نـائم

ومن شكواه التي هي أقرب الى العتاب قوله :

أَلا أَبلـغ فـلانَ الـدين عتْبي
عليـه فقـد تمـادى في الجفـاءِ
صَفَوْتَ لـه ضَمْيراً واعتقـاداً
فجـازاني بمـذْقٍ لا صَفـاءِ
ورامتْ مُهْجتي منـه وفـاءً
وهـل خِلٌ يدوم أخـا وفـاءِ

فنون أخرى :

ولأبي حيان شعر في فنون أخرى منها حديثه عن نفسه واعتزازه بهله وفخره بشعره ، يقول :

ولي هِمَّةٌ هامَتْ بادراك غـايةٍ
من العز من يُبْصِـرْ بها يكثر الغبطـا

ويقـول :

إذا أَنـا أَوْدعت الترابَ فلن تـرى
كمثليَ نحويّـاً أَحـدً وأَحْذَقـا

ويقول عن صون علمه :

إنَّ عِلْمـاً تَعِبْتُ فيـه زماني
بـاذِلاً فيـه طـارفي وتـلادي

لجديرٌ بأَنْ يكونَ عزيزاً

ومصوناً إلاّ على الأَجْواد

ويقول عن حضوره مجالس العلم :

وميدان عِلْمٍ قد حَضَرْتُ ولم يكن

لغيري احضار به أنا فارِسُه

إذا قُلْتَ أصغى أَهْلُه وتفهموا

غوامضَ قد أعيت على من يجالِسه

لنوّه بي علمي وزِدْتُ جلالة

وغيريَ فيه خاملُ الذِّكْرِ باخِسُه

وطبّقَ ذكري الأرْضَ حتى كأنما

أنا مَثَلٌ سارٍ تخبُّ عرائِسُه

كأنيَ شَمْسٌ قد أضاء بنورها

جميعُ الدنى معمورُه ودوارِسُه

ليشْنَا حياتي من أَرادوا فانني

شجا حلقه حتى يواريه رامِسُه

ويتحدث عن شعره فيقول :

ولقد بَعَثْتُ من الكلام قَوافيا

تحوي من السِّحْرِ الحلالِ بدائعا

ويقول

إذا ما مضى بَيْتٌ تلاه نظيره

سريعاً وإنْ لم أَدْعُ آخرَ يَلْحقِ

فلا الفِكْرُ مكدودٌ ولا الشعر غامض

ولكنه كالبحــر إنْ يَطْمُ يفْهَـقِ

ومنها حديثه عن صون ماءِ وجهه وعن تواضعه وقناعته وتقريعه لنفسه وأمانيه التي تداعب أحلامه ، وما تلك الأماني الا تلاوة القرآن وعفة النفس يقول :

أُريـدُ من الدنيـا ثـلاثاً وإنّهـا

لغايـةُ مطلوبٍ لمن هـو طالِبُ

تـلاوةُ قـرآنٍ ونَفْسٌ عفيفـةٌ

واكثـارُ اعمالٍ عليهـا أواظِبُ

ويكرر هذه الأمنية في أبيات أخرى فيقول :

أَمـا أَنَّه لـولا ثـلاثٌ أُحِبُّهـا

تمنيتُ أني لا أُعَدُّ من الأَحْيـا

فمنها رجائي أنْ أفـوزَ بتوبـة

تكفرُ لي ذَنْباً وتنجح لي سـعْيا

ومنهُنَّ صوْني النَّفْسَ عن كُلِّ جاهلٍ

لئيمٍ فـلا أمشـي الى بـابه مشْيـا

ومنهنَّ أَخْـذي بالحديث إذا الورى

نَسوا سُنَّةَ المختارِ واتَّبعـوا الرَّأْيا

أَتتـركُ نَصّـاً للرسـولِ وتقتـدي

بشخصٍ ، لقد بدّلت بالرشـد الغيـا

ومنها حديثه عن ابن ابنه وحجه وحج عائلته بيت الله الحرام ، وشوقه اليهم وفرحه بالبشير الذي نادى بقرب وصولهم :

قلت للنفس وهي ذاتُ اضطرابٍ
استكني فقد تقضى السِّفار
قد أَتانا مبشِّرٌ بالتداني
وغداً تجمعُ الحبيبَ الديارُ

ومنها كلامه على النفس وعودتها ، وعلى صلف الأغنياء وشهوة الانسان ومتعته ، والنفور من الزواج وبلاء الدراهم والنساء .

ومن ذلك حديثه عن الصحابة - رضوان الله عليهم - يقول فيهم :

وقُلْ : إنَّ أَصْحابَ الرسول هم الأُلى
بهم يُقتدى في الدين بالقول والفِعْلِ
هُمُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ بعد نبيهم
فليس لهم في السَّبْقِ والفضل من مِثْلِ

وحديثه عن الكتب وعلى رأسها كتاب الله الحكيم الذي نزل معجزة وقف الناس أمامها مبهورين ، يقول عن الرسول (ص) ومعجزة القرآن :

يتلو كتاباً من الرحمن جاءَ به
مُطَهَّراً ظاهرٌ منه وتأويلُ
جارٍ على مَنْهجِ الأَعْراب أعجزهم
باقٍ مدى الدَّهْرِ لا يأتيه تبديلُ
بلاغة عندها كَعَّ البليغُ فلم
ينْطِقْ ، وفي هَدْيه طاحَتْ أَضاليلُ

وطُولبوا أَنْ يجيئـوا حين رابهـم

بسُـورةٍ مثلـه فاستعجز القيـلُ

ويقول عن الكتب التي أعجبته :

أَيـا طالباً أَنْ ينـالَ الأربْ

قريبـاً عليـك لسـان العربْ

تُشـاهِدُ مجموعَ ذي خبرة

بصيرٍ بما قـد نأَى واقتـربْ

ويتحدث عن « لسان العرب » لابن منظور في قصيدة أخرى فيقول :

تَمَّ لسـانُ العربِ فجاء قصـد الاربِ

عشرون سِفْراً بعدها سـبع ذوات نخبِ

جـاء جمالُ الدين في تصنيفـه بالعجبِ

أَبْقـاه ذخراً للورى يبقى بقـاء الحقبِ

ويتحدث عنه في قصيدته التي مطلعها :

أَجَلْتُ لحاظي في الرياضِ الرمائثِ

ونزّهتُ فكـري في فنـون المبـاحثِ

ويشير أبو حيان كثيراً الى كتبه في قصائده ، مفتخراً حيناً ، ومبيناً أهميتها أحيانا أخر ، ويتكلم على الكتب وأهميتها وقيمتها ، ولكنه لا يرى بها فائدة عظيمة من غير أستاذ يوضح مشكلها ويحل غامضها ، يقول :

أمُدّعيـاً عِلْمـاً ولسْـت بقـارئٍ

كتابـاً على شَـيْخٍ به يسـهل الحزْنُ

أتزعم أن الذهن يوضح مشكلا
بلا موضح ؟ كلا لقد كذب الذهن
وإن الذي تبغيه دون معلم
كموقد مصباح وليس له دهن

ويثور أبو حيان في بعض الأحيان على مدعي العلم لانهم يزهون على غيرهم ويفخرون مع أنهم لم ينالوا من العلم الا طرفا يسيرا .

ولم يسلم شعر أبي حيان من الألغاز التي شاعت في عصره ، يقول في صفات الحروف وأخرجها مخرج التغزل :

أنا هاو لمستطيل أغن
كلما اشتد صارت النفس رخوه
أهمس القول وهو يجهر سرا
واذا ما انخفضت أظهر علوه
فتح الوصل ثم أطبق هجرا
بصفير والقلب قلقل شجوه
لأن دهراً ثم اغتدى ذا انحراف
وفشا السر مذ تكررت نحوه

وله في الممازحة قوله :

يا من يوالي علينا دائما ورقا
هلا بعثت لنا في طيها ورقا
إن كان أعجزكم من فقركم ورق
فليس تعجز أن تهدي لنا ورقا

من كان في خِدْمة الملك الهمـام يكن

ذا همةٍ ويجـدْ نحو النَدى طَرقـا

هـذي ممـازحةٌ ليست مطالبـةً

تقضى بصفـو ودادٍ لم يكن رَنِقـا

* * * *

هذه نظرة عابرة ألقيناها على شعر أبي حيان لنصور جانباً ما يزال مهملاً من جوانب حياته ، فقد عرف نحويا ولغويا ومفسراً ولم يعرف شاعراً له ديوان • ويتضح في هذه النظرة أن الرجل شغف بالشعر وكان ينحو فيه منحى عربيا في الصياغة والأسلوب والأغراض ، ولم يخرج على ما عرف في الشعر العربي القديم الا في موشحاته التي خلا منها الديوان ولم نعثر الا على موشحين أثبتناهما في التكملة • ويكاد أبو حيان يقصر شعره على الغزل والرثاء وهما من الفنون الذاتية التي تعبر عما يختلج في نفسه من هوى ومودة ، أو حزن وشكوى • ولا نجد له شعراً في مدح الأمراء والسلاطين كشعراء عصره ، لانه ابتعد عن ساحاتهم ووقف حيث يقف العلماء الذين يتباهون بعلمهم ويفخرون بأنفسهم ويعتزون بها كل الاعتزاز • وهو من الذين يتحاشون صحبة الملوك الذين يستخدمون الناس في ملذاتهم ، أليس هو القائل :

لا تَصْحَبَنْ مَلِـكاً أوْ مَنْ يلوذُ بـه

وإنْ تَنَلْ منهم عِـزّاً وتمكينـا

يسـتخدمونَك في لذات أنْفسـهم

ويذهب العُمْرُ لا دنيـا ولا دينـا

ولعل أبا حيان كان يرى في الشعر سلوى وعزاءاً وترويحاً عن النفس في ساعات يأسها أو نشوتها فينطلق مغرداً كما تغرد البلابل على

الدوح وقت السحر . ولو انه عاش في عصر الشعر الذهبي لأبدع ايما ابداع ولأجاد كما أجاد الشعراء الكبار ، ولكنه كما قال المتنبي :

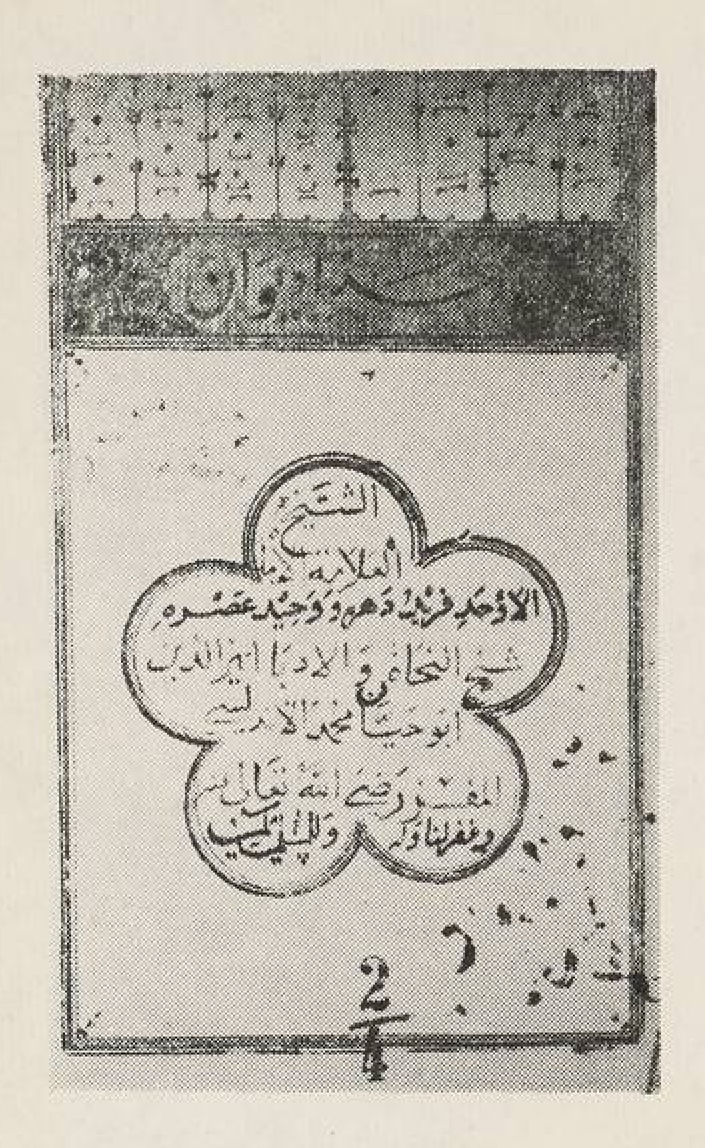
أتى الزمانَ بنوه في شَبيبته

فَسَرَّهم وأتيناه على الهَرَمِ

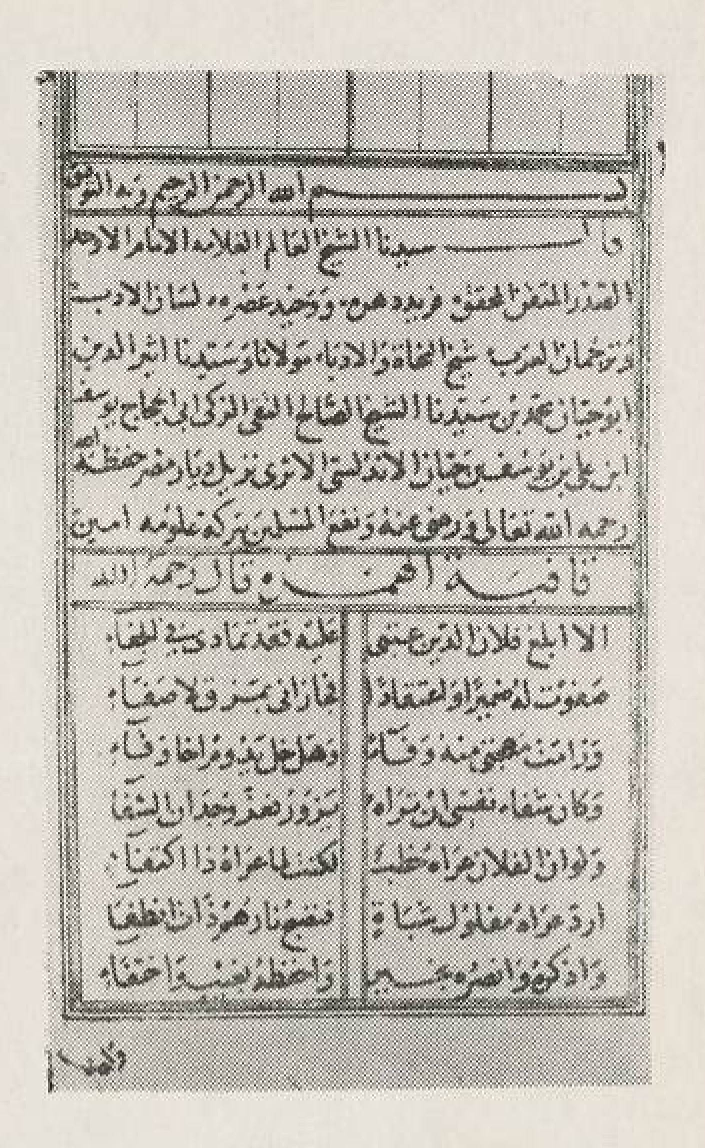
ومهما يكن الأمر فأبو حيان شاعر كبير بين شعراء عصره ، ولعل هذه النظرة العجلى تحرك الأدباء والباحثين الذين يعنون بدراسة الأدب بعد سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ ، وتدفعهم الى الكتابة عن هذا الشاعر الذي طغت عليه سمعته العلمية في التفسير والنحو واللغة فأهملت شاعريته ولم يعن أحد بالبحث عن ديوانه الذي أشار اليه القدماء . وإنّ في طبع ديوانه وجمع شعره المتفرق في الكتب حافزاً قوياً لمن يريد أن ينصف هذا الرجل الذي ظل ديوانه مطموراً في رفوف مكتبة « وزان » بالمغرب العربي .

ومن الله التوفيق ؟

الدكتور احمد مطلوب



عنوان الديوان



بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق

قال سيدنا الشيخ العالم العلامة الامام الاوحد
الصدر المتقن المحقق فريد دهره ووحيد عصره لسان الادب
وترجمان العرب شيخ النحاة والادباء مولانا وسيدنا اثير الدين
ابو حيان محمد بن سيدنا الشيخ الصالح التقي الزكي ابي الحجاج يوسف
ابن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الاثري نزيل ديار مصر حفظه الله
رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفع المسلمين ببركة علومه امين

قافية الهمزة وقال رحمه الله

الا ابلغ فلانا الذي عشقوا ... عليه فقد تمادى في الجفاء
صفوت له ضميرا واعتقادا ... فما ان يسر ولا صفاء
وزانت [illegible] منه وفاء ... وهل خل يدوم اخا وفاء
وكان شفاء نفسي ان اراه ... سرور [illegible] الشفاء
ولو ان الفلاز [illegible] ... لكنا [illegible] اكتفاء
ارد عراه [illegible] ... [illegible] انطفاء
واذكر [illegible] ... واحفظ [illegible] واختفاء

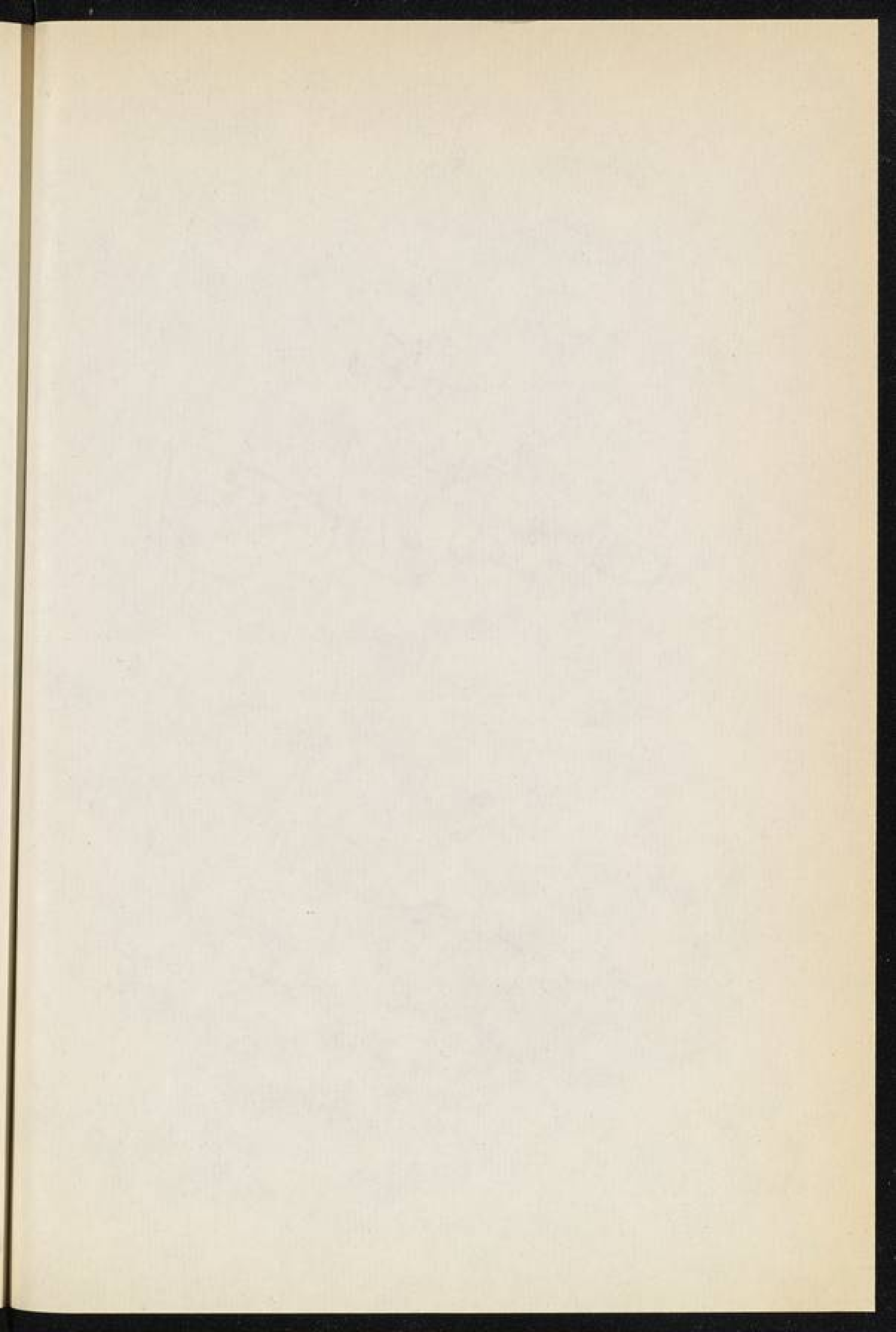
الصفحة الاولى

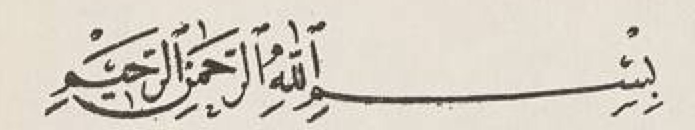
ديوان

أبي حيان الأندلسي

تحقيق

الدكتور أحمد مطلوب　　　الدكتورة خديجة الحديثي





وبه التوفيق

قال سيدنا الشيخ العالم العلامة والامام الاوحد الصدر المتقن المحقق ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، لسان الادب وترجمان العرب ، شيخ النحاة والادباء ، مولانا وسيدنا أثير الدين أبو حيّان محمد بن سيدنا الشيخ الصالح التقي الزكي أبي الحجاج يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الاندلسي الاثري ، نزيل ديار مصر ـ حفظه الله ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفع المسلمين ببركة علومه (١) ، آمين ٠

---

(١) يبدو أن عبارة « رحمة الله ٠٠٠ » أضيفت الى نسخة الديوان بعد موت أبى حيان ٠

قافية الهمزة

١

قال رحمه الله :

الوافر

أَلا أَبْلِغْ فلانَ الدين عتْبي
عليه فقدْ تمادَى في الجفاءِ
صَفَوْتَ له ضَميراً واعتقاداً
فجازاني بمَذْقٍ لا صفاءِ[1]
ورامَتْ مُهْجتي منه وفاءاً
وهل خِلٌّ يدوم أخا وفاءِ ؟
وكان شِفاءَ نفسي أَنْ تراه
يزور فعزَّ وُجدانُ الشفاءِ
ولو أَنَّ الفلانَ عراه خَطبٌ
لكنت لما عراه ذا اكتفاءِ
أَرُدُّ عراه مفلول شباة
فتُصبح نارهم ذاتَ انطفاءِ

---

(١) مذق الود : لم يخلصه .

وأذكره وأنصره بخير
واحفظه بغيب واختفاء

[٣]

وأعذل ثم أعذر منه صبا
تشاغل بالبنين وبالرفاء (١)
وربتما يقيم لدي عذراً
أرق من الهباءة والسفاء (٢)
فغيري لو دعاه لبعض أمر
لبادر ذا احتفال واحتفاء
تميل النفس حيث يكون فيه
هواها ما بذلك من خفاء
وفي حاجات غيري ذا اهتمام
وفي حاجي تراه ذا انكفاء
نفضت يدي من الاصحاب طراً
على آثارهم ديم العفاء
لئن أصبحت فيهم ذا انتقاء
لقد أمسيت منهم ذا انتفاء
وكنت أظنهم زبداً فبانوا
لنا زبداً ذهوباً كالجفاء

---

(١) الرفاء : الاتفاق ٠

(٢) الهباء : الغبار ، دقائق التراب ، والهباءة : القطعة من الهباء ٠ السفا : التراب والغبار ٠

أفي مثلي يضيعُ جميلُ فعلٍ
وعن مثلي يُعرِّدُ ذو اصطفاءِ[1]
من المصريِّ لا ترجو وفاءً
فقد خُلِقوا بلا واوٍ وَفاءِ

٢

وقال عفا الله عنه :

الطويل

لَئِنْ ظَهرتْ في مُقلةِ الحِبِ حُمرةٌ
فما ذاكَ داءٌ يُختشى من بقائِهِ[2]
ولكنها سيفٌ أَصابَتْ اداَ الهوى
فطارَ رَشاشٌ نحوها من دمائِهِ[3]

٣

وقال يباسط شيخه العلامة بهاءالدين[4] ـ رحمه الله ـ

الخفيف

عُجْ بشيخِ النُحاةِ والأدباءِ
وإمامِ الأئمةِ الفُضلاءِ

[٤]

---

(١) عرّد تعريدا : هرب وفر .
(٢) الحب ـ بكسر الحاء ـ : الحبيب .
(٣) كذا في الاصل ، ولم نجد لـ « ادا » معنى يستقيم به البيت .
(٤) هو محمد بن ابراهيم بن محمد بهاءالدين بن النحاس الحلبي النحوي شيخ الديار المصرية في علم اللسان . ولد سنة ٦٢٧هـ ومات سنة ٦٩٨هـ . قال ابو حيان عنه : « كان هو والشيخ محيي‌الدين المازوني شيخي الديار المصرية ولم ألق أحدا أكثر سماعا منه لكتب الادب » . (بغية الوعاة ج١ ص١٤) .

تجِدِ الريمَ راتِعاً في حِماهُ
قد حَماهُ حتى من الرُقباءِ
يا إماماً لمَّا تَزَلْ مُسْدِياً لي
نِعَماً قد جلَتْ عن الاحصاءِ
لو يحُلُّ الغزالُ غيرَ حِماكم
لانتصفْنا بسُنَّةِ الشعراءِ
إنْ يكُ القلْبُ غيرَ راضٍ بهذا
فلساني عليك رَطْبُ الثناءِ
ضَلَّ عَقْلي بصَدِّ ريمِك حتى
لكأني أسيرُ في الظَلْماءِ
أيُّ بحرٍ يَفيضُ من عَبَراتي
أيُّ جمرٍ يَشُبُّ من أحشائي
ليس جَمْعُ الأضْدادِ عندي مُحالاً .
إنني جامِعٌ لنارٍ وماءِ
بأَبي أحْوَرُ الجفونِ ربيبٌ
طار عقلي به وطال عنائي
إنْ تبدّى فَحَسْبُ طرفي منه
نظرةٌ وهي لو تدوم شِفائي
ولئن غاب شخصُه قلت : نفسي
اصْبِري فالبهاءُ عند البهاءِ (١)

(١) البهاء الاولى الحسن ، والبهاء الثانية شيخه .

قافية الباء

٤

كان الرئيس كاتب السر السلطاني شهاب الدين احمد بن فضل الله(١) قد طلب منه استعارة ديوان أبي فراس الحمداني ، فارسله اليه صحبة هذه الابيات :

الطويل

لا سِفْرَ هذا السفرُ إنْ صارَ مُلْكَ مَنْ
مكارمُه أنـدَى وأجـدَى من السُّحبِ

[٥]

وتــاه على الأسفارِ زَهــواً ونخوةً
وانشــر زهْـواً وافتخـارا عـلى الـكُتْبِ

لقــد جَــلَّ قَدْري إذْ بَلَغْتُ بهمَّـتي
سماءَ المعـالي وانتقلْتُ الى الشُّهْبِ

الى العالَم العُلويِّ سَعدي مُصعَّـدٌ
أُناجي إماما خصَّني منـه بالقُرْبِ

تفرَّسْتُ أنْ لـو كان في عصـره أبـو
فِراسٍ ثَنَى شعري الى جُـودِهِ الرَّحْبِ

فكان شهابُ الدينِ يُعليـهِ رُتبـةً
يصيرُ بهـا مَلْكاً على جنسـهِ العُرْبِ

---

(١) هو احمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ ، وهو صاحب « مسالك الابصار في ممالك الامصار » . (فوات الوفيات ج١ ص٧ ، والدرر الكامنة ج١ ص٣٣١ ، والنجوم الزاهرة ج١٠ ص٣٣٤) .

وإنْ كانَ قَدْ أَوْدى فإنّ بذكره
له شَرفاً يبقى على غابرِ الحقبِ
كريم له في كل قُطرٍ مكارمٌ
من الفضل قد عمّتْ ومرّت الى الغربِ
فأحيتْ أبا حيّان منْ بعد ميتةٍ
وأروته ظمآناً من البارد العذبِ

٥

وقال – رحمه الله – :

المتقارب

أعبدَ الرحيم أنا في جحيمٍ
فهل من رحيمٍ لِصبٍّ غريبِ ؟
أطلْتَ البعادَ ، منَعتَ الرقادَ
سلبتَ الفؤادَ بحُسنٍ عجيبِ
بسِرّ الجمالِ ونورِ الهلالِ
ولحظِ الغزالِ وقدٍّ القضيبِ
ووجهٍ بهيٍّ وريقٍ شهيٍّ
وعَرْفٍ ذكيٍّ حوَى كلَّ طيبِ
أريجْ كمسكٍ وثغرٌ كسلك
به زالَ نسكي وزادَ نحيبي

تَرى صاحٍ يدري غرامي بـدري

فانَّ بصـدري حريـقَ لهيبِ

[٦]

دموعيَ تجري وقَدْ طال هجري

فجُدْ تربَـح اجري بوصْـلٍ قريبِ

٦

وقال ـ غفر الله له ـ :

الطويل

بحيث قُـدودُ البيض سُمْـرٌ تهزُّهـا

شَمولُ الصِّبا والدَّلِّ لا شَمْالُ الصبّا(١)

خِفـافٌ فلـولا ثِقْـلُ كُثْبٍ تقصَّفَتْ

لعـادَ لجدب الخصـرِ رِدْفٌ قد اخصبا

علَتْها بـدورٌ قـد سَفَرنَ فمـا ترى

لهنَّ سوى من حالكِ الشَّعْرِ غَيْهَبـا

٧

وقال ـ رحمه الله ـ :

الطويل

هُمُ النَّاسُ شتّىً في المطالبِ لا ترى

أخـا همَّةٍ إلاّ قـد اختـارَ مَذْهبـا

فمن يعتنـي بالفقْـهِ يرأس إذ يلـي

قضـاءً وتدريسـاً وفُتْيـا ومَنْصِبـا

---

(١) الشمول والشمأل : ريح الشمال .

ومَنْ كان ذا حظٍّ من النحو واللُّغا
يرى أنه أسنى الفضائلِ مطلبا
ويَزْهى على هذا الأنام لأَنَّه
يرى همَجًا في الناس من ليس مُعرِبا
ومن كان بالمعقول مشتغلاً يرى
جميعَ الورى صُمّاً عن الحق عيَّبا
فانْ كان في النحوين صاحبَ دِرْيَةٍ
فذاكَ الذي يُدعَى الامامَ المهذَّبا
وحافظ أَلْفاظِ القراءآتِ جاهلٌ
بالاعرابِ والمعنى للاقْراءِ رُتِّبا
يرقِّقُ ما قد فَخَّمُوا ومفخِّمٌ
لما رقَّقوا لم يَلْقَ شيخاً مهذَّبا
يرى أَنَّ نظمَ الشاطبيْ غايةُ المنى
ولم أَرَ نَظْماً منه أعصى وأصعبا[1]

[٧]

يظلُّ الفتى فيه سنينَ عديدةً
يحاولُها فَهما فيبقى مُعَذَّبا

---

(١) الشاطبي : هو القاسم بن فيرة المقرىء النحوي الضرير ، صنف القصيدة المشهورة في القراءات . ولد سنة ٥٣٨هـ ومات سنة ٥٩٠هـ . (بغية الوعاة ج٢ ص٢٦٠) .

بلغزٍ وأُحجيّاتٍ شَلْشل شَمَرْدلٍ

ودَغْفَلٍ اسماءٍ عن الفَهْم حُجْبا[1]

وقد أولعَ الجُهّالُ فيه بشرحِهِ

فمن شارحٍ قَصْراً وآخر أَطْنبا

وغايتُه نُطْقٌ بألفاظٍ أحرفٍ

كمالكَ نَنْسَخْ نَنْسَهِا لا نكذَبا

لقد كان هذا الفنُ سَهْلاً معرَّبا

فبعَّدَهُ هذا القصيد وصعَّبا

وناظمِ أشعارٍ يدورُ على الورَى

بذمٍّ ومدحٍ مُرهِبا أو مُرغَّبا

يرى أنَّ نظمَ الشعرِ أسنَى فضيلةً

وليس بفضلٍ ما بطبعٍ تركّبا

وراوي حكاياتٍ لناس تقدَّمُوا

غدا واعظاً يشرو وينشر مُطرِبا

وطوراً يُبكّي الناسَ خوفا ورهبةً

وطوراً يرجّي بالتسامح مُذْنِبا

وتالٍ لِقرآنٍ بتربة ميّتٍ

قد اتخذ التنغيمَ بالصوتِ مَكسبا

---

(۱) الشلشل : المتحرك · الشمردل : الفتى السريع · الدغفل : ولد الفيل ·

وجامعِ آدابٍ وحفظِ رسائلٍ

وجودةِ خطٍّ راجيا أن يُقرَّبا

الى ملكٍ كيما يكونَ موقّعا

فينظُف أثواباً وينبُل مَوكِبا

وحاملِ أجزاءٍ لطافٍ سقيمةٍ

تأبَّطها كيما تروّى وتُكتبا

يدورُ على شيخٍ جَهولٍ وشيخةٍ

عجوزٍ ترى جمع الرؤوسِ تقربا

وجمّاعِ أنواعٍ من الفِسْقِ لم يَلِ

بمعصية ان كان كهلا أو اشيبا

[٨]

أتأخذُ دينَ اللهِ عن مثلِ هؤلا

لأَنْتَ إذَنْ في الغَيِ أصْبَحْتَ مُسْهبا

وغايةُ ما يدريهِ أنَّ فلانةً

روت جزءَ بيبي وهي ماتتْ بيثربا(١)

وذا لقّبوه جَزرةً وملقبٌ

بصاعقةٍ إنْ كان في الحِفْظِ أغْلبا

ومشتغلٍ بالطبِّ قد رام صَنعَةً

قليلاً جَدَاها ما أشقَّ وأخْيبا(٢)

---

(١) كذا في الاصل ·

(٢) الجداء : العطاء ، النفع ·

يـدور عـلى المرضى ويحـزر علـَّـة
وبسـأل ماذا كان عنـه تسـبُّبا

وينهبُ منـه مـالَه لا يهمـُّـه
سـواء لديه أن يَصِحَّ ويَعْطَبـا

وغايتـه اسـتقبالُ بــولٍ بوجهــه
وشمُّ قذوراتٍ كأنْ شمَّ زرنبا[1]

وكسلانَ يختارُ المشيخةَ صنعـةً
فيجمـع أوشاباً الى الزَّرْدِ رُغَّبا[2]

تيوسٌ رُعاعٌ وهـو جهـلا أبوهُمُ
فاقبِحْ بهم وُلْداً واقبِحْ به أبا

ويَبْهَتُ نحـو الأرض طوراً وتـارة
الى العـالَمِ العلـويِّ يستمعُ النَّبـا

ويركبُ عـيراً وهـو عـيرٌ حقيقةً
فجهـلٌ بسيطٌ قادَ جهلاً مركَّبا[3]

فيُخبِرُ عن أشـياءَ في ملكوتِـهِ
رآهـا عيـانا ليس عنهـا محجَّبـا

---

(١) الزرنب : طيب أو شجر طيب الرائحة ، والزعفران .
(٢) الاوشاب : الاخلاط من الناس . الزرد : البلع .
(٣) العير : القافلة أو كل ما امتير عليه ابلا كانت أو حميرا او بغالا . والعير ـ بالفتح ـ الحمار وغلب على الوحشي . (القاموس) .

تـلاميذه يمشـون حولَ حمَـارِهِ
وأوساطُهم مشدودة لابِسو القَبا[1]
عريُّـون عن علمٍ ومـن كـان فاضـلا
تقرمَطَ كي يُدعى الامامَ المقرَّبـا
فيبدي لهـم أسـرارَ عـلمٍ غوامضـا
تلقَّفهـا عن سـرِّ سـرٍّ ترتّبـا
[٩]
فمنهُ اليـهِ عنهُ فيـهِ لديـهِ قـدْ
بدت غامضاتٌ عنه تنبَثُ كالهبا[2]
عَجِبتُ لمثلي عِشْتُ سبعينَ حِجَّـةً
وتِسـعاً أُلاقي الناسَ شَرْقـا ومغرِبـا
فمـا ظفِرتْ عيني بمَن هـو صـالحٌ
سوى مَنْ بـه بيـنَ الأنـامِ تلقَّبـا

٨

وقال[3] ـ رحمه الله ـ :

البسيط

تَذَكُّري للبِلى في قَعْـرِ مُظْلمةٍ
أصارني زاهـداً في المـال والرُّتبِ[4]

---

(١) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب .
(٢) الهباء : دقائق التراب ، الغبار .
(٣) ذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٧ .
(٤) قعر مظلمة : القبر .

إِني أُســرُّ بحــالٍ ســوف أُسْلبهــا
عمّـا قريبٍ وأبقى رِمَّةَ التُّربِ[1]

٩

وقال[2] ايضا :

الطويل

أُتَيْتُ ومــا أُدعى وأُقْبلْتُ ســامعاً
فوائــدَ مــولى ســيّدٍ ماجــدٍ نَدْبِ[3]
وأَحْضُرُ جمعــاً أنتَ فيه جمالُه
أُشنِّفُ سَمْعِي منك باللــؤلؤِ الرَّطْبِ

١٠

وقال ـ رحمه الله ـ

الطويل

مَغيبُك في الاســبوعِ يومــين عن شَجٍ
ويومين بُعدٌ قاتلٌ للشجي الصَّبِّ[4]
وهَبْــكَ بقَلبــي حاضِــراً فلِمُقلتي
برؤيتِــكَ الأُنسُ المريــحُ من الــكَرْبِ

---

(١) الرمة ـ بالكسر ـ العظام البالية ، والجمع رمم ورمام ، وقد رم العظم رمة : بلي ، فهو رميم . وقال الله تعالى « من يحيي العظام وهى رميم » .
(٢) ذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٧ .
(٣) الندب : الخفيف في الحاجة ، الظريف النجيب .
(٤) الشجي : الحزين .

ومن نورِكَ الوهّاجِ تَسري أشعّةٌ
لعيني فيسري النورُ منها الى قلبي

١١

وقال أيضا :

البسيط

خَرَجْتُ أَمشي الى شخصٍ فحدَّثَني
قلبي بمجلسِ من يهوى وما كَذَبا

[١٠]

فجئتُه فرأيْتُ الغُصْنَ مُعتَدِلاً
والظبيَ ملتفتاً والبَدْرَ مُرتقَبا
مَنْ أعلَمَ القلْبَ أنَّ الحبَّ مجلسُهُ
هناكَ أعلمهُ سرٌّ لهُ جَذَبا
قد كنتُ أُنكِرُ عِلمَ الغيبِ من أحدٍ
حتى رأيتُ فؤادي يعلَمُ الغيبا

١٢

وقال : وكان الصاحب تاج الدين محمد بن محمد بن سليم(١) قد اشترى فرسا من العرب فاقامت عنده زمانا ثم عبر على بيوتهم فجفلت ، فنظم

---

(١) هو الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين ابن حنا واسمه محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم . ولد في سنة ٦٤٠هـ وتولى الوزارة بعد مقتل الوزير سنجر الشجاعي في سنة ٦٩٣هـ ولكنه لم يوفق في اعمالها فصرف عنها . توفي سنة ٧٠٧هـ . (السلوك للمقريزي ج١ ص٨٠٢ ، والدرر الكامنة ج٤ ص٥٤٨ ، والنجوم الزاهرة ج٨ ص٢٢٨) .

بيتين يأتي ذكرهما في قافية الراء . قال فنظمت في معناهما :

الطويل

عجِبتُ لمُهري إذْ رأى العَرْبَ نكّبا
كأنْ لم يكُن بينَ الأعاريبِ قدْ ربا

فلا ليس نُكْراً للفريق وإنَّما
تخوّفَ عَتْباً منهُم فتَجَنَّبا

١٣

وقال أيضا :

المتقارب

أيا طالباً أنْ ينالَ الأرَبْ
قريبا عليك لِسانُ العَرَبْ[١]

تشاهدُ مجموعَ ذي خِبرةٍ
بصيرٍ بما قد نأى واقترَبْ

وإنّ الجمالَ امامُ العلومِ
ففي كلِّ سهْمٍ لها قد ضَرَبْ[٢]

لأطْلعِهُ وهو شمسُ الضحى
فنجمُ العلومِ له قد غَرَبْ

---

(١) لسان العرب لابن منظور .
(٢) هو جمال الدين محمد بن مكرم صاحب لسان العرب في اللغة ولد سنة ٦٣٠هـ ومات سنة ٧١١هـ . (بغية الوعاة ج١ ص٢٤٨) .

وهذَّبَ ألفاظَ تهذيبِهم

فقد صارَ نَبَعاً وكان العَذَبْ(1)

[11]

وكان الصِّحاحُ بها جَرَبٌ

فداوى الصِّحاحَ وزالَ الجرَبْ(2)

وأحكمَ ترتيبَ مُحكمِهم

فسَرَّ العِناجَ وسرَّ الكربْ(3)

صحائفُ كانَ بها مَيَلٌ

فثقَّفَ من مَيْلها ما اضطرَبْ

وقد كان نَدَّتْ شَوارِدُها

فردَّ الذي كان منها هَرَبْ

دَعاها بلفظٍ رقيقٍ رفيقٍ

فهزَّ المعاطفَ منها الطَّربْ

جَزى اللهُ جامعَها جنَّةً

لِيُسقى بِها لبناً مَعْ ضَرَبْ(4)

---

(1) هو كتاب التهذيب في اللغة للازهري المتوفى سنة ٣٧٠هـ . (بغية الوعاة ج١ ص١٩) .
العذب : القذى .

(2) الصحاح في اللغة لاسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ . (بغية الوعاة ج١ ص٤٤٧) .

(3) المحكم لابن سيده اللغوي النحوى المتوفى سنة ٤٥٨هـ . (بغية الوعاة ج٢ ص١٤٣) .
العناج : وجع الصلب .

(4) الضرب : العسل الابيض ، وبالتحريك أشهر . (القاموس المحيط) .

١٤

وقال ـ رحمه الله ـ ومما كتب على السفر السابع والعشرين من كتاب « لسان العرب » :

مجزوء الرجز

تمَّ لســـانُ العَربِ فجاء قَصْدَ الأرَبِ
عِشْرونَ سِفراً بعدها سبعٌ ذواتُ نُخَبِ
جاءَ جمالُ الدينِ في تصنيفِهِ بالعَجَبِ
أبقاهُ ذُخْراً للورَى يبقى بقاءَ الحِقَبِ
طوّقَ جيدَ عصرِهِ طوقاً به من ذهبِ
رصّعَهُ بجوهرٍ فصارَ زَيْنَ الكُتُبِ
كتابُهُ شمسُ الضحى وكُتْبُهُمْ كالشُّهُبِ

[١٢]

من أسرةٍ بذُّوا الورَى بسُمْرِهِمْ والقُضُبِ
أبناءُ قحطانَ الألى سُمُّوا بأنصارِ النَّبي[١]
فيالَها من أُسْرَةٍ شريفةٍ في النَّسَبِ
جمَلُهم جمالُهُمْ انسانُ عينِ الأدبِ
سقَى الالهُ قبرَهُ من مُثْجِماتِ السُّحُبِ[٢]
ولا تزالُ روحُهُ مع الحسانِ العُرُبِ[٣]
في جَنَّةٍ يُسْقَى بها من لَبَنٍ وضَرَبِ

(١) جمال الدين محمد بن مكرم صاحب لسان العرب من الانصار ، ولذلك يقال عنه : ابن منظور الانصاري .
(٢) ثجمت السماء : أسرع مطرها .
(٣) العرب جمع العروب ، وهي المرأة المتحببة الى زوجها ، أو العاشقة له ، أو العاصية له .

قافية التاء

١٥

قال ـ رحمه الله ـ يرثي ابنته العالمة المعربة نضار[١] :

مخلع البسيط

ضَـريح بنتـي جَعَلـتُ بيَتْـي
وقلتُ : لَيتـي أمـوتُ لَيتـي

قـدومُ حَـيٍّ يغيبُ يُـرْجَى
وليس يُرْجَى قُـدومُ مَيْتِ

يـا عـينُ إبكي دَمـاً عليهـا
فليس يجـري دَمْـعٌ بكَيتِ

يـا ليلةَ البـينِ من نُضـارٍ
صَدَّعْتِ قلبي بمـا جَنَيْتِ

يـا تربـةً قَدْ حَوَتْ نُضاراً
طِبْتِ شـذاً بالـذي حَوَيْتِ

---

(١) هي نضار أم العز ، ولدت في جمادى الآخرة سنة ٧٠٢هـ وأجاز لها أبو جعفر بن الزبير وحضرت على الدمياطي وسمعت من شيوخ مصر وحفظت مقدمة في النحو ، وخرجت لنفسها جزءا من الاحاديث ونظمت شعرا ، وكانت تعرب جيدا · ماتت سنة ٧٣٠هـ وحزن عليها أبوها حزنا عظيما · (ينظر الدرر الكامنة ج٤ ص٣٩٥ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣١٥) ·

وَعَيْتِ عقلاً وبحرَ عِلْمٍ
وسُؤدداً بالتي وَعَيْتِ

[١٣]

أَمَضَّني الحزنُ يا نضارُ
وصِرتُ مُضْنىً لَمّا مَضَيتِ

أَصْبحتُ فَرداً فليتَ أَنّي
قَضيتُ نَحباً لَمّا قَضَيْتِ

سَعيتِ للعلمِ باجتهادٍ
ولم تَمتَّعي بما وَعَيْتِ

سَرَتْ الى عالمٍ عَليٍّ
روحُكِ يا بُعْدَ ما سَرَيْتِ

الى سماءِ الذي تَسامَتْ
حتى رأيتِ الذي رأَيْتِ

الروحُ منكِ استحالَ طيراً
لَمّا تَشَكّى الظَما سَقَيتِ

وآخِرُ النُطْقِ كانَ منكِ
التشهُدُ اللذْ بهِ رَبَيْتِ

وقَدَّسَ الله منكِ روحاً
نالتْ من الخُلدِ ما اشتَهَيْتِ

وإنَّ بيتاً أضحَى مَحَلاً
لخيرِ بِنْتٍ لَخيرُ بَيْتِ

١٦

وقال ـ رحمه الله ـ وجاء بعض العجم بأبيات بلسان العجم فيها معان لم يعهدها العرب ، وسألني نظم معانيها بالعربي في قافية التاء المكسورة في بحر الطويل ، فقلت :

الطويل

مُهنَّدُكَ الميمونُ كالسيفِ صورةً
ولكنْ فِرِنْدُ السَّيْفِ ماءٌ بِمُزْنَةِ[1]
لئِنْ كانَ يحكي الماءَ لُطفاً ورِقَّةً
فكم هامةٍ في ذلك الما غريقةِ
فِرِنْدٌ لَوَ انَّ الجِنَّ ليلاً تمُرُّ بي
سناءً رأتها الأُنسُ من بعدِ خِفْيَةِ
[١٤]
عبيدُكَ خيَّاطونَ في الحربِ قد رَآوا
لها بذراعِ الرُّمحِ أبدانَ بَهْمَةِ
وقد قطَّعوها بالسيوفِ وخيَّطوا
باسهُمِهِم فَتْقَ الجُسومِ العَصِيَّةِ
وبحرُ دماءٍ زورقُ الشمسِ غارقٌ
به ونجومٌ كالحَبابِ بِخَمرةِ

---

(١) فرند السيف : جوهره ووشيه ، ويقال : سيف فرند ، أي : لا مثيل له .

فلو أذهبت ريح تراب جنابكم
الى النار أضحت ماء روض بجنة
ولو حل في مصر دخان بلائكم
إذن بلغ الأهرام حلق بعوضة
ولو أن ملكاً رام لثم ركابكم
وقد حط تحت الرجل أعلى مكانة
كراسي أفلاك العلا التسع لم يصل
لتقبيله الا بأوهام فكرة
مليك علا الأملاك عزاً ورفعة
يقصر عن ادراكها كل رفعة
محمد في الافلاك شمس وانهم
نجوم متى يبدو سناه اضمحلت
أقام منار الشرع شرع محمد
وقام بنصر الملة الحنفية
دعا دعوة في مصر يا لمحمد
فكل ملوك الشرق طاعت ولبت
إذا آنست عيني سناء علاكم
فقد بلغت من دهرها ما تمنت
ورحت كمثل الشيخ عاد شبابه
أو الميت يحيا في نعيم وغبطة

١٧

وقال أيضا :

مجزوء الرمل

أيُّ عيشٍ لشُييخٍ هو حيٌّ مثلُ ميِّت

[١٥]

عادِمِ الأُنسِ غريب مفرد من أَهْلِ بيت

ولـه نفسٌ تُنادي للمنايا هَيْتَ هيت

تَتَرَجّى وتمنّى بلعلّي وبِلَيت

وسَراجي ليس فيه للبَقا نُقطةُ زيت

سوف يُكنى عن حديثي كانَ مِنه ذَيت ذيت[1]

---

(١) ذيت ذيت ، مثلثة الآخر ، عن ابن القطاع ، أي : كيت كيت . (القاموس المحيط) .

قافية الثاء

١٨

وقال رضي الله عنه :

المتقارب

رَمَانِي الزَّمَانُ بِأَحْدَاثِهِ
وَكُنتُ صَبُوراً عَلَى مَا حَدَثْ

وَأَفْنَى الشَّبَابَ وَأَهْلاً مَضَوا
وَمَا كُنتُ مِمَّنْ بِذَاكَ اكْتَرَثْ

وَمُنْذُ عَيَا بَصَرِي ضَعْفُهُ
قَعَدْتُ كَأَنِّي رَهِينُ الجَدَثْ

وَقَدْ كُنتُ مُستأنساً سَاكِناً
فَقَدْ صِرْتُ مُسْتَوحِشاً ذا عبثْ

إِذَا رُمْتُ انظر في مُهْرَقٍ
تَغَشَّى سَنَا نَاظِرِيَّ الشَّعَثْ

وإِنْ أنا أَبعثُ ذهني لَهُ
لِفِكْرٍ أَرَاهُ إِذن مَا انْبَعَثْ

وَمَنْ كَانَ في العلمِ ذَا شِبَعٍ
فَإِنِّي الى فَقْرِهِ ذُو غَرَثْ(١)

---

(١) الغرث : الجوع .

يَزينُ الفتى عِلمُه مثلَما

يزينُ الفتاةَ الحُلى والرُّعُثْ[1]

وان كان قلبي قريحاً فلي

لسانٌ بحمدِ إلٰهي نَفَثْ

[١٦]

١٩

وقال رحمه الله :

الطويل

أَجَلْتُ لِحاظي في الرياضِ الرَّمائثِ

ونزَّهتُ فكري في فنونِ المباحثِ[2]

وشاهدتُ مجموعاً حوَى العلمَ كلَّه

فاولُ مكتوبٍ وثانٍ وثالثِ

فيا حسنه من جامعٍ لفضائلٍ

جليلٍ على نيلِ المعارفِ باعثِ

لحازَ لسانَ العُربِ أجمعَ فاغتدَى

نهايةَ مُرتادٍ ومَطْلَبَ باحثِ

بهِ أزهرتْ للأزهريِّ رياضُهُ

فانوارُها تجلو دياجي الحوادثِ[3]

---

(١) الرعثة ـ ويحرك ـ : القرط . (القاموس) .

(٢) الرمث : مرعى للابل من الحمض وشجر يشبه الغضى ، وأرض مرمثة : تنبت الرمث .

(٣) هو محمد بن احمد اللغوي ، ولد سنة ٢٨٢هـ ومات سنة ٣٧٠هـ . له التهذيب في اللغة . (بغية الوعاة ج١ ص١٩) .

وصحّتْ بــه للجـوهريٍّ صحـاحُه

فلا كسـرَ يعروها ولا نقرَ عابثٍ [1]

وســادَ بـه بـينَ الأنـامِ ابنُ سـيدةٍ

فمحكمُهُ مـا فيـه عيثٌ لعـايثٍ [2]

وبـرَّ ابنُ بريٍّ وصحّتْ بنقـدهِ

الصحـاحُ استقلّتْ في براثِنِ ضابثٍ [3]

وللجـزريٍّ ابنِ الاثــير نهـايةٌ

إذا قُرئتْ أزْرَتْ بسَمعِ المثالِبِ [4]

وكلٌّ مُجَلٍّ إذ تقـادَمَ عهـدُهُ

وليس المصلّي في السباق برابثٍ [5]

وإنَّ جمالَ الديـن جمَّلَ كُتبَهُمْ

باصلاحِ مـا قـد أوهنـوا من رثائثٍ [6]

---

(١) هو اسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ ، صاحب الصحاح في اللغة .

(٢) هو ابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ صاحب المحكم والمخصص .

(٣) هو عبدالله بن بري ، ولد في مصر سنة ٤٩٩هـ ومات سنة ٥٨٢هـ ، له حواش على الصحاح وكتب في اللغة . (بغية الوعاة ج١ ص٣٤) . ضبث : قبض عليه .

(٤) هو المبارك بن محمد ابن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ صاحب النهاية في غريب الحديث .

(٥) الربث عن الحاجة : الحبس عنها . المصلي من الخيل : الذي يجيء بعد السابق .

(٦) هو جمال الدين بن منظور صاحب لسان العرب .

لقد فاقهم علماً وزادَ عليهم
وأنَّى ببادي الفتخ خرج الأباغثِ (١)

تجمَّع فيه ما تفرَّق عندهم
وأربى عليهم بالعلوم الأثائثِ (٢)

بنثرٍ كشبه الزهرِ غِبَّ سمائِه
ونظمٍ كمثلِ الزهرِ بالسحرِ نافثِ

[١٧]

له قدمٌ في ساحةِ الفضلِ راسخٌ
ومجدٌ قديمٌ ليس فيه بحادثِ

ونسبةُ علمٍ كابراً بعد كابرٍ
فمن خيرِ موروثٍ الى خيرِ وارثِ

حفيظٍ لاسرارِ الملوكِ أمينِها
عليمٍ بتصريفِ الخطوبِ الكوارثِ

به افتخرتْ قحطانُ واشتدَّ ازرُها
وباهتْ به الاملاكَ ابناءُ يافثِ

ولا برِحتْ روحُ الجمالِ مقيمةً
بعدنٍ لدى الحورِ الحسانِ الأواعثِ (٣)

---

(١) الابغث : طائر من طير الماء ج بغث وأباغث .
(٢) أثّ : كثر ، فهو أثيث ج أثائث .
(٣) امرأة وعثة : سمينة .

٢٠

وقال أيضا :

البسيط

صَبابَةُ المرءِ بالأحداثِ مُذهِبَـةٌ
للدين والمالِ فاحْذَرْ صُحبَةَ الحَدَثِ

كفى من الـذمِّ والتنفـيرِ أَنَّهُمُ
سَمَّوْهُ باسمِ الذي يُبدِيهِ من خَبَثِ

قافية الجيم

٢١

قال رحمه الله تعالى :

الطويل

أوجهُكَ أم بـدرٌ منيرٌ تبلَّجا
ونشْرُكَ أمْ مِسْكٌ فتيقٌ تأرَّجا(١)

وعِطفُكَ أم خُوطٌ من البانِ ناعمٌ
وردفُكَ أمْ دِعْصٌ مَهيلٌ ترجرجا(٢)

محاسنُ لم يُجمعْ لغيركَ مثلُها
شباباً وحُسناً باهراً يسلبُ الحِجا

أجلتُ لِحاظي في المِلاحِ فما رأتْ
لِحاظِي أبهى منك حُسناً وأبْهجا

[١٨]

حيِيٌّ إذا ناطقْتُهُ كادَ خَدُّهُ
لفَرطِ حياءٍ فيه أن يتضرَّجا

شكوتُ اليهِ ما بقلبي من الجَوَى
ووَجْدي فاستخذَى حياءً ولجلجا

---

(١) فتق المسك : استخرج رائحته . تأرج : فاحت منه رائحة طيبة .
(٢) الخوط ـ بضم الخاء ـ : الغصن الناعم لسنة أو كل قضيب (القاموس).

رأى شَبَحِي نِضْواً ونُطقي خافِتاً

ودمعي هَتَّاناً وحِسِّي قد سَجا[1]

فزارَ بلا وعدٍ دُجىً فاخالُهُ

تَرصَّدَ من حُراسهِ غفلةً وَجا

فلم أرَ مولىً زارَ عبداً كمثلِهِ

ولم أرَ مثلي نالَ ما كان قد رَجا

خلوتُ بهِ والدهرُ قَدْ غَضَّ طرفَهُ

وقد سَدَّ بابَ الخوفِ مفتتحُ الرَّجا

فعانقتُ منه الغُصْنَ أَمْلَدَ ناضراً

وغازَلْتُ منه الخِشْفَ أَحْورَ أدعجا[2]

ولليلِ من تلكَ الذوائبِ ظُلمةٌ

وللصبحِ من خدَّيْهِ نُورٌ تبلَّجا[3]

فمن يستحِلْ جمعٌ لضدَّينِ عندَهُ

فهذا حبيبي جامعُ النورِ والدُّجى

---

(١) سجا : سكن وهدأ .

(٢) الدَعج ـ محركة ـ ، والدعجة ـ بالضم ـ : سواد العين مع سعتها ، والادعج : الاسود . (القاموس) .

(٣) تبلج : اضاء وأشرق .

٢٢

وقال رحمه الله :

الكامل

أترى بريدي بالغاً يا جوجا
أم غالَهُ أمرٌ يكونُ مَريجا[1]

عَمِيَتْ علينا إذ نأى أخبارُه
لكأنّه سَلَكَ السماءَ وُلوجا

أوْ أنّهُ خسفت به يَهْمَاؤُه
وهوى الى بَهَموتِها تعريجا[2]

يا مَنْ بهِ علِقَتْ حبائلُ همّتي
وغدا الى الزمنِ الكريهِ بهيجا

ووردتُ منه بَحْرَ فضلٍ زاخرٍ
فغنيتُ عن وِردي سواه خليجا

[١٩]

ورفلتُ من عزّي به في حُلّة
شرُفَتْ يَداً وأُرومةً ونَسِيجا

فخرتْ به الشُهْبُ الدَراريْ واعتَلَتْ
حتى حَلَلْنَ من السماءِ بُروجا

---

(١) المريج : المختلط .

(٢) اليهماء : الفلاة لا يهتدى فيها . اليهماء : مفازة لا ماء فيها ولا يسمع فيها صوت .
البهموت : المبهم .

الثاني منها وقسمه قسمين : قسم يلحق الكلمة من أولها ، وقسم يلحقها من آخرها . والقسم الاول هو : همزة الوصل ، وهي التي تثبت في ابتداء الكلمة ، والقسم الثاني هو ما يلحق الكلمة من آخرها وهو : علامتا التثنية والجمع على حده ، وياء النسب ، وعلامة التأنيث،ونون التوكيد ، ونون التنوين . وعقد لكل منها بابا وهي : باب التثنيـــة ، وباب جمع التصحيح ، وباب النسب ، وباب علامة التأنيث،وباب نوني التوكيد ، وباب التنوين .

أما الجملة الثانيـــة من الارتشاف فهي : في احكام الكلم حالة التركيب ، وهي اعرابية وغير اعرابية ، وغير الاعرابية : البناء ، والادغام من كلمتين ، والتقاء الساكنين من كلمتين ،والتقاء الهمزتين من كلمتين ، ولحاق علامة التأنيث للفعل لاجل مرفوعه ، والعدد ، والـكناية عن العدد ، والوقف . وقد عقد بابا لكل منها وضمنه فصولاهي: النداء ، والحكاية.وتكلم على : فصل العلم وفصل غير العلم من المعارف،وفصل الاستفهام . وباب الادغام من كلمتين وفيه فصول : فل المتقاربين ، فصل وقع التكافؤ . وباب التقاء الساكنين . وباب الهمزة التي في آخر الكلمة . وباب العلامات التي تلحق الفعل دلالة على تأنيث المرفوع به وعلى تثنيته وجمعه ، وباب العدد وفيه فصول : فصل عطف العشرين ، وفصل اسم الفاعل المشتق من المفرد ، وفصل التأريخ . وباب الكنايةعن العدد وفصوله : فصل واما كائن ، وفصل واما كذا . وباب الوقف وفصوله : فصل المتحرك ، وفصل الوقف على المبني .

هذا هو القسم الاول من الجملة الثانية ،اما القسم الثانيمنها فهو: في احكام الكلمة حالة التركيب التي هي اعرابية . وقد بدأه أبو حيان بالـكلام على اللغة ، وأبوابه هي:باب الاعراب ، باب النكرة والمعرفة، باب المبتدأ والخبر وما يدخل عليهما من أدوات وافعال ، باب الفاعل ، باب المفعول الذي لم يسم فاعله ، باب المنصوبات وهي : المفعول المطلق، والمفعول له ، والمفعول به ، والمفعول فيه ، والمفعول معه ، والمستثنى ،

والحال ، والتمييز • باب النواصب للفعل ، باب الجوازم للفعل ، باب المجرورات وقدتكلم فيهعلى القسم، واحرف الجواب •وباب الاضافة•

وبعد ان انتهى أبو حيان من هذه الابواب تكلم على النعت والمنعوت به اذا كان معرفة ، وعطف البيان ، والبدل ، وعطف النسق ، وانتقل الى الحديث عن الافعال واقسامها فعقد ابوابا لكلٍ من :حبّذا، وصيغ التعجب ، والمتعدي واللازم ، ثم تكلم بعد ذلك على الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر ، والاشتغال ، والنداء والاستغاثة،والترخيم، والاختصاص ، والتحذير والاغراء • وتحدث عما يعمل عمل الفعل كالمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، وأفعل التفضيل ، والصفة المشبهة ، وختم الكتاب بباب في الضرائر التي تجوز للشعراء •

ولا تختلف موضوعات : « الارتشاف » ـ كما رأينا ـ عن موضوعات : « التذييل والتكميل » الا في التبويب والتفصيل ، فقد سار أبو حيان في « التذييل » على خطة ابن مالك وطريقته ، لانه كان شارحا لكتابه : « التسهيل » • أما في « الارتشاف » فقد بوبها تبويبا جديدا • هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فاننا نجد ابا حيان يزيد بعض الموضوعات والفصول الصغيرة في : « الارتشاف » ، والموضوعات التي اضافها هي : فصل في نوادر من التأليف ، باب صيغ من التعجب لم يبوب لها النحاة السابقون ، باب الضرائر وما يجوز للشاعر وضمنه باب التقديم والتأخير ، وباب الابدال من الضرائر الشعرية •

وقد اعتمد ابو حيان على كتب كثيرة ، وعلى آراء النحاة المتقدمين فكان « الارتشاف » سجلا حافلا بمختلف الآراء ومن هنا تأتي قيمتهفي الدراسات النحوية وتطور الآراء والمذاهب المختلفة مما حدا بالسيوطي الى ان يلخصه في كتابه : « همع الهوامع » ،ويستفيد منمادتهالغزيرة، ومن آراء أبي حيان •

اعتمد ابو حيان في « الارتشاف » على كتب لغوية ونحوية وصرفية كثيرة ، وأهم هذه الكتب : البسيط للواحدي ، وكتابسيبويه،

يقولُ على رأسِ الجماهير كلهمْ

وقد أَوْهَمَ الجهالَ أَنْ صار ناصحا

بأَنَّ وليَّ اللهِ مَنْ كانَ فاسقاً

ومن كانَ عن دينِ الشريعةِ نازحا

وأَنَّ اليهودَ والنصارَى وشِبْهَهُمُ

على الحقِّ كلٌّ فعلُهُ كانَ راجحا

وعابد أصنام وعابد كوكبٍ

وعابد نارٍ صار للحقِّ جانحا

وفَسْر عليٍّ وابنِ عبّاسٍ اغتدى

لديه لقى فَشْراً مع الريح طامحا[1]

ولا أكلَ في الجنّاتِ لا شُرْبَ إنَما

معارفُ تلقى للولي منائِحا

ألا مَن عذيري من صغارٍ تَمَشْيَخوا

فكُلٌ لبابِ الكفرِ أصبَحَ فاتِحا

زناديقُ أَبلاط تيوسٌ تقرمطوا

لهم أعينٌ أضحتْ لكُفرٍ طوامحا[2]

---

(١) الفسر : التفسير . الفشر : الهذيان .

(٢) البلط : المجان من الصوفية .

وقـالوا لنـا العـلمُ اللـدُنّي وعلمكُم

قشورٌ مـع الأرياحِ قـد صـارَ رايحـا

ومـا هـو من تنبيهكُم وقدوركم

ولكن أتى فَتْحاً من الـكونِ سـانحا

وقد كذَّبوا القُـرآنَ والسُّـنَنَ التي

عن المصطفى جاءت بنقـلٍ صحـائِحا

وقالوا رسـول الله مـا مَاتَ بـل غَـدا

يطوفُ على الأمواتِ يغشـى الضـرائحا

[٢١]

كـذاك إذا قلتَ السـلامُ عليـك في

صـلاةٍ تبـدّى حاضـراً لك لائحـا

وقد فسَّـروا القرآنَ من مُـخ رُوسِهِم

تخاليطَ كُفرانٍ تبدّتْ فواضِحـا

ألا يـا قُضاةَ المسـلمين ألا انْهضوا

لقتـلِ كَفورٍ صـارَ في الدينِ قادِحـا

كأنّيَ بالقاضي المعظّـم قـد دَرَى

بهم فاغتدَوا فـوقَ الترابِ ذبائحـا

وجُـرَّ بأبـدانٍ وطيفَ بـأرؤُسٍ

على سِنِّ رُمـحٍ للزناديقِ رامِحـا

تشمُّ عوافي الطيرِ نَتْنَ لحومِهم
فتنأى وان كانت غِراثا جوارِحا
وتُنقَلُ أرواحٌ لهم من مقرِّها
الى النارِ فيها خالدِين كوالحا

وإنَّ جلالَ الدين قاضي قُضاتِنا
أقامَ منارَ الشرعِ فالتاحَ واضِحا[1]

وقامَ بنصرِ الدينِ دينِ محمدٍ
وأخمدَ شراً كانَ كالنارِ لافحا

على حينِ لم ينهضْ الى نصرِهِ امْرُؤٌ
سِواهُ فاضحى وافِرَ الأجرِ رابِحا
لقد حاقَ باللبانِ سوءُ اعتقادِهِ
وقامَ مقامَ الذُلِّ خزيانَ كالِحا
أقرَّ بكُفرٍ ثم أظهرَ توبةً
مَخافةَ سيفٍ أنْ يرى الروحَ رائِحا

وما تابَ زِنديقٌ ولكن قبولَ توْ
بةِ مَذهب القاضي فأبقاهُ سامحا

---

(١) هو محمد بن عبدالرحمن جلال‌الدين القزويني قاضي القضاة في عصر أبي حيان ، وصاحب التلخيص والايضاح · ولد سنة ٦٦٦هـ ومات سنة ٧٣٩هـ (بغية الوعاة ج١ ص١٥٧) وينظر القزويني وشروح التلخيص للدكتور احمد مطلوب ص ٩٧ وما بعدها ·

وقالَ متى ما عادَ للكُفرِ أرْده

بحدِّ حسامٍ تتركُ الرأسَ طائحا

فدامَ جلالُ الدينِ للدينِ ناصراً

وللعلمِ ذا نشرٍ وللجودِ مانحا

[٢٢]

٢٤

وقال غفر الله له ورضي عنه :

البسيط

هديةٌ قَدْ أتتْ من جلَّقٍ جَمَعَتْ

فواكِهاً عَرفُها قد نَمَّ تُفَّاحا

فالطُّرقُ تَعْبقُ من نَشْرٍ لها أرَجٌ

كانما المِسكُ في أبياتِنا فاحا

جادَتْ بها كَفٌّ عُمرِ الجودِ مُبتَذِلٍ

للمالِ ما انفكَّ للاحسانِ مُرتاحا

مبرِّزٍ في علومٍ معملٍ أبداً

فِكراً لمُستَغلق الاشكالِ فتَّاحا

عَقلاً ونَقلاً فَمَنْ يُبرِزْ يُناظِرُهُ

يُبصرْ ذكاءً لزندِ العلمِ قدّاحا

غدا على مَفرِقِ الأيامِ تاجَ عُلاً

يُعارضُ الشمسَ تَعلاءاً وإيضاحا

جليلُ قدرٍ جلالُ الدينِ والدُهُ

قاضي القضاة فمنهُ نورُهُ لاحا

شمسٌ أضاءَتْ وأبناءٌ اشعَّةُ ما
تلقِي الينا ضياءً منه وضَّاحا

إنَّ الزمانَ بتاجِ الدينِ مُزدهِرٌ
يكادُ من طرَبٍ يهتزُّ أفراحا[1]

شَهْمٌ أبِيٌ صفوحٌ وهو مقتدِرٌ
ريانُ علماً غدا للناسِ مِصباحا

يَظَلُّ من ضَلَّ عن طُرقِ السَّماحِ بِهِ
يُهدَى ويُكسَى بنورِ العلمِ أوْضاحا

هو الخطيبُ ونجلٌ للخطيبِ وصُنْـ
ـوٌ للخطيبِ يفوقُ الناسَ إفصاحا

إنَّ المديحَ لمكسُوٌّ بكم شرَفاً
إذْ كنتُمُ الروحَ والامداحَ أشباحا

لا زِلتَ في نِعَمٍ تترَى على نِعَمٍ
تغدو بِنُعماكَ أجساماً وأرواحا

[٢٣]

وقال : لو كان في الهدية تفاح لذكرته ، فوجه اليه تفاح فقال :

والقلبُ قد كانَ خفَّاقاً فسكَّنَهُ
جَدْواكَ وارتاحَ لما شَمَّ تُفَّاحا

---

(١) هو عبدالرحيم تاج‌الدين ولد في حدود سنة ٧١٠هـ ، كان خطيبا في الجامع بدمشق . مات في الطاعون العام سنة ٧٤٩هـ . الدرر الكامنة ج٢ ص٣٦١) وينظر القزويني وشروح التلخيص ص١٣٧ .

٢٥

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الخفيف

إنَّ جِسمي مقيَّدٌ بالضريحِ
وفؤادي وَقْفٌ على التبريحِ

ولِعيني اذا ذكرتُ نُضاراً
مُرَدٌ من دماءِ قلب جريحِ

راحَ عيدٌ وبعدَ عيدٌ كبيرٌ
ونضارٌ تحتَ الثَّرَى والصفيحِ

لا أرَى فيهما وُجَيْهَ نُضارٍ
يا لَشوقي لِذا الوُجَيْهِ المليحِ

ونُضارٌ كانت أنيسي وحُبِّي
ونضارٌ كانت حياتي وروحي

ونُضارٌ أبقَت بقلبي حُزنا
ليس ينفَكُّ أو أُوافِي ضَريحي

لم يكُنْ للنضارِ يوما نظيرٌ
في ذكاءٍ لها وعقلٍ رَجيحِ

وحياءٍ وحسنِ مَلْقىً وخطٍ
بارعٍ نادرٍ ولفظٍ فصيحِ

نَظَرتْ في العلومِ فقهٍ ونحوٍ
وحديثٍ عن الرسولِ صحيحِ

ولكَمْ طالعَتْ تَواريخَ ناسٍ
فاستفادَتْ عقلَ الحكيمِ النصيحِ

قد قَضَتْ نحبَها نُضارُ وراحَتْ
ولها الذكرُ بالثناءِ الصريحِ

سُطِرَت في الرُّواةِ عن سيِّدِ الخَلْقِ
فيا طِيبَ ذِكرِها والمديحِ

[٢٤]

إن تكُنْ قد تقدَّمَتْ وبقِينْا
بُرهةً في زمانِنا المسفُوحِ

فعَلى إثرِها نروحُ ونرجُو
عفوَ ربٍّ عن الذنوبِ صَفوحِ

٢٦

وقال أيضا :

الطويل

تنفَّسَ من أهوَى فأرَّجَ عَرْفُهُ
كأنَّ سحيقَ المِسْكِ من فيهِ ينفَحُ

فَشَبَّ بقلبي نار وَجْدٍ وإنَّها
سَرَتْ منه للأعضاءِ تَذْكَى وتَلْفَحُ

هوًى ما هوًى قد زادَ حتى جوانحي
تقلّبُ في نارٍ وعيني تسفحُ
وخلّتْ انتشاقَ العَرْفِ يبردُ غلّتي
فزادتْ به ناراً على القلبِ تطفحُ
تصفّحتُ أقمارَ الورى وملاحَهُمْ
فكان حبيبي فوقَ مَنْ أتصفّحُ
ذكاءٌ كأنّ النارَ منه توقّدتْ
فيدركُ مخفيَّ الأمورِ ويشرحُ
وحسنٌ كأنّ الشمسَ في وجناتِه
أقامتْ لها مُمسىً عليها ومُصْبَحُ
وفرطُ حياءٍ في خفارةِ حييٍّ
يكادُ للاستحياءِ باللحظِ يجرحُ(١)
وكانَ مليحاً قبلَ نبْتِ عذارِهِ
فها هُوَ أضحى وهو بالنبتِ أملحُ
لقلبي في مَعناهُ سِرّاً تفكّرٌ
وللعينِ في مرآهُ جهراً تلمّحُ
وتأخذُني من عظْمِ رؤياه هيبةٌ
فيعيى لساني بالذي أنا أفصحُ
[٢٥]

---

(١) في الاصل : حين .

قافية الخاء

٢٧

وقال رضي الله عنه :

الطويل

لنا قَدَمٌ في ساحةِ الحُبِّ راسخُ
وحكمٌ لسلاةِ المُحبينَ ناسخُ

ولو أنَّ قلبي رامَ عَقْداً لسلوةٍ
لكانَ لهُ من حاكمِ العشقِ فاسخُ

ولي من بني الأتراكِ أهيفُ شادنٌ
له نسبٌ في آلِ خاقانَ باذخُ

يلينُ كلاماً وهو قاسٍ فؤادُه
ويدنو اتضاعاً منه والأنفُ شامخُ

بوجهٍ يلوحُ الحسنُ من قسماتِه
وقدٌّ كغصنِ البانِ والبانُ شارخُ[1]

وردفٌ حماهُ أن يُنالَ بنظرةٍ
من الشَّعَرِ المضفورِ أسودُ سالخ[2]

إذا ما رَنا يوماً اليه أخو الهوى
تلقّاه منه نافثُ السُّمِّ نافخُ

أيا عجباً للحُبِّ كم ذا أكُنُّهُ
واكتمهُ والوَجْدُ بالحبِّ صارخُ

---

(١) شرخ الصبي شروخا صار شابا فهو شارخ .
(٢) السالخ : صفة للاسود .

تملّكني هــذا الهـوى فكأنّمــا

بـه نحـو قلبي من دواعيه ناتـخُ(١)

وقد حَــلَّ بي مـا لـو يحُلُّ أقلُّهُ

بيذبلَ أمسى وهو في الأرْضِ سايخُ(٢)

ففي مهجتي نــارٌ علی الكبـدِ وقدُهــا

ومن مقلتي مــاءٌ عـلی الخـــدِّ ناضِــخُ

---

(١) نتخ : نزع وقلع .
(٢) يذبل : جبل . ساخ : رسب ورسخ .

قافية الدال

٢٨

وقال أيضا :

المجتث

رماني الرَّشا بسهمٍ مصيبٍ به فؤادي
بطرفٍ نـدٍ وفيهٍ سِنات نَفَتْ رُقادِي
[٢٦]
فجَفْني الى سُهادٍ وجَنبي على قَتادٍ (١)
ودَمعي جرَى كسيلٍ أَتيٍّ يجي بِوادِي
وقلبٌ حُشي بِجَمْرٍ كقَدْحٍ من الزِّنادِ
فصبري لَدَى انتقاصٍ وحبِّي الى ازدياد
فأنَّى يَرَى سلُواً لِصَبٍّ ضناهُ بادِ
شِفاءُ الضَّنَى شِفاءٌ تحلى جنَى الشِّهادِ
متى يرتَشِفْ جنَاها يَنَلْ غايةَ المُرادِ
ويحيا بخيرِ عيشٍ ويأمَنْ من الأعادي

---

(١) القتاد : شجر صلب له شوك كالابر .

٢٩

وقال رحمه الله :

الخفيف

سَمح الدهرُ بالحبيبِ الودودِ
فحظِينْا منه بأُنْسٍ جديدِ

جمعَتنا لُيَيْلَةٌ هيَ عندي
ليلةٌ أشرقتْ ببدرِ السعودِ

أُوقدَ الشمعُ والمصابيحُ فيها
وتبدّى نورُ المحيا السعيدِ

وبدا الفرقُ بينَ نارٍ ونورٍ
واضحاً لائحاً لعقلٍ سديدِ

تلك نارٌ ما لها لانطفاءٍ
وحبيبي أنوارُه في مزيدِ

حالَ بيني وبينَهُ اثنانُ ظلماً
فقنِعنا برؤيةٍ من بعيدِ

[٢٧]

أعمِلُ الفكرَ في اقترابٍ كأني
بَرهَمِيٌ مجرّبٌ في الهنودِ

فاذا الحاجزان راحا وصرنا

من قريب في أنس وصل مديد

اشهد الانس من غزال ربيب

وأرى الموت في محاجر سود

ألحظ البدر وهو نصب عياني

وأناجيه آمنا من صدود

فاذا الدر ما تساقط لفظاً

لو تجسدن كن عقد الجيد

واذا السحر كامنا في عيون

كم معنى بها قتيل شهيد

٣٠

وقال يصف التمساح :

الطويل

وخلق غريب الشكل في مصر ناشيء

وما هو في أرض سوى مصر يوجد

هو السبع العادي بنيل صعيدها

يقافص من للماء في النيل يقصد (١)

ويخطفه خطف العقاب لصيدها

ويفصله عضواً فعضواً ويزرد

(١) تقافص : اشتبك وتجمع .

وما من شُخوصِ النيلِ خَلْقٌ لـه يَدٌ
ورجـلٌ سواهُ وهـو في البَرِّ يصعدَ

وربَتَما يلقى لـدَى البر كاسـراً
ويجري كمثلِ الطرْفِ أو هـو أزيَـد

لـه ذَنبٌ مُرخىً طويلٌ يُقيمهُ
يلُفُّ بـه من كانَ في النـاسِ يفقـدَ

وأسـنانُه أُنثى عـلى ذكـرٍ أتتْ
لكسرِ العظامِ الصُلب منها تفقّـدَ

ويحفرُ في رمـلٍ ويدفنُ بيضَهُ
يعاهِدُها غِبـاً الى حيـن تولَـدَ

[٢٨]

ولا تعمـلُ الأسيافُ فيـه كأنَمـا
عـلى جلدِهِ منـهُ صفيحٌ مسـرَّدُ

ولكنَّ تحتَ الابطِ ليّنَ جلـدةٍ
فمنها المنـايا دونَـهُ تتصعَّـدُ

وليس لـه دُبْرٌ فيُخرِجَ نَجْـوهَ
ولـكن الى حُلقـومِهِ يتـردَّدُ (١)

---

(١) النجو : ما خرج من البطن من ريح أو غائط .

فيفتحُ فـاهُ ثم يَدخُلُ طائـرٌ
فيلفِظ ما قـد كان فيـه يـدوّدُ

فـإن رامَ إطباقـاً عليـه فانَّـه
يكونُ لسقفِ الحلقِ بالريشِ يفصَدُ

ويقتُلُه الجاموسُ فهـو اذا دَرى
بهِ فَرَّ منهُ وهـو في السَّبحِ يجهَدُ

ويخدَعُهُ الانسانُ حتى يصيدَه
ويربُطه كالعَنْزِ بالحبلِ تُصفَدُ

رأيناهُ محمولاً على جَمَلٍ وقَدْ
أتتْ طرفاهُ الأرضَ فيها يخدد

وللعقلِ في صيدِ التماسيحِ صنعةٌ
يرتّبها الفكرُ المُصيبُ فتُحْمَدُ

وذو العقلِ مقدورٌ عليه وقادرٌ
على كلٍّ ذي روحٍ رقيبٌ مؤيدُ

فلا الطيرُ في جوٍّ ولا الوحشُ في الفَلا
ولا سافحٌ إلاّ لـه متردّدُ

فيقهرهُ قتلاً وذبحاً وخدمةً
وفي آخرٍ ذو العقلِ في الرَّمْسِ يُلحَدُ

٣١

وقال – رحمه الله – يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الرمل

ما لِقَلْبي غَرَضٌ في أحدِ
منذُ بانتْ قطعةٌ من كَبِدي

كيف لي عينٌ ترَى غيرَ التي
هي روحي ذهبَتْ من جَسَدي

[٢٩]

درةٌ بيضاءُ حلَّتْ مُهجتَي
خُطِفَتْ مِنّي فأَوْهَتْ جلَدي

إنَّ عيني مِثْلُ عَيْنٍ ثَرّةٍ
إنْ نزحتَ الماءً منها تَزِدِ

وفؤادي شَفَّهُ الحزنُ فما
هوَ إلا دائماً في نكَدِ

أرقبُ الموْتَ واستبطئُهُ
ليلةَ اليومِ أتَى أو في غدِ

٣٢

وقال رحمه الله :

الطويل

تعجَّبَ ناسٌ من غرامي ومن وَجدي
بِريميْنٍ والمعهودُ عِشْقُ رشاً فَرْدِ

وقالوا صواباً ليس قلبانِ للفتى
ولا يُجمعُ السيفانِ ويحكَ في غِمْدِ
وما علِموا سِرَّ الهوى وصنوفَهُ
وإنَّ فؤادَ الصبِّ متَّسعُ الوُدِّ
تلوحُ لنا أصنافُ حسنٍ لطيفةٌ
فيعلَقُ منها بالمناسِبِ والقصْدِ

٣٣

وقال(١) سامحه الله :

البسيط

لنا غرامٌ شديدٌ في هوى السودِ
نختارُهُنَّ على بيضِ الطّلا الغيدِ(٢)
لونٌ بهِ أشرقَتْ أبصارُنا وحكَى
في اللونِ والعَرْفِ نفحَ المِسكِ والعودِ(٣)
لا شيءَ أحسنُ من عاجٍ تركّبُهُ
في آبنُوسَ ولا أشفَى لِمبرُودِ(٤)
لا تَهْوَ بيضاءَ لونَ الجصِّ واسْمُ الى
سوداءَ حسناءَ لونَ الأَعينِ السودِ

---

(١) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٧ .
(٢) الطلا : ولد ذوات الظلف . الغيد ـ بفتحتين ـ النعومة ، وامرأة غيداء ، وغادة ، أي : ناعمة ، والجمع غيد .
(٣) العرف : الرائحة الطيبة .
(٤) كذا في الاصل ، اما في نفح الطيب : لا شيء أحسن من آس تركبه .

في جيدِها غَيَدٌ ، في قدِّها مَيَدٌ

في خدِّها صَيَدٌ ، من سادةٍ صِيْدِ [1]

[٣٠]

من آلِ حامٍ حَمَتْ قلبي بنارِ جَوًى

من هجرها وابتَلَتْ عيني بتَسْهِيْدِ

فالقلبُ في حَرَقٍ والعينُ في أَرَقٍ

... ... [2]

٣٤

وقال رحمه الله :

الطويل

وأهدَى لي المحبوبُ الأُتْرُجَّ مُحسنا

فيا حُسنَه مولًى بهِ عزَّ عَبْدُهُ

ثمانيَ حبّاتٍ غَرَسْنَ محبَّةً

وهيَّجْنَ من وجْدٍ تقادمَ عَهْدُهُ

تجمَّعَ لي المثلانِ لوني ولونُها

كما اجتمعَ الضدّانِ قُرْبي وبعدُهُ

ولكنْ حَوَى راءً وجيما حروفُهُ

فرجَّيْتُ أن يسخُو ويذهبَ ضدُّهُ

---

(١) الميد : من ماد يميد ميدا : تحرك وزاغ · الصيد : داء يصيب الابل فتسيل انوفها فتسمو براسها ·

(٢) لم يرد في نفح الطيب ، وهو كذلك في الاصل وقد كتب الناسخ بعد الشطر الاول كلمة « نقص » ·

وجاءَ كمـا يُرجَى من الصخر لينُــه
ومنْ حَــرِّ أنفاســي وقلبي بَرْدُه

أُعَلّـلُ قلبي بالأمـاني وكم صدٍ
رأى الماءَ لكنْ ليسَ يُمكنُ وِرْدُه
فحسبيَ من وصـلٍ كلامٌ ونظرةٌ
وذا غايـة الصبِّ العفيفِ وقَصْدُه

ولم أرَ مثلــي كان أكتَمَ للهــوَى
صيانةُ حبِّي ان يُدَنَّسَ بِرْدُه

٣٥

وقال أيضا :

الطويل

تمنَيْتُ تقبيـلَ الحبيبِ فجاءَني
وقبَّلَني في النـومِ ثِنتينِ في العَــدِّ
فيــا طِيْبَ ذاكَ اللثمِ عندي وبردهُ
على كبـدٍ حرَّى تذوبُ من الوجْـدِ
واني لأرجُو أنْ أُقبِّـلَ يقظَةً
فماً فيه شيبَ الخمرُ بالمِسْكِ والشُّهْدِ

[٣١]

فيقضي ظمـآنٌ من الراحِ ريَّـهُ
ويشهدُ ثغراً كاللآليءِ في العِقْـدِ

٣٦

وقال رحمه الله :

الطويل

أَقُولُ لأَصحابي أَلا مَاءٌ بَارِدٌ
فقد قَدَحَتْ في القلبِ نارُ زِنادِ

فجاءُوا بكُوزٍ أحمرِ اللونِ قانيءٍ
وحافاتُهُ مطليَّةٌ بِسَوادِ

فقُلْتُ : عُيونُ الكوزِ سُودٌ لذكرت
عيون حبيبٍ باخلٍ بمِدادِ

وما لونُهُ الا يشابه حمرةً
بوجنةِ مولىً مالكٍ لِقِيادِ

أيا عجباً هذا الجمادُ محرِّكٌ
رسيس الهوَى في قلبِ أهيمَ صادِ (1)

أراني متَى انظُرْ لشيءٍ أجِدْ بِهِ
مشابهَ حسنٍ في الحبيبِ بوادِ

يَلَذُّ لقلبِي ما يُريدُ حبيبُهُ
دوامُ سهادٍ والتزامُ وسادِ

وتركُ غِذاءٍ غيرَ ذكرَى حَبيبةِ
فَذاكَ الى أخراه فضلَةُ زادِ

---

(1) رسيس الحب : أوله ، بقيته وأثره .

٣٧

وقال رحمه الله :

الطويل

أيا ناصرَ الدينِ انفردتَ بمَنْشأٍ
من النَّثْرِ ما فيهِ انتقادٌ لناقدِ

قلائدُ عقيانٍ تحاكي وإنَّهُ
فرائدُ ياقوتٍ لتلكَ القلائدِ

فرائدُ لو كانتْ تجسَّدُ نُظِّمَتْ
عقوداً لأجيادِ الغَواني النَّواهدِ

هو الأدَبُ الغَضُ الجنيُّ أتَتْ بِهِ
قريحةُ فكرٍ واقدٍ غيرِ خامدِ

[٣٢]

شفَعْتَ بها احسانَها فكأنَّما
شَفَعْتَ الدراري بالشموسِ الخوالدِ

خوالدُ لا تبْلَى على الدهرِ جِدَّةً
إذا تُليتْ جاءَتْ لكم بالمحامدِ

سوارٍ الى الآفاقِ يَزْهَى بسَمْعها
ذوو النثرِ من نقادِّنا والقصائدِ

غدا شافعٍ في العلمِ والفضلِ واحداً
فأَعْظِمْ بهِ من شافعٍ فيه واحدِ

٣٨

وقال[1] أيضا :

البسيط

طالعْ تواريخَ مَنْ في الدهر قد وُجِدوا
تَجِدْ خُطوبا تُسَلِّي عنكَ ما تَجِدُ

تَجِدْ أكابرَهم قد جُرِّعُوا غُصَصاً
من الرزايا بهاكم فتُّتَتْ كَبِدُ[2]

عَزْلٌ ونهبٌ وضربٌ بالسياطِ وحَبْـ
ـسٌ ثم قتلٌ وتشريدٌ لِمَنْ وُلِدوا

وإنْ وُقِيْتَ بحمدِ الله شَرَّتَهُم
فلتحمدِ اللهَ فالعُقْبَى لِمَنْ حَمِدُوا[3]

٣٩

وقال رحمه الله :

الطويل

تَصاوَنَ مَنْ أهْوَى وصَوْني أوْرَثا
لِقلبيَ ناراً كلَّ وَقْتٍ لها وَقْدُ

---

(١) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٣٠ .

(٢) الغصة : الشجى ، والجمع غصص . والغصص ـ بفتحتين ـ مصدر غصصت بالطعام أغص غصصا ، فأنا غاص به وغصان وأغصني غيري .

(٣) في أحد نسخ نفح الطيب : « فلتحمد الله في العقبى كما حمدوا » . العقبى : جزاء الامور .

كأنّي ابنُ داودٍ شهيدُ ابن جامعٍ
أو ابنُ كليبٍ في هوَى أسلْمٍ يعدُو

همـا أظْهرا في الناسِ حُبَيْهِما معـاً
وحُبِّي مَسْتورٌ لـدَى الناسِ مـا يبدُو

عـلى انني في الحُبِّ ثـالثُ ثلاثـة
تَوالَى علينا الشوقُ والدمعُ والسُّهْدُ

قَضَى نَحْبَهُ وجْداً وشـوقاً كِلاهُـمـا
وضَمَّهُما من فَـرْطِ بلواهُما لَحْـدُ

[٣٣]

فـإن كنتُ عن صَحبي تراخَتْ مَنيَّتي
فحَسْبِيَ أنِّي في الوَرَى الفَلكُ الفَرْدُ

وَرِثْتُ لَذاذاتِ المحَبَّاتِ كلها
فمالِيَ فيهَا لا شـريكٌ ولا ضِدُّ

وحبِّيَ يَـدْرِي أنَّنِي صادقُ الهـوَى
كَتُومٌ ، ومالي من هوَى حُسْنِهِ بُـدُّ

٤٠

وقال رحمة الله عليه :

الطويل

ولـمّـا طغَى الانسانُ سلَّطَ ربُّهُ
على نفسهِ منْ نفسِهِ عُضْوَهُ الفَرْدا

فأعقبَهُ ذُلاً وفقْراً وأفرُخاً
صغاراً ذَوي جوعٍ يكُدّونَهُ كَدّا
فأقبِحْ بِها من شَهْوَةٍ كانَ أصْلُها
مُقَدَّمَةَ الاستَيْنِ أنْتجَتا وُلْدا

٤١

وقال رضي الله عنه :

الطويل

تَفانَيْتُ قِدْماً في هوَى كُلِّ أغْيَدِ
لطيفِ التَثَنّي نادرِ الحُسْنِ مُفْرَدِ
وما علِقَتْ روحي دَنِيّاً وإن يكُنْ
جميلاً ولكنْ ذا جلالٍ وسُؤْدَدِ
وكانَ إبتدائي أنْ هَوِيْتُ محمداً
فصارَ اختتامي في الهوَى بمحمدِ
وبالأعينِ السُّودِ افْتُتِنْتُ فيا لها
سواجيَ قد حرّكْنَ شَوقاً لمكمدِ
وعلّقْتُهُ صعبَ المقادَةِ آبياً
كثيرَ التوقي صَيِّناً ذا تشدُّدِ
كريمٌ بتأنيسٍ وتحديثِ ساعةٍ
بخيلٌ بتقبيلٍ وباللّمسِ باليدِ
وجاذبتُهُ يوماً ففرَّ كأنه
غزالٌ رأى منّي احتيالَ التَصَيُّدِ

[٣٤]

فلاطفتُه حتى استكانَ وما دَرَى
بأنَّ الدَّنايا لا تَحُلُّ بمعْقَدِ
مُرادِيَ منهُ ما يريدُ وقد كفى
تعهدُّهُ قلبي بأُنْسٍ مُجَدَّدِ
ورؤيةَ عيني البدرَ عنديَ طالعا
وتشنيفُهُ سَمْعي بدُرٍّ مُنَضَّدِ
وعلمُ حبيبي أنَّني لستُ تاركا
هواه ولو أنّي أُحَلُّ بِمَلْحَدِي
أُنادِمُ منهُ مِلْءَ عيني ملاحةً
وألحظُ منه الشمسَ حَلَّتْ بأسْعَدِ
وأقطُفُ من آدابِهِ الزهرَ يانعا
واشتمُّ رَيْحانا بِخَدٍّ مُوَرَّدِ
وها أنا ذا قَدْ رُحْتُ عنهُ مودِّعا
فيا لَيتَ شِعري هلْ لَه بَعْدُ أغتَدِي

٤٢

وقال أيضا :

الخفيف

إنَّ قلبي ومِقوَلي قد أرَقّا
للمُقِرِّ الأسمى الشهابيِّ أحمَدْ(١)

---

(١) هو ابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ ، وصاحب مسالك الابصار .

مِن لسانِي ذِكرانِ ذِكرُ دعاءٍ
ثم ذِكْرٌ بهِ الثناءُ مُخلَّدْ

وبقلبي حُبَّانِ حُبُّ طِباعٍ
ثم حُبٌّ لِجُودِهِ قد تأكَّدْ

أبطَحِيٌّ فَخارُهُ عُمَرِيٌّ
مَحْيَوِيٌّ له المكارمُ تُسنَدْ

هوَ سِرُّ الملوكِ في كُلِّ أمرٍ
فَعليهِ خَناصِرُ المُلْكِ تُعقَدْ

حبُّهُ واجِبٌ على كُلِّ مَنْ آ
مَنَ باللهِ والرسولِ محمَّدْ

لابْنِ فضلِ الإلهِ فَضْلٌ علينا
وتمامُ الاحسانِ والعَوْدُ أحْمَدْ

[٣٥]

٤٣

وقال رحمه الله تعالى :

الطويل

شَغَفْتُ زمانِي بالعلومِ ولم يكُنْ
لروحِيَ ميلٌ للكواعِبِ عَنْ قَصْدِ

وجَمَّعْتُ مالاً راحَ في غيرِ لذةٍ
فاعقبني فَقْديهِ وجْداً على وجْدِ

وأَنتجتُ أَفراخاً مَضَوْا لِسَبيلهم
على حينِ نقلٍ من سريرٍ ومن مَهْدِ

وبُلِّغْتُ من عُمري ثمانينَ حِجَّةً
وثنتينِ أُمسِي دائما نائماً وَحْدِي

فقلبيَ مُسْوَدٌّ وليلي مثلُه
سواداً فجاءوني بمسوَدَّةِ الجلدِ

فَصِرْنا ثلاثاً ظُلْمَةً مَعَ ظلمةٍ
على ظلمةٍ تتلُو لنا ظلمةُ اللَّحْدِ

ودُنياهُمُ ما نِلْتُ منها نعيمَها
وأَرجُو نعيماً دامَ في جَنَّةِ الخُلْدِ

٤٤

وقال(١) أيضا :

الوافر

إِذا مالَ الفتَى للسودِ يوماً
فلا رأْيٌ لديه ولا رَشادُ

أَتهوَى خُنْفَساء كأَن زفتاً
كسا جِلداً لها وهُوَ السوادُ(٢)

---

(١) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٨ بعد الابيات رقم (٣٣) ، وقال : « وقال في عكسه » .

(٢) الزفت : القير .

وما السوداءُ الا قدرٍ فرنٍ
وكانونٌ وفحمٌ أو مدادُ
وما البيضاءُ الا الشمسُ لاحتْ
تنيرُ العينُ منها والفؤاد
سبيكةُ فضةٍ حشيتْ بوردٍ
يلذُ السهدُ معها والرقادُ
وبينَ البيضِ والسودانِ فرقٌ
لذي عقلٍ به اتضحَ المرادُ

[٣٦]

وجوهُ المؤمنينَ لها ابيضاضٌ
ووجهُ الكافرينَ بهِ اسودادُ

٤٥

وقال رضي الله عنه :

الخفيف

حفظَ اللهُ ساعةً مزجتني
بحبيبي فنحنُ مزجاً كشهدِ
ولحا اللهُ ساعةً فرقتنا
وحشتْ في حشايَ أعظمَ وقدِ
صرتُ كالشمعِ محرقاً ذا اصفرار
وهوَ كالأريِ لو يباحُ لوردِ[1]

(١) الاري : العسل .

٤٦

وقال سامحه الله :

الطويل

وكلَّفْتَني أمراً لَو أنَّ أقلَّه
يكلَّفُه ثَهْلانُ كادَ يَميْد(١)

إعادةَ ماضٍ واستدامَةَ حالَة
وتَحصيلَ آتٍ إنَّ ذا لشَديد

تَصَرَّفْتُ في ماضٍ وآتٍ وحاضِرٍ
كأنّيَ فِعْلٌ بانَ عنه جُمُود

وما زالَ بي التَّشبيهُ حتّى تظافَرَتْ
موانعُ صَرْفٍ ما لَهنَّ مَحيْدُ

فليتَ انصرافي في مكانٍ تَصَرُّفي
فيَنْقُصُ ذا عنّي وذاكَ يَزيدُ

٤٧

وقال أيضا :

الطويل

وقالوا : أبو حيانَ قد نالَ رُتبةً
سيركبُ فيها بغلةً ويزيدُ

وما كنتُ أزهى بالذي صِرْتُ نائلاً
ولا أنا ممَّنْ بالبغالِ يسودُ

[٣٧]

---

(١) ثهلان : جبل ضخم بنجد . (معجم البلدان) .

قافية الذال

٤٨

قال رحمه الله تعالى :

الطويل

أأرجو حياةً بعدَ فَقْدِ زُمُرُّذٍ
وكانَتْ بها روحي تلَذُّ وتغتذي[1]

زُمُرُّدُ قد خلَّفْتِ للصَّبِّ لوعةً
وحُزناً بقلبي آخِذاً كُلَّ مأخَذِ

رَمَيْتِ بِسَهْمٍ وَسْطَ قَلْبٍ مُجرَّحٍ
كأنَّ به وَقْعَ الحُسامِ المُشحَّذِ

فَحَصَّنْتُهُ بالصَّبْرِ فيكِ وعندَما
نبضْتُ أتاه السهمُ من كُلِّ منفَذِ

فَمِنْ مُقلتي تَسهادُ جَفْنٍ كأنَّما
يمرُّ عليه الليلُ جلدةَ قُنفُذِ

ومِن مَسمعي صَغْوٌ لصوتكِ دائماً
ومن معطَسي تَوْقٌ الى عَرفِكِ الشَّذي

ومن مَبسمِي أَنْفاسُ نارٍ تردَّدَتْ
على كَبِدٍ حرَّى وعَقْلٍ مؤخَّذِ

---

(١) هي زوجه زمردة بنت أبرق أم ولده حيان ، وقد : اسمعها الكثير على الابرقوهي وغيره وحدثت وسمع منها البرزالي . ماتت في ربيع الاول سنة ٧٣٦هـ . (الدرر الكامنة ج٢ ص١١٦) .

بِـهِ لَمَمٌ قد مَسَّهُ وتَخَبُّطٌ

فلا بالرُّقَى يُهْدَى ولا بالتعـوُّذِ

تقدَّمُهـا بنتي نضـيرةُ بنتهـا

وقد جُمِعا في مُلحَدٍ لم يُسـرَّذِ

وكنّا «الذي» مع وُصلةٍ لي وعـائدٍ

وقد حُذِفا لم يَبقَ منها سِوَى «الذي»

وزينـةِ حِلْم عقلُهـا ثابتٌ فـلا

تأثرُ من ايهـامِ كُلٍّ مُشَعْوَذِ

وحازَتْ لحُسنِ الخَلْقِ خُلْقا مُذَمَّثاً

ولِـينَ كـلامٍ طاهرٍ ليس بالبَذِي

فمـا دنَسَتْ فاها بغِيبةِ غائبٍ

ولا مَنَعَتْ رِفداً لمن جـاءَ يحتذي

وتعرف أجناسَ المبيعِ جميعه

واثمـانَهُ من فَحْمَةٍ للزُمرُّذِ

[٣٨]

وان جاءَ كَحّالٌ وذو الطب نَحْوَها

تُبارِيهمـا فأذْعَنـا للتَّتلْمُذِ

تغيَّرَ ذِهْني بعدَ جِسمِي ....(١)

فعقلي لم يقبَلْ عزائمَ عَـوَّذِ

(١) في الاصل نقص .

وجسمي إِذا رُمْتُ اضطجاعاً لراحةٍ
يقلَّبُ على جمرِ الغضا ثم يحتذي
وإنْ رُمْتُ نهضاً للقيامِ فأخْمَصي
أراهُ كأنْ شوكُ القتادِ به حذي
وإنْ أنا حاولتُ القعودَ تواترتْ
همومٌ متى تعلقْ بروحي تجبذِ(1)
فقلبي في حزنٍ وعيني في بُكا
فيالكَ شجْواً بين ذا قدْ ثوى وذِي
جميلةُ خلقٍ سهلةُ الخُلْقِ لينةٌ
رقيقةُ قلبٍ ثاقبِ الذهنِ أحوذي
أجدكِ لن تُصغي لشاكٍ مولّهٍ
جريحِ فؤادٍ فيك ذي مدمعٍ قذي
تباخلتِ حتى الطيفُ ليس بزائرٍ
لدى هجعةٍ ساهي الفؤادِ مجذّذِ
بقِيْ صالحٌ وأحمدُ ومحمّدٌ
وبلقيسُ كالايتامِ بعدَ زُمرُّذِ
وكانتْ لهم أمّاً حنوناً وجدّةً
شفوقاً تُشهّيهم بكلِّ تلذُّذِ

(1) جبذ : جذب .

وتختارُ أنواعَ المَطاعِمِ سُكَّرٍ

وحَلْوَى وبانيذٍ لهم وطَبَرْزَذِ[1]

رَوَتْ مِن أحاديثِ الرسولِ مَسانداً

وكانَ لها روحٌ بِتَسْماعِها غذِي

صحيحَ بُخاريٍّ ومسندَ دارمٍ

بسَمْعِ إمامٍ ثابتِ النَّقْلِ جهبذِ

ورَوَتْ ببيتِ اللهِ والقدسِ ما رَوَتْ

لِمصريٍّ أو شاميٍّ أو مُتبَغْدِذِ

[٣٩]

وحجَّتْ وزارَتْ مرَّتَينِ وقدَّستْ

وما يَكُ من برٍّ تُعجِّلْ وتنْفذِ

قضَى اللهُ أنْ عاشَتْ وماتَتْ سعيدةً

وليس امرُؤٌ مما قضاهُ بمنْفَذِ

مَضَتْ ولها ذكرٌ جميلٌ مُخلَّدٌ

ثناء كعَرْفِ المسكِ والعنبرِ الشَّذِي

الى العالَمِ العُلْويِّ راحُوا برُوحِها

لرَوْحٍ وريحانٍ وجنَّةِ مغتَذِ

---

(١) بانيذ وفانيذ وپانيذ وفانيد : السكر الابيض أو شيرة قصب السكر . (فرهنك عميد) . وفي معجم (برهان قاطع) : انه نوع من الحلوى . الطبرزذ : السكر ، معرب . (القاموس المحيط) ، وفي المعرب ص٢٢٨ : « طبرزذ : أصله بالفارسية تبرزذ كأنه يراد : نحت من نواحيه بفأس ، والتبر : الفاس بالفارسية ، ومن ذلك سمي الطبرزذ من التمر لان نخلته كأنما ضربت بالفأس » .

ولم تَكْتَرِثْ يَوما بِلِبْسٍ وزينةٍ

وحَلْيٍ فتبدو في النَّعيمِ المُلَذَّذِ

ولكنْ بِجودٍ وإحتمالٍ يزَيِّنُها

بنفحٍ لذي فَقْرٍ وصَفْحٍ عن البَذِي

مُطَهَّرةٌ لفظاً وقلباً وبَرَّةٌ

مُبَرَّأَةٌ عن كلِّ ما قادحٍ رَذِي

٤٩

وقال رحمه الله :

الرمل

بأبي ظبيٌ لعَهْدٍ قد نَبَذْ

جبَذَتْ عَيْناه قلبي فانْجَبَذْ (١)

كلُّ ذي حُسْنٍ ترَى أمثالَهُ

غيرَ محبوبي فَهْوَ في الحُسْنِ فَذْ

يا غَريبَ الحُسْنِ إنِّي سائلٌ

وزكاةُ الحسنِ تُعطَى من شَحَذْ

قالَ : ما تبغِي ؟ فقلتُ : قُبْلَةً

تَشْعَبُ القلبَ الذي صارَ فِلَذْ

قال : خُذْها ، ثم لا يأخُذُها

أحدٌ منِّي ولا كانَ أخَذْ

---

(١) جبذ : جذب .

فَرَشفتُ من لُماهُ سَلْسَلاً
وحَلالي ذلكَ الرَّشفُ ولَذْ
فاخْتَبَطْتُ فأتَوا يرقُونَني
حَسِبُوا أنْ بِي من الجِنِّ الأَخَذْ

[٤٠]

قالَ : كُفُوا ما بهِ من جِنَّةٍ
إنَّما سَهْمِيَ فيهِ قَدْ نفَذْ
إنَهُ لمَا رَمَتْهُ مُقلتي
وصلَ السَّهْمُ الى أقْصَى القُذَذْ(١)
ليسَ داءُ الحبِّ يشْفَى بالرُّقَى
لا ولا ينفَعُ تعليقُ العُوَذْ
بلْ شِفاءُ الحُبِّ وَصلٌ عاجِلٌ
واعتناقٌ واجتماعٌ مُسْتَلَذْ

---

(١) القذة : ريش السهم .

قافية الراء

٥٠

قال رحمه الله :　　　　　　　　　　الطويل

فُتِنْتُ بِمَنْ لو نورُها لاحَ للوَرَى
لأغْناهُمُ عن بَهجةِ الشمسِ والقَمَرْ

فتــاة من الفردوسِ فَرَّتْ الى الدُّنَى
ليُعْلَمَ ما فيها من الحُسْنِ في الصُّوَرْ

كأنَّ النَّقا والغُصْنَ والبَدْرَ والدُّجَى
مَعاً رِدْفُها والقدُّ والوجــهُ والشَّعَرْ

٥١

وقال ايضا :　　　　　　　　　　الطويل

أجنّةُ عَدْنٍ قد بَدا لِيَ حورُهــا
أم الخيمةُ الزرقاءُ لاحَتْ بُدُورُهــا

أم المقلــةُ الوَسْنَى تزورُ حبيبهـــا
فلمّا انثنتْ يَقَظَى تَبيَّنَ زُورُهــا

فُتِنَــا بآرامٍ دَواعــي صَبابَــةٍ
سَواجِي لِحاظٍ قَدْ سَبانا فُتُورُهــا

أوانسَ فارَقْنَ الكِناسَ فأصبحتْ
نَوافِرَ قد عزَّتْ عَلى من يَزُورُهــا

يُدِرْنَ من الأحداقِ أقداحَ قَهْوةٍ
ثَمِلْنَا بها لكنْ عَدانــا سُرورُهــا

وَيَنْصُبْنَ بالأهداب اشراكَ فتنةٍ
تَصيدُ بها الآسادَ بادٍ زئيرُها

[٤١]

وأسفَرْنَ عن مثل الشُمُوسِ طَوالِعاً
بأعينِ عينٍ عزَّ منها نفورُها
وَهَبْ أنّ أغصانَ النَقا شِبْهُ قَدِّها
فأنّى لها مُرخىً عليها شُعورُها
تَلَفَّعْنَ في داجٍ من الوَحْفِ سائلٍ
الى كعبها يَنْجرُّ منها صغيرها(١)
فَمَن يَسْرِ خَلْفاً ضَلَّ في ظلمةٍ ومَنْ
يَسيرُ أماماً فهو يَهديه نورُها
ويَبْهرنَ كلَّ النَيِّراتِ بغُرَّةٍ
تلألأ منها ضَوؤُها وسُفورُها
ويُقْعِدْنها الأردافُ رَيّا ثقيلةً
فتنهضُها ظَمأى خِفافاً خُصورُها
وتجلو لآلي ثغرها وتمجّها
جَنى شَهْدَةٍ أضحى الأرْكُ يَشورُها(٢)
أظَبْيَ الفَلا قُلْ لي بأيَّةِ حيلةٍ
تحيَّلْتَ حتى عَيْنُها تستعيرُها

---

(١) الوحف : الشعر الكثير الاسود ·
(٢) في الاصل : وتمحنها · يشورها : شار العسل : استخرجه واجتناه ·

وَيا دُرَّةَ الغَوَّاصِ زِدْتَ مَلاحَةً
الى العينِ لمّا أشْبَهتكَ ثغورُها
ويا حُقَّي العاجِ الذي ازْدانَ حِلْيَةً
متى أمكنَتْ من خَرْطِ نهدٍ نُحورُها
أبى نهدُها مِن مَسِّ وَشيٍ لجسمِها
كذا الرِّدفُ يأبى مَسَّ وشيٍ ظهورُها
أثَرْنَ بقلبي لوعةً إثْرَ لوعَةٍ
كذلكَ حُبُّ الغانياتِ يُثيرُها

٥٢

وقال(١) أيضا :

البسيط

عِلِقْتُهُ سَبَجِيَّ اللونِ فاحِمَةً
ما ابيضَ منهُ سِوى ثَغْرٍ حكَى الدُّرَرا(٢)
قَدْ صاغَهُ من سَوادِ العَيْنِ خالقُهُ
فكلُّ عَينٍ اليهِ تُدْمِنُ النَّظَرا(٣)

[٤٢]

---

(١) ذكر البيتين الاولين الصفدي في الوافي بالوفيات ونكت الهميان ص٢٨٢ ، وقال : « وأنشدني من لفظه لنفسه في أسود » . وذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٢٩٠ نقلا عن ابن مرزوق الخطيب وفيه « وانشدني أيضا من مداعباته ، وله في ذلك النظم الكثير مع طهارته وفضله » .

(٢) كذا في الاصل ، أما في نفح الطيب : قادحة . وفي الوافي بالوفيات ونكت الهميان : بشجي اللحظ حالكه . السبج : الخرز الاسود .

(٣) كذا في الاصل ونفح الطيب ، اما في الوافي بالوفيات ونكت الهميان : تقصد النظرا .

كأنَّمـا هُــوَ مــرآةٌ تُقابلُــهُ
مِنَ الورَى أنْفُسٌ قَدْ أودعتْ صُوَرا

تلكَ اللَّواتي غدَتْ في الحُسْنِ مُشرِقَةً
لَفَاقَتِ النَّيِّرَيْنِ الشَّمْسَ والقَمَـرا

تَقَسَّمتْ لونَـهُ الابصـارُ والِهَـةً
في حُسْنِه فـاءذا إِنسـانُها بَصَـرا

لولا سوادٌ بِهـا منـهُ لمـا نَظَرَتْ
ولَم يكُنْ عاشِقٌ بالعَيْنِ قَـد سُـحِرا

نُوبِيُّ جِنْسٍ فُـؤادي منـهُ في نُوبٍ
مُسْتَعْجِمٌ أفْصَحتْ في وصْفِهِ الشُّعَرا

مِنْ آلِ حـامٍ أخِي سـامٍ ويافثه
بِحُسْنِه استعبَدَ السامِيْنَ والخَـزَرا

مُكَمَّلُ الخلـقِ من فَرْقٍ الى قَدَمٍ
مُذَلَّـلُ الخُلْقِ مِطْواعٌ إذا أُمِـرا

٥٣

وقال أيضا : الطويل

ومَلَّكْتُ روحـي للحبيبِ تَطَوُّعاً
فَها أنا ذا ساخٍ بهِ وهـو سـاخِرُ[1]

ويـا عَجَبـاً أنّي أُسَـرُّ بحبِّهِ
وروحي عن جُثمانِي اليومَ سـائِرُ

(١) ساخٍ : كان سخيا .

تَقَسَّمَت الأزمانَ فيهِ محبَّتي
فوجدِي بهِ ماضٍ وآتٍ وحاضِرَ

٥٤

وقال رحمه الله :

الطويل

وقابَلَني بالحُسْنِ أَبْيَضُ ناعِمٌ
وأَسمرُ حلوٌ أصبحا فتنةَ الوَرَى

فذا سَلَّ من جَفْنَيْهِ للضَّرْبِ أَبْيَضاً
وذا هزَّ من عِطْفَيْهِ للطَّعنِ أَسْمَرا(١)

وقد صارَ لي شُغْلٌ بحبيْهما معاً
فأيُّهما يَنْأَى فصَفْوي تكَدَّرا

[٤٣]

وإنْ يقرُبا كانَت حياتي لذيذةً
وإن يبعُدا عنِّي أَرَى الموتَ أَحْمَرا

فيا لَيْتَ قلبي قد تعَنَّى بواحدٍ
فَيَغْنَى بهِ لكنْ فؤادِي تَشَطَّرا

فَشَطْرٌ لَدَى مَنْ لا شعورَ لهُ بهِ
وشَطْرٌ لدَى رِيمٍ دَرَى منه ما دَرَى

---

(١) ورد البيتان في تاريخ أبي الفدا ج٤ ص١٤٢ ، وتاريخ ابن الوردي ج٢ ص٣٣٩ وجلاء العينين ص١٨ كما يأتي :

وقابلني في الدرس أبيض ناعم   وأسمر لدن أورثا جسمي الردى
فذا هزّ من عطفيه رمحا مثقفا   وذا سل من جفنيه عضبا مهندا

فيا عَجَباً للصَّبِّ قَسَّمَ قَلْبَه
هَوَى اثنينِ هذا القَلْبُ أعجبُ مايُرى

٥٥

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الطويل

تذكَّرَ بُعْداً من نُضار فما صبَرْ
حليفُ أسىً رامَ السُّلُوَّ فما قَدَرْ
فأضْرَمَ ناراً في الحَشَا قد تسعَّرَتْ
وأمْطَرَ شُؤبوبُ المدامعِ كالمَطَرْ
نضارُ لقد أسْقَيْتِنِي كأْسَ لوعةٍ
هي الصبرُ المكروه أو طعْمُها أمَرْ
نضارُ لقد خلَّفتِني ذا مصائبٍ
إذا شَرَعَتْ تنأى تَدَاعَتْ لها أُخَرْ
نضارُ اعلمِي أنِّي بقلبيْ وقالَبِي
لديكِ مُقيماً لا يَقُرُّ لِيَ السَّفَرْ
وأتلُو كِتابَ اللهِ سِرّاً وجَهْرَةً
عليكِ وأدْعُو بالأصائِلِ والبُكَرْ
وأبكيكِ ما إنْ دام بالجِسْمِ رُوحُهُ
وما لاحِقِي يوماً مَلالٌ ولا ضَجَرْ
ولستُ كمَنْ بكَى حبيبَهُ حِقْبَةً
فقالَ وقد ملَّ البُكا مِنْهُ والسَّهَرْ

الى الحولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما
ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ
ولكنني أبكيكِ إذْ نلتقي معاً
فتُبصرِ عيني وجهكِ الزاهرَ القمرْ

[٤٤]

وأحظى بحُسْنٍ من حديثكِ إنما
حديثُكِ أُنْسُ القلبِ والسمعِ والبصرْ
وما كَنُضارٍ في البناتِ وما لها
شبيهٌ يُرَى لا في البداوةِ والحضرْ
رَزينةُ عقْلٍ لو يُقاسُ بمثلِها
حِجىً كانتْ الياقوت قد قِيسَ بالحَجَرْ
وتلاوةٌ آيَ القُرآنِ يزَينُها
فاءعرابُهُ زَيْنٌ القراءة بالدُرَرْ(١)
وراويةٌ عن سيِّدِ الرُسْلِ ما رَوَتْ
ثِقاتٌ بما قد صحَّ من مُسْنَدِ الخَبَرْ
وكاتِبةٌ خطّاً يزَيِنُ يَراعَها
بَراعَتُهُ فيه ابتهاجٌ لِمَنْ نظَرْ
وليستْ من اللاّئي شُغِلْنَ بزينَةٍ
فتكحَلَ منها العينُ أو تَلْبسَ الحبرْ

(١) في الاصل : زين الترآسه .

ولكنْ لهـا شُغْلٌ بأجْرٍ تَعِدُهُ
لِيومِ معادٍ حين يَنْفَخُ في الصُّوَرُ

إغاثـةُ ملهوفٍ وإطعامُ جـائعٍ
وكُسوةُ عارٍ وانتفاعٌ بلا ضَرَرْ

ألا رَحِمَ الرحمنُ نَفساً زكيَّةً
لدَى العالمِ العُلْويِّ كانَ لها مَقَرْ

٥٦

وقال رضي الله عنه : **الطويل**

نَداكَ هو البحرُ الخِضَمُّ لآمِلٍ
أَلَسْتَ تَراهُ الدَّهرَ يلفِظُ بالدُّرِّ

وقالوا : نَدَى كفَّيْكَ سُحْبٌ هَواطِلٌ
أما علِموا أنَّ السحابَ من البحرِ

٥٧

وقال عفا الله عنه : **الطويل**

أَنارَتْ مُحيّاً إذْ دجَا منه فرْعُه
وأخْصَبَ منها الرِّدْفُ إذْ أجرد الخَصْرُ

[٤٥]

إذا ما مَشَتْ تَخْتالُ بين لِداتِها
رأيتَ مَلاكَ الدُّجنِ تكنُفُهُ الزَّهْرُ

وأعجبُ من ضِدَّيْنِ فيَّ تَجمَّعا
فمِن مُقلَتيِ قَطْرٌ ومن مُهجتِي جمرُ

٥٨

وقال رحمه الله :

الخفيف

ذو لِحاظٍ بـه سَقامٌ فتـورٍ
لِصِحاحِ القُلوبِ مِنهنَّ كَسْـرُ
فَلأَنْفاسِـه وثغـرٍ وريـقٍ
نَسَبَتْ مِسْكَةٌ ودُرٌّ وخَمْـرُ
ولقَـدٍّ وشَعْـرِه والمُحيَّـا
أَشْبَهَتْ خُوْطَةٌ وليلٌ وبـدرُ

٥٩

وقال رضي الله عنه :

الخفيف

أَسْـهادٌ وأَدْمُـعٌ وزَفيرُ
بعضُ هـذا على المحبِّ كثيرُ
مـا تذكَّرتُ وَصْـلَ حِبّي إلاّ
كادَ قلبي شَوْقاً اليهِ يطـيرُ
سَـكَنوهُ وأَوْدَعُوهُ غَرامـا
عَجَبـاً فيـه جَنَّـةٌ وسَـعيرُ

٦٠

وقال ـ رحمه الله ـ كان بدر الدين بن زين الدين الاسعردي قـد تزوج بنت علاءالدين بن الاثير[١] وأهدى طعام العرس الى الناس ، وكان

---

(١) هو القاضي الرئيس علاءالدين أبو الحسن علي بن القاضي تاج‌الدين المعروف بابن الاثير كاتب سر مصر في العهد المملوكي ، مات سنة ٧٣٠هـ . (النجوم الزاهرة ج٩ ص٢٨٣) .

صاحبنا الكاتب خليل البهنسي جمال الدين يقرئ بدر الدين شيئا من النحو ويكتبه ، فكلفني أن أنظم له أبياتا في هذا المعنى وهي : [٤٦]

الطويل

هَنيئاً لِزَيْنِ الدينِ بالفَرَحِ الذي
بِهِ جُلِيَتْ شَمْسُ الضحاءِ على البَدْرِ

أَنارَتْ بِهِ الأَفلاكُ حتى أثيرُها
بغُرَّةِ بدرٍ لاحَ في ليلةِ القَدْرِ

وسُرَّ بِهِ الأحبابُ إذْ سارَ نحوَهُم
طعامٌ من المشويِّ أو مُنْضَجِ القِدْرِ

ومن صادقِ الحلواءِ زانَتْ صدورُها
صدورَ أُناسٍ في الأنامِ سِوَى صَدْري

وخُصُّوا بها دُوني وأُهْمِلْتُ منهم
وذا شيمةٌ مِنْكُم عَرَفْتُ بها قَدْري

حروفُهم أَصلٌ وحرفي زائدٌ
كأنّي واوٌ أُلحِقَتْ مُنتهى عَمْرِو

على أنّني ذاكَ الخليلُ الذي غَدَا
مُفيداً لآدابٍ بريئاً من الغَدْرِ

٦١

وقال - رحمه الله - كان بهاء الدين قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة[١] قد خلع عليه خلعة سلطانية فانشد أبياتا وهي :

---

(١) هو بدرالدين محمد بن ابراهيم بن جماعة ، توفي سنة ٧٣٣هـ (فوات الوفيات ج٢ ص١٧٤ ونكت الهميان ص٢٣٥ والدرر الكامنة ج٣ ص٢٨٠ والنجوم الزاهرة ج٩ص ٢٩٨) .

الخفيف

يا بَهادُرٌ سُدْتَ إذْ كُنْتَ مَوْلىً
لأِمامٍ أضاءَ للدينِ بَدْرا
لا أُهنّيكَ بالملابسِ فاعْلَمْ
بَلْ أُهَنّي بِكَ الملابسَ تَتْرى
إنْ تكُنْ خِلْعَةً تَزِينُ فهذي
زِنْتَها واكتَسَتْ بهاءً وذِكْرا
إنَّ قاضي القُضاةِ مَنْ يَصْطَفيهِ
نالَ عندَ الملوكِ جاهاً وقَدْرا

٦٢

وقال أيضا رحمه الله :

لمّا حَجَبَتْ جمالَها عن نَظَري
أضحى بَصَري مُراقِباً للقَمَرِ

[٤٧]

هَبْ أنّهُما بِناظِرَيَّ اشْتَبَها
نُوراً فهما شِبْهٌ لَها في الخَفَرِ
ما كانَ لَنا نُحِبُّها من غَرَضٍ
لكنْ قَدَرٌ أتاحَهُ عن نظري
سمراءُ لها بمُهْجَتي مُعْتَلَقٌ
فالعينُ لها مُديمَةٌ بالسَّمَرِ

مَهْما نَسمت فَمِسْكَةٌ في أرَجِ
أو ما بَسمت فَرِقَةٌ في دُرَرِ
شمسٌ سَفَرت كمْ أخْجَلَتْ من قمرِ
رَوْدٌ نظَرت بِسِحْرِها في الحَوَرِ
غابَتْ زَمَناً فَخاطِري في قَلَقِ
منْها وجوانِحي غدَتْ في سَعَرِ
راحَتْ ولها تَشَوُّقٌ أزْعَجَها
للحجِّ فما تقاعَدَتْ في السَّفَرِ
حَجَّتْ وقَضَتْ زِيارَةً وافَقَها
سَعْدٌ وأتَتْ سَليمةً من ضَرَرِ
فالدارُ بها مُضِيئَةٌ مُذْ وَرَدَتْ
والرُّوحُ لها مطيعةٌ في العُمُرِ

٦٣

وقال رحمه الله :

الرجز

يَرْشُفُنا من ريقِه مُدامَةً
نَكْهَتُها تَهْزَأُ بالعبيرِ
ونَجْتَلي دِعْصاً مَهِيْلاً فَوقَهُ
أمْلَدُ تحتَ قَمَرٍ مُنيرِ
وانحَدَرَت ذؤابَةٌ من شعرِه
فانظُرْ وُرُودَ الصِّلِّ للغَديرِ

يَلْفِتُ من طَرْفٍ خَفِيٍّ خَجَلاً
يَبْغَمُ مثلَ الشادِنِ الغَرِيرِ [1]

٦٤

وقال رحمه الله : كان قاضي القضاة شرف‌الدين الحراني(٢) [٤٨] ماتت له بنت وبشر بمولود ذكر من بنت الصاحب تاج‌الدين بن سليم(٣) ، وقال رحمه الله :

البسيط

هنيئاً لكَ النَّجْلُ السعيدُ الذي بِهِ
سَعِدْنا لقد وافاكَ بالبِشْرِ والبُشْرَى
لئِن كنتَ قَدْ جَفَّتْ بروضِكَ زَهْرَةٌ
فقَدْ أطلَعَ الرَّحمنُ في أُفقِكُمْ بَدْرَا

٦٥

وقال رحمه الله : البسيط

قالوا وَفَدْتَ من البيتِ الحرامِ ومِنْ
زيارةِ المصطفَى للعَودِ مُختارا
فَزاركَ الناسُ أرسالاً وبَعْضُهم
قَدْ ازْدَراكَ انتخاءً منه ما زارا
وما ازْدَراكَ سوى غَمْرٍ أخي حَسَدٍ
يَرَى بكَ الشمسَ إحراقاً وإنوارا

---

(١) بغمت الظبية : صوتت بأرخم ما يكون من صوتها ٠ الشادن : ولد الظبية ٠

(٢) هو قاضي القضاة شرف‌الدين أبو محمد عبدالغني بن يحيى الحراني الحنبلي ، ولي التدريس بالصالحية واختير لقضاء الحنابلة ، توفي سنة ٧٠٩هـ (النجوم الزاهرة ج٨ ص ٢٧٨ والدرر ج٢ رقم ٢٤٦٣) ٠

(٣) مرت ترجمته ٠

لـو أنَّه كنت رِجْسـاً من مُسَـالَمَةٍ
وافَى مِنَ القُدْسِ كانَ الغُمْـرُ زوّارا
إنْ يُتْرَكُـوا فقَـد يماً زارَ أكبَرُهُم
قَـدْراً وأكثرُهُم في الشَرْعِ آثـارا
المـالِكيْ والحَنَيفِيُّ اللّذانِ هُمـا
في العَصْرِ كانـا أَجَـلَّ الناسِ مِقْدارا
التابعـانِ الاءِمامَيْنِ اللّذَيْنِ هُما
أَصْلُ الشريعةِ إِخبـاراً وتَنْظَـارا
الأَصْبَحِيُّ ونُعمانٌ فـلا بَرِحَـا
يَسْقِي ضَرِيحَهُما الرحمـنُ مِدْرارا

٦٦

وقال عفا الله عنه :

البسيط

يـا صبوة قـد أَتَتْني آخر العُمُرِ
تذكـر القلب مـا قد كان في الصِغَـرِ
[٤٩]

انـي كلفت بريم قـد تقنصـني
اشـراكِ مقلتـه ....(١)
أباح لي قَطْفَ وَرْدٍ يانعٍ نضرٍ
ورشْفَ شهْدٍ شهيّ عاطرٍ خَصِرِ

---

(١) كذا في الاصل .

يا حُسْنَه وأريجُ الراح في فمه
كالمسْكِ ذُرَّ على صافٍ من الدُّرَرِ
وحبذا زَغَبٌ في وجنتيه بدا
هو السياجُ على رَوْضٍ من الزَّهَرِ
ورد يضاعف حبيه مضاعفة
ونرجس زين بالتذييل والحوَرِ
وفيه معنى لطيف ليس يدركه
إلاَّ فتى مؤثر للعقْل لا الصُّوَرِ
توكَّدَتْ بين روحينا مناسبةٌ
لذلك اتفقا في الوِرْد والصَّدَرِ
وفي تعانق جسمينا ترى عجبا
اثنان قد ظهرا فَرْداً لذي النظرِ
وقد غنيت به عن كل غانيةٍ
من أدرك العين لا يَعْتَدُّ بالاثرِ

٦٧

وقال – رحمه الله – جاءني الشيخ شرف الدين السنجاري المجدلي امام جامع الازهر قد نظم رجزا في الظاء والضاد ، وجاء به الي لانظره فكتبت اليه :

الخفيف

شَرَفَ الدينِ قَدْ تَشَرَّفَ قَدْري
بنظامٍ يَبأَى على كُلِّ شِعْرِ(١)

---

(١) بأى : فخر ورفع نفسه .

سِلْكُ دُرٍّ سَلَكْتَ فيه طَرِيقاً
أعجزَ الناسَ في نظامٍ ونَثْرِ

لا عَجيبٌ من كون لفظكَ دُرّاً
أنتَ بَحْرٌ والبَحْرُ يَرْمِي بِدُرِّ

[٥٠]

هوَ فرقٌ ما بَيْنَ ضادٍ وظاءٍ
وهو جَمْعٌ ما بين زَهْرٍ وزَهْرِ

أيُّ سِلْكٍ بِهِ الزمانُ تجلَّى
أيُّ سِحْرٍ أَرْبى على كُلِّ سِحْرِ

٦٨

وقال رحمه الله :

الطويل

وبالقلبِ رِيْمٌ لا يَرِيْمُ وِدادُهُ
ولو أنَّهُ ما عِشْتُ يَجْفو ويَهْجُرُ

من التُرْكِ إنْ قابَلْتَ فالبدرُ طالعٌ
لِنصفٍ وإنْ قاتَلْتَ فاللَّيْثُ مُخْدِرُ

تناسَبَ منه الخَلْقُ أمَّا قوامُهُ
ففُصْنٌ ولكِنْ بالأَهِلَّةِ يُثْمِرُ

ويُشْرِعُ لي من قَدِّهِ سَمْهَرِيَّةً
ولكنْ سِنانُ السَّمْهَرِيَّةِ أَحْوَرُ

٦٩

وقال رضي الله عنه :

الطويل

تَعِبْتُ وقد حصَّلْتُ أَشياءَ جَمَّةً
من العلمِ قد أَعْيَتْ على الجَهْبَذِ الحَبْرِ
حديثٌ وقرآنٌ ونحوٌ منقَّحٌ
وفقهٌ وآداب من النظمِ والنَّثْرِ
وقَدْ جُلْتُ ما بينَ الحجاز ومَغْرِبٍ
وأَنْدَلُسٍ مَعْ مِصْرَ في البَرِّ والبحرِ
فلم أَرَ في الدُّنيا امرءاً هو يُرتجَى
لِنَفْعٍ ولا يُدْعَى ليَكْشِفَ من ضَرِّ

٧٠

وقال ايضا :

الطويل

أَبا الفضلِ كمْ هذا التجنّي وإنَّما
يليقُ بغِرٍّ خائِفِ القَنْصِ نافِرِ
وانتَ بقلبي لا تزُولُ وإنَّما
يفوتُ لِعَيْنِي منكَ لَذَّةُ ناظِرِ

[٥١]

وكنتُ ومِن حالِي تأَنُّسُ واصِلٍ
وصِرْتُ ومن حالي توحُّشُ هاجِرِ

تَدارَكْ حبيبي خلّةً قد أضعتُها

وزُرْني ولو بالطيفِ خَطْفَةَ زائرِ

وإنْ لم تزُرْ شخصاً فأُنْسٌ بأحْرُفٍ

على ورقٍ يقْنعْ بذلك خاطري

٧١

وقال ايضا رحمه الله :

السريع

يا أيُّها المَوْلى الذي جُودُهُ

كالبَحرِ في تيّارهِ الزاخرِ

ومِنْ ضياءٍ وَجْهُهُ مشرقٌ

من بَدْأةِ الأمرِ الى الآخرِ

دَخِرتْ وُدّي لَكُمُ دائماً

ما لِسواكُم أنا بالدّاخرِ

وقد فَخَرْتُ بانتمائي لكُم

أعْزِزْ بِعبدٍ بِكُم فاخرِ

لولا نَدَى إحسانِكم في الوَرَى

كنتُ كعظمٍ هامدٍ ناخرِ

وإنَّ بَحْرَ جُودِكُم مُفْعَمٌ

يجري بفُلْكٍ للنَدَى ماخرِ

ومَنْ يحِدْ عن بابِ احسانِكُمْ

يَعِشْ كعَبدٍ خاسرٍ داخرِ

يَضْحَكُ أو يَهْزَأُ من فِعْلِهِ

كم ضاحِكٍ مِنَهُ بِهِ ساخِرِ

٧٢

وقال ايضا :

الطويل

إذا صِلَةٌ وافَتْكَ من صاحبٍ فَكُنْ

له شاكِراً إذْ كُنتَ منه على ذِكرِ

وإنّي لأَعتَدُّ اليَسيرَ من النّدَى

وأُتْبِعُهُ بالحَمْدِ مِنّي وبالشُكرِ

[٥٢]

٧٣

وقال رحمه الله :

الوافر

عَذيري من بني مِصرٍ فإنّي

أَفَدْتُهُمُ العُلومَ ولا فَخارُ

أَقَمْتُ بِمِصرِهِمْ ستّينَ عاماً

فلم يَخلصْ لِيَ فِيهِنَّ جارُ

وفارَقْتُ الأَنامَ وفارَقوني

فها أَنا لا أَزُورُ ولا أُزارُ

فإنْ ماتُوا فلا أَسَفٌ عليهم

وإن مُتْنا فقد ماتَ الخِيارُ

٧٤

وقال رحمه الله تعالى :

الخفيف

مـا لِقَلْبي مُقَسَّـم الأَفكار
وكأنْ قد حشيَ بجَمْرَةِ نـارِ

قَـدْ دَهَتْنـي من الزمـانِ خُطوبٌ
ضـاقَ عن حَمْلها جميـلُ إصْطبارِي

دَمْعُ عيني لِفَقْد حيَـانَ وَحيـا
نَ وحيَّانَ والنُّضاريْنِ جـارِ

أَتُراها من الغَمـامِ استمدَّتْ
أو أُمِدَّتْ من زاخِراتِ البِحـارِ

خمسةٌ تُشْرِقُ المَنـازلُ منْهم
أُدْرِجوا تَحتَ ظُلمةِ الأَحجـارِ

شَغَفَتْ بالقُرآنِ والنحوِ والخطِّ
وفَـاقَتْ بـه جميـع العـذارِ

واعتَنَتْ بالحديث سَـمْعاً وكَتْباً
فَرَوَتْ جُمْلَـةً من الآثـارِ

مُسـند الـدارِميْ ومُسنَدَ عبـد
والصَّحيحين مُسْلِماً والبُخـارِي

والنَّسـائيْ ومعجمَ الطَّبَراني
ثـم نصـفا مِلْمُعْجمِ الكُبَّـارِ (١)

---

(١) ملمعجم : من المعجم .

ولهـــا رِحلَـةٌ لِمكَّةَ فيهـــا

سَـــمِعَتْ من شُيُوخِنا الأَبرارِ

[٥٣]

خَـرَجَتْ أَربعين عن أربعـينَ اكْـ

ـتَتَبَتْها عن سادَةٍ أحبـارِ

وهْيَ في سُقْمِ موتِهـا أسمعَتْنـا

وأجازَتْ جمعـاً من الحضّـارِ

ثم راحَتْ لمَّـا قَضَى اللهُ فيها

بثَنـاءٍ وَطيِّبِ التَّـذْكـارِ

وَدَهاني من بعْدِ ذلكَ فَقْدي

أمَّ حيّـانَ خِيرَةَ الأَخيارِ

كانت أُنْسِـي في وَحْدَتي واغترابي

ومَنـامِي ويَقظَتِي وسِـفارِي

ونَدِيمـي في رِحْلَتِـي ومُقـامي

وزَميلي في حُجَّتِي واعتِمـارِي

كنتُ أرجُـو بأنْ تعيشَ وتَبْقَى

حين سُقْمي تَـدورُ بي وتُدارِي

لـم تكُنْ زوجةً ولكنْ كـأمٍّ

وأنـا كابْنِـها صغيرُ الصِّغـارِ

كانَت الروحَ بينَ جنبيَّ راحَتْ

فَحياتي صارَتْ كثَوْبٍ مُعـارِ

دَعَت اللهَ أنْ تموتَ سَرِيعاً
في حياتي في عِزَّةٍ واستتارِ
فأجابَ الإلهُ منْها دُعاءً
وقَضَتْ نَحْبَها لِدارِ القَرارِ
فَسَقَى اللهُ قَبْرَها غيرَ عاثٍ
وحَباها بِدِيمَةٍ مِدْرارِ

٧٥

وقال رحمة الله عليه :

الطويل

فُتِنْتُ بنشَّابيٍّ اخْتارَ شُغْلَهُ
بِصَنْعَتِهِ خوفَ العُيونِ النَّواظِرِ
أَعَدَّ لرائيهِ نَشَاشِيبَ مَنْ يُصِبْ
بِواحِدَةٍ مِنها يَرُحْ للمقابِرِ

[٥٤]

وقد نَشِبَتْ في حبِّهِ أنْفُسُ الوَرَى
فمِنْ مالِكٍ وجْداً وآخر صابرِ
نَظَرْتُ اليهِ وهو يَنْحَتُ أَسْهُماً
فخفَتُ كأنْ قلبي له قَلْبُ طائرِ
وقد كُنْتُ لا أَقْوَى لِسَهْمِ لِحاظِهِ
فكيفَ لِنُشَّابٍ وسَهْمِ المحاجِرِ

وقال رحمه الله :

المتدارك

بينَ القَصْرَينِ بَدَا قَمَرُ

بمَحاسنِه فُتِنَ البَشَرُ[١]

يُعزَى لِلتُرْكِ وقد تَرَكَتْ

عيناهُ فؤادي يَسْتَعِرِ

عَينا رَشأٍ قَدْ زانَهُما

غَنَجٌ يَسْبِيكَ أو الحَوَرُ

يَمْشِي فتَلِينُ مَعاطِفُهُ

ولهُ قَلْبٌ قاسٍ حَجَرُ

نَظَرَتْ عَينايَ مَحاسِنَهُ

والحبُّ يُهَيِّجُهُ النَّظَرُ

فَسَرَتْ لِلقَلْبِ مَحَبَّتُهُ

والقلبُ وَساطَتُهُ البَصَرُ

قَلبِي والطَّرْفُ قد اشتركا

فلِذا فِكْرٌ ولِذا سَهَرُ

أأَميرَ الحُسْنِ وهَل أَحَدٌ

إلاّ لِجمالِكَ يأتَمِرُ

---

(١) بين القصرين : موضع معروف في القاهرة قرب جامع سيدنا الحسين (رضي) .

أَتُرَى تَـدرِي أَنِّي كَلِفٌ
مِن حُبِّكَ مالِي مُصطَبَـر
وعن السُّلوانِ سَلَوْتُ فَهَـل
تَرْثِي لِمُحِبِّكَ يـا قَمَـرُ

٧٧

وقال أيضا رحمه الله [٥٥]

ما أَحْسَنَ ما يَقْرا حَبيبِيَ شِعرِي
فِيـه غزلاً وسـامِع لا يَـدْري
يَـدْري قَمَرِي بأَنَّ فِيـه دُرَراً
لاقَـى دُرَراً مُستخرجا من بَحْـرِ
بَحْرٌ مَدَدٌ لـه ذَكـاءٌ خُلُقـا
حتى لَحَسِبْتُ فِكْرَهُ من جَمْرِ
جمرٌ متوقِّـدٌ سَـرَى في حُجُبٍ
للخَدْ فَأَخالُ جمرَهُ لا يَسْرِي
يَسْـرِي لِشَجٍ فُؤادُهُ في حَرَقٍ
قد ذابَ أسىً من ساكنٍ في القصرِ
قَصْـرٌ لِرَشـاً كأَنَّمـا طلعتُـه
من شمسِ ضُحىً أو وجْهُهُ من بدْرِ
بـدرٌ وعلَتْهُ ظُلَّـةٌ من شَـعرٍ
يهتَزُّ نَقـاً من تحتِ غُصْنٍ نَضْـرِ

نَضْـرٌ وشكا من ردفه من ثِقَلٍ
فيه وكأنَّ ردْفَـهُ من صخـرِ
صَخْرٌ كفؤادِ مَنْ هَوِيْنا شغفاً
فيه فلقد أوْدَى به لي صَبْري
صَبْرٌ صَبِرٌ متى يُجَرَّعْ صَبِرٌ
جِسْماً دَنِفاً فَحِيَّهل للقَبْرِ

78

وقال رحمه الله :

البسيط

أَباحَنَــا وَصْلَـهُ المحبوبُ في دارِهْ
ولاحَ كالشمسِ حسناً وَقْتَ إبْدارِهِ
فقلتُ للنفسِ هـذا وقْتُـهُ دارِهْ
أَورِدْ لهُ عَسْجَداً من قبْلِ إصْدارِهْ

79

وقال أيضا :

البسيط

أَفدِي برُوحِي ابنَ ابني إنَّـهُ قَمَـرٌ
لـه من الحُسْنِ تكوينٌ وتصـويرُ

[56]

سَرَى له الحسنُ من شمسٍ له وَلَدَتْ
بدراً لـه في سماءِ المجدِ تَنوِيرُ

فيه حلاوةُ أمٍّ واعتزازُ أبٍ
فَخَلْقُهُ فيه تيسيرٌ وتفسيرُ

سَمَّوْهُ باسمِ نبيٍّ لا نظيرَ لهُ
في الأنبياءِ فمَحمودٌ ومشكورُ

٨٠

وقال رحمه الله :

الخفيف

جَنَّةٌ أُنْشِئَتْ لما تَشْتَهي النَّفْـ
ـسُ وتلتذُّهُ عيونُ البَصيرِ

أَرْضُها مَرْمَرٌ وأصدافُ دُرٍّ
جلبُوها من نابِياتِ البُحورِ

سَقْفُها أَغْرَقُوهُ بالذَّهَبِ العَيْنِ
وحيطانُها كَسَوا بالحريرِ

ثم أبوابُها مُطعَّمَةٌ بالـ
ـعاجِ والآبنوسِ والبلَّورِ

بَدَّلَتْ بالمياهِ انهارُ خمرٍ
وبحورِ الاناثِ حورَ الذُّكورِ

من شبابٍ مُعَذَّرِينَ ومُرْدٍ
يُحسِنونَ الرُّقادَ فوقَ السريرِ (١)

---

(١) العذار : جانب اللحية ، أى : الشعر الذي يحاذي الاذن · الامرد : الشاب طرَّ شاربه ولم تنبت لحيته ·

بمناطِيقٍ عَسْجَدٍ زيَنوها
بِلآلٍ تَنُوسُ فوقَ الخُصورِ[1]

فيدوَرُ الفتِيانُ فيها عليهم
بأباريقَ مِنْ عتيقِ الخُمورِ

من بني يافثٍ أبي التركِ نشأً
صُوِّروا في أحاسِنِ التصويرِ

صورٌ كالشموسِ تلمعُ نُوراً
لَبِسُوا في الوَغَى جلودَ النُّمورِ

فَهُم في الجِلادِ أشبالُ أُسْدٍ
وهُمُ في المِهادِ أشباهُ حُورِ

[٥٧]

أَعْجميونَ كالوُحوشِ طِباعاً
آنَسَتْهُمْ لطائِفُ التدبيرِ

وانتقالٌ من تاجرٍ لرئيسٍ
في نعيمٍ ونَضْرَةٍ وسُرورِ

بِعُيونٍ لُخصٍ سَبَتْ وأنوفٍ
ذُلْفٍ والوجوهُ مثلُ البُدورِ[2]

---

(١) تنوس : تتحرك وتتذبذب متدلية .

(٢) اللخص : غلظ الاجفان ، ذلف الانف : صغر واستوت ارنبته .

وشُعورٍ اذا هُمُ ضَفَروها
كُنَّ كالأَيْمِ وارِداً للغَديرِ[1]

فاءذا هُمُ حلّوا الشُعورَ تغطّتْ
صَفَحاتُ البُدورِ بالدَّيْجورِ

أيُّ دينٍ يبْقَى لِمَنْ صارَ مُغْرَى
بالحُمَيَّا وبالغَزالِ الغَريرِ

واصْطكاكِ الشِّفاه باللَّثْمِ رَشْفاً
واحتكاكِ الصُدورِ فوقَ الصُدورِ

واجتماعٍ بقائمِ النَّهدِ خَوْدٍ
واستماعٍ للعُودِ والطُّنْبُورِ

هذه عيشَةُ الملوكِ فَمَنْ يُحْرَ
مُ هذا يعيشُ في تَعْسيرِ

٨١

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الرمل

عَزَفَتْ نفسِيَ عن هذا الوَرَى
بعدَما حَلَّتْ نُضارٌ في الثَّرَى

فَبِسَمْعِي صَمَمٌ إنْ حدَّثُوا
وبِعينِي نَبْوَةٌ أنْ تَنْظُرا

---

(١) الايم : الحية ، ذكر الافعى .

كيفَ لِي عقلٌ بأنْ أصحبهمْ
لا أرى وجهَ نُضار النيِّرا
لا ولا أسمعُ من ألفاظها
كلما قد أبرزتْها دُررَا
لو نظمنَ كُنَّ زهرَ أنجمٍ
أو نثرنَ كُنَّ زهراً أنورا

[٥٨]

إنْ تكنْ عنْ مقلتي قدْ حُجبتْ
فبقلبي شخصُها قد صوَّرا
قدْ لزمتْ تربةً حلَّتْ بها
عبقتْ طيباً ومِسْكاً أذفرا
حلَّ فيها العلمُ والفضلُ الذي
كانَ عنها في الوجوهِ اشتهرا
لم تكنْ أنثى تُوازي فضلَها
هل يوازي الصخرُ يوماً جوهرا
تلتِ القرآنَ غضّاً مُعربا
ليس تصحيفٌ ولا لحنٌ عرا
ووشتْ بالحبرِ في مُهرقِها
وشْيَ خطٍّ قد تجلّى أسطُرا
بحديثِ المُصطفى والفقهِ والنْـ
ـنحوِ والشّعرِ الذي قد حبّرا

٨٢

وقال رحمه الله : ومما نظمته سنة حجت نضار وأمها واخوها وابنها صالح وبعلها وكانت حاملا بأحمد الثاني ، وحجت معهم فضة والحاجة فاطمة بنت ابن الاديب :

الخفيف

إِنَّ ذا العيدَ فيه غابَتْ نَضارُ
وأخوها فما لِقَلبي قرارُ

أدمُعي ترتمي على الخدِّ سَكباً
وفؤادي مضطَرِمٌ فيه نارُ

صَحِبا من ودادها وَسْطَ قلبي
كُلَّ وقتٍ له اليها إدِّكارُ

وأخاً خيِّراً عفيفاً حَيِيّاً
قد زكا فَرْعُهُ وطابَ النِّجارُ

أوْحَشَتْ مِنْهُمُ الديارُ وساروا
بِهِمِ تأنَسُ الرُّبا والقِفارُ

[٥٩]

حمِلَتْ منهمُ الجمالُ جمالاً
ساطِعاً منه للوَرَى أنوارُ

أشرقَتْ بالنَّهارِ مِنْهُمْ شموسٌ
وتجلَّت في ليلِهم أقمارُ

عَبِقَتْ من شَذاهُمُ الارض لمّا
وَطِئوها فتربُها مِعطارُ
قاصدِينَ الحجاز للحَجِ راحُوا
لَهُمُ الذِّكرُ والقُرآنَ شِعارُ
بَلَغُوا كعبةَ الإلهِ وحَجُّوا
فبِها حُطَّت عنهمُ الأَوزارُ
ثم زارُوا للمُصطَفَى خيرَ قَبْرٍ
فيه خيرُ الخلائقِ المُختارُ
حَنَّ قلبي لصالحٍ ولعَمَرِي
إنَّ ترحالَهُ لَفيهِ اعتبارُ
حَجَّ طِفلاً مَعْ أُمّهِ وأَبيهْ
نالَ ما لم تَنَلْهُ قَطُّ الصغارُ
هم أُناسٌ حَجُّوا وزارُوا وفازُوا
ساعدتْهُمْ في ذلكَ الأَقدارُ
وأنا الشيخ أخَّرتني ذُنوبي
فعَسَى أن يُسامِحَ الغَفّارُ
خَلَّفوني وحدي غريبا فريداً
كُلَّ حينٍ يَشُوقُني التَّذكارُ
أتُراني أُحيا أُشاهدُ حيّانَ
وتَبدُو لِناظِرَيَّ نُضارُ

زَهرتـا مُهْجتي ونُورا فؤادي
وأنيساي إن عَراني اِفتِكار
فارَقاني شهْراً وشهْراً وشهْراً
ما لِقَلْبِي على الفِراقِ اِصْطِبار
يا نَسيمَ الصَّبا ألا احْمِلْ سلامي
للأَحِبّاءِ حيثُ شَطَّ المزار

[٦٠]

قلْتُ للنفسِ وهْيَ ذاتُ اضطرابٍ
استكِنّي فقد تَقَضّى السِّفار
قد أتانا مُبَشِّر بالتداني
وغداً تجمعُ الحبيبَ الديار

٨٣

وقال رحمه الله :

الطويل

غَدَتْ أعيُنُ للناسِ رُمْداً مُصابَةً
بعينيكَ إنَّ السِّحرَ منها يُؤثِّرُ
وكَمْ أثَّرَتْ عيناكَ في أعيُنِ الورَى
الى أنْ غدَتْ في نفْسِها تتأثَّرُ
كذا الصارِمُ الصَّمصامُ إن دامَ قاطعاً
يَصِرْ فيهِ منهُ عندَ ذاكَ تأثُّرُ

وقال ـ رحمه الله كان الصاحب تاج الدين محمد بن محمد بن سليم(١) قد اشترى فرسا من العرب فاقامت عنده زمانا ثم عبر على بيوتهم فجفلت ، فنظم :

الطويل

نَسِيت بُيوتَ الشَّعْرِ يا فَرَسِي وَقَدْ
رُبِّيتِ بها والحُرُّ للعَهْدِ ذاكِرُ
ولكِنْ رأَيْتِها بنَجْدٍ وأهلِها
على صِفَةٍ أُخْرَى فعُذْرُكِ ظاهِرُ

قال : فنظمت أنا في هذا المعنى . وهما بيتان تقدمَ ذكرهما في قافية الباء(٢) :

٨٤

وقال رحمه الله :

الطويل

أرَى كُلَّ عُضْوٍ في الفَتَى نافِعاً لَهُ
سِوَى واحد فيه جلوب له الضرَّا
فأقْبِحْ بهِ عُضْواً يولِّدُ أفْرُخاً
ويُكسِبُهُ ذُلاً ويُعقِبُهُ فَقْرا

[٦١]

ولو انه يُكفاهُ عاشَ مُمَتَّعاً
بدُنياهُ مرجُوّاً له الفوزُ في الأُخرى

(١) مرت ترجمته .
(٢) هما المذكوران في رقم (١٢) من الديوان .

٨٥

وقال رحمه الله تعالى :

كان قاضي القضاة جلال الدين قد اشتريت له نسخة مغربية من قلائد العقيان ، وكنت أنا قد سمتها في السوق فكتبت اليه :

الخفيف

قل لقاضي القضـاةِ شيخِ البرايـا
يـا إمـامـا حوى الفـرائدَ طـرّا[1]

كُنْتُ قد سُمْتُ في القلائد بيعا
فأتى الهيثمي لـذلك نُكْـرا

إنَّ بيني وبينهـا نسـبة العر
بِ لذاكَ اهتززْتُ للعربِ ذِكْـرا

انْ تكُن نُسخةٌ سواها لديكم
فلتَجُـدْ واغتنِمْ ثنـاءً وشكْرا

كم مديـحٍ في جدِّكم لعَـليٍّ
وحبيبٍ قد طبَّقَ الأرض نشْـرا

من يك القـاسـمُ الهُمام أبـاهُ
طابَ بينَ الانـامِ فرْعاً ونَجْرا

فبعثَ اليَّ بالنسخة واصحبها ثوبَ صوفٍ

---

(١) هو الخطيب القزويني صاحب التلخيص والايضاح .

٨٦

قال(١) رضي الله عنه :

الطويل

أسحرٌ لتلكَ العينِ في القلبِ أم وَخْز
ولينٌ لذاكَ الجسمِ في اللّمسِ أمْ خزُّ

وأملود ذاكَ القدِّ أم أسمرٌ غدا
له أبداً في قلبِ عاشقِهِ وَهْز(٢)

فتاة كساها الحسنُ أفخرَ ملبسٍ
فصار عليه من محاسنِها طرْزُ

[٦٢]

وأهدى اليها الغصنُ لينَ قوامه
فماسَ كأنَّ الغصنَ خامرَهُ العِزُّ

يضوعُ أديمُ الأرضِ من نَشْرِ طيبِها
ويخضرُّ في آثارِها تربُهُ الجرزُ(٣)

وتختالُ في بُرْدِ الشبابِ إذا مشت
فيُنْهِضُها قدٌّ ويُقعِدُها عَجْزُ(٤)

---

(١) ذكر الابيات السبعة الاولى الصفدي في الوافي بالوفيات واعيان العصر ج٧ ، وقال : « وأنشدني لنفسه ومن خطه نقلت » . وذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٠٩ .

(٢) الوهز : الدفع والضرب والدق .

(٣) ضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .
الجرز : أرض جرز : لا نبات بها .

(٤) كذا في الاصل ، أما في المصادر الاخرى : اذا مضت .

أصابَتْ فؤادَ الصبِّ منها بنظرةٍ
فلا رُقيةٌ تُجدي المصابَ ولا حِرْزُ[1]

أقامَ زماناً وهو أخرسُ باهتٌ
فإنْ رامَ تكليماً يكونُ له رَمْزُ

ولو أنها تَسْخو بأدنى وصالِها
لأقنعَهُ المسكينُ من لحظها غَمْزُ

٨٧

وقال رحمه الله :

الوافر

أهزّكَ والكريمُ له اهتزازُ
ومثلُك من يُجيزُ ولا يُجازُ

أعِزَّ الدينِ لا تُهمِلْ مُحبّاً
له بِكُمُ اعتلاءٌ واعتزازُ

وأصْلُكَ في المكارمِ أيُّ أصلٍ
جميعُ المكْرُماتِ له تُجازُ

وإنّكَ فَرْعُهُ الزاكي أُصولاً
إذا أصْلٌ ذكا كَرُمَ النِحازُ[2]

كسوتَ المتّقينَ ثيابَ عِزٍّ
لها من رَقْمِ جُودِكُمُ طِرازُ

---

(١) الرقية : ما يرقى به الانسان ، والجمع : رقى . الحرز : الموضع الحصين ويسمى التعويذ حرزا .

(٢) النحاز : الاصل .

وأَثَرتَ الأثيرَ بكُلِّ خيرٍ
فصارَ لـه لعَلياكَ إنحياز

حديثُ الجودِ عن جدواكَ تروى
حقيقتُهُ وغيرُكُمْ مَجاز
فما مِنْ رايةٍ للمجدِ إلاّ
لها بفَناءِ مَنْزِلكَ ارتكاز

[٦٣]

وما من فُرصَةٍ في الخيرِ إلا
لها من جودِ جُودِكُمُ انتهاز
فأَبْقاه الإِلهُ قريرَ عينٍ
عليكَ لـه احتراسٌ واحترازُ

قافية السين

٨٨

قال(١) رحمه الله :

الطويل

أهاجكَ ربعٌ حائلُ الرسمِ دارسُهْ
كوحيِ كتابٍ أضعفَ الخطَّ دارِسُهْ

غدا موحِشاً بعدَ الأنيس ولم يكُنْ
ليوحش الا وهو قد بانَ آنسُهْ

تبدّل من لَمياءَ ريماً وقَلَّما
يُجانِسُها ظبيُ الفَلا أو تجانِسُهْ

وهَبْ أنَّهُ يُحكَى بجيدٍ ومُقلةٍ
فاينَ له لَدْنُ الأراكِ ومايِسُهْ

غَنينا زماناً آمنينَ بغِبطَةٍ
ففرَّقَنا صَرْفٌ من الدهرِ بائِسُهْ

---

(١) ذكر البيت الاول الصفدي في الوافي بالوفيات وقال « وهي قصيدة مليحة تلعب فيها بفنون الكلام تقارب المائة » ٠ وذكره في أعيان العصر وقال : « وأنشدني لنفسه ــ رحمه الله تعالى ــ قصيدته السينية التي أولها : أهاجك ٠٠٠ » ٠ وذكره المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣١٤ ٠

زمان يُلبّي القلبُ داعيَ صبوةٍ
ويَسْبِي حِجاهُ ناغِشُ الطَّرْفِ ناعِسُهْ (١)

من الترك لم يُربَعْ بنجدٍ وانما
رَبا في عرينِ الليثِ والليثُ حارِسُهْ

فلا وَصْلَ إلا من تَلَفُّتِ نظرةٍ
تجاهِرُهُ حيناً وحيناً تخالِسُهْ

غَرستُ بلحظي الوردَ في وَجَناتِهِ
ولكنَّه لا يجتني منه غارِسُهْ

جميلٌ كأنَّ الحسنَ خُيِّرَ فاغتدى
خَصيصاً بهِ إذ لا نظير يُنافِسُهْ

فللشَّمسِ ما تُبديهِ غُرَّةُ وجههِ
وللكُثْبِ ما تُخفيهِ منه ملابِسُهْ

جرَى فَجرى الضرغامُ في أَجَماتِهِ
غدا وهو جَهْمُ الوجهِ أربدُ عابِسُهْ

[٦٤]

براهُ الطَّوَى حتى كأنَّ زئيرَهُ
بُغامٌ وشَبْحاً منه واراهُ رامِسُهْ (٢)

---

(١) نغش : تحرك ، اضطرب ، مال اليه ٠
(٢) البغام : صوت الظبية ٠ رمسه : غطاه ودفنه ٠

فَمَرَّ بِـهِ خَيـطٌ مِنَ الـوحشِ آنَسَتْ
سَنا مُقلةٍ تدنُو وصَوْتاً يُهامِسُهْ

ففرَّتْ هوادِيها وافـردَ قَرْهَبٌ
مذلَّق مـدرًى مُهلِكٌ مَنْ يُراعِسُهْ (١)

أقاما زمانـا وهـو قد ضَبَئَتْ به
براثنُ فيه فهو لاشَكَّ فارِسُـهْ (٢)

بأفتكَ منـهُ حينَ يرنُوْ بمقلـةٍ
تُريكَ الرّضَى والموتَ فيه مُلابِسُهْ

ودَويَّةٍ تيهـاءَ غُفْـلٍ سَلَكْتُها
وجنحُ ظلامِ الليـلِ تسطو حَنادِسُـهْ (٣)

قَصيَّـةُ أرجـاءٍ قريبَـةُ مَتلَفٍ
يظَلُّ بها الخِرّيْتُ يَحْتارُ هاجِسُهْ (٤)

وقد سلكت فيهـا السّعالى مُلاوةً
فخافَت بهـا اذ لم تَجِـدْ من تلابِسُهْ (٥)

---

(١) القرهب : الثور المسن أو الكبير الضخم ، ومن المعز ذوات الاشعار • ذلق السكين : حدده • المدرى : القرن • رعس : انتفض •

(٢) ضبأ : لصق •

(٣) الدويّة : الفلاة • أرض تيهاء : تضل الناس كثيرا •

(٤) الخريت : الدليل الحاذق •

(٥) ملاوة من الدهر وملوة : برهة منه •

إِذا عزَفتْ ليلاً أجاب لها الصَّدَى
يَطِنُّ به طامٍ من القُفّ طامِسُهْ(١)

ومنهل قَلْتٍ وَسطَ قُنَّة شامخٍ
تُلَطِّفُهُ في كلِّ حين رَوامِسُهْ(٢)

وتُنْقِصُهُ يُوحٌ بِحَرٍّ سَمُومِها
فيُربيه مُنْهَلُّ الغَمامِ وباجِسِهْ(٣)

تَظَلُّ سِراعُ الفَتْخ يسقطْنَ دونه
فليس لها وِردٌ وقد عزَّ لامِسُهْ

ورَدْتُ وقد مَجَّتْ ذُكاءُ لُعابَها
بنحرٍ فتىً حرُّ الهجير يُوانِسُهْ

بقلبٍ تكادُ النارُ مِن نَفَيانِهِ
تُشَبُّ ويُورِي شُعْلَةً منه قابِسُهْ

وبحْرٍ كثيفِ الجانبين عَرَمْرَمٍ
تضيءُ لنا مثلُ الشموسِ فَوانِسُهْ

[٦٥]

وقد ملأَ الارضَ الفضاءَ كأَنَّما
تُمَدُّ بأملاكِ السماءِ فوارِسُهْ

---

(١) القفة : رعدة تأخذ من الحمى وقشعريرة ٠
(٢) القلت : النقرة في الجبل ٠
(٣) يوح : من اسماء الشمس ٠ بجس الماء : فجره ٠

إذا ماجَ بالارضِ ابذَعَرَت وحوشُهُ
وضاقتْ بهِ أنجادُهُ وأوْاعِسُهُ[1]

مَطوتُ به في السَيرِ في طَلَبِ العِدا
عِدا الدينِ حتى عادَ للدينِ شامِسُهُ

على رَبَذٍ سامي التَليلِ كأنَهُ
يعارضُهُ من أشهبِ البرقِ ناخِسُهُ[2]

عَبوثٍ بأشلاءِ اللجامِ كأنما
بهِ أولَقٌ حتى لَقَدْ ضَجَّ سايِسُهُ[3]

وغيث وليّ في قرارةِ وهدةٍ
أقامَ بهِ رَطبُ النباتِ ويابِسُهُ

بعيدٌ عن الروّادِ ليسَ بمَعْلَمٍ
مَخُوفٍ بهِ الآسادُ تسطو عنابِسُهُ[4]

مَلاعبُ ضِرغامٍ مَزاحِفُ ضَرْزَمٍ
قتولٌ بنفثِ السُمِّ من هُوَ دايِسُهُ[5]

إذا انسابَ في يبسٍ يَمُرُّ كأنهُ
حريقٌ تلظّى أو خَريقٌ تُلامِسُهُ[6]

---

(١) ابذعروا : تفرقوا وفروا وركضوا • الوعس : الرمل السهل يصعب فيه المشي •
(٢) ربذ : خف • والربذ : السريع وهو هنا الجمل • التليل : العنق •
(٣) ولق في السير : أسرع ، وأولق ايلاقا : أصابه الجنون •
(٤) العنبس : الاسد •
(٥) أفعى ضرزم : شديدة العض •
(٦) الخريق : الريح الباردة الشديدة •

فما يأتِ من وحشٍ لوردٍ فانه

يُناهِشُهُ هذا وذاكَ يناهِسُه[1]

فكائنْ به من آهبٍ قد تمزّقتْ

وشِلوٍ لجامٍ ماتَ من هوَ ناهِسُهْ

هَبَطْتُ وفي كفّيَّ رسُوبٌ كأنّه

سنا البرقِ وهْناً لاحَ والليلُ دامِسُهْ[2]

وراحٍ أبوها ابنُ الغمامِ وأمُّها

ابنةُ الكرْمِ عرْشاً طابَ منه مغارسُهْ

صفَتْ فأرتْنا ذاتَها من إنائها

ولاحتْ لنا لونينِ قانٍ وَوارِسُه[3]

جلوبٌ لأنواعِ السرورِ تهونُ في

صيانتِها نفسُ الفتى ونفائسُهْ

[٦٦]

وتُكسِبُ عقلَ المرءِ بأساً ونائلاً

فتخشى عواليهِ وتُغشى مجالسُهْ

تمزّزْتُها صِرفاً فعاثتْ بنهيتي

تُريني مُلْيكاً كِسْرَوِيّاً أقاعسُهْ[4]

---

(١) نهس اللحم : أخذه بمقدم أسنانه ونتفه .

(٢) الرسوب : السيف يغيب في الضريبة .

(٣) الوارس : الشديد الصفرة .

(٤) تمزز : تمصص الشراب .

وروضٍ يفـاعٍ نادَمَتْهُ لطـائفٌ
من المُزن تَنْدى وهو وَطْفٌ نواعِسُهْ (١)

فتشـرقُ فيه الشمسُ تُلْقي شُعاعَها
عليه فيبدو وهـو تُجلى عرائِسُهْ

أقَمْتُ بـه يـوماً أُغازِلُ جؤْذراً
من التُرْكِ أحظى من بشمسٍ يُقايسُهْ

ويـوماً أُعاطِي قَهـوةً ذهبيـةً
أخائقة خِـلاً قَليلاً وَساوِسُهْ (٢)

ويَومـا أُغادِي للسـماعِ لِغـادَةٍ
لطيفةِ جسٍّ العودِ يُطْرِبُ نامِسُهْ (٣)

ويومـا أجيلُ العـينَ في زَهَراتـه
أُشاهِدُ مخلوقاً غريبـاً مَقايِسُهْ

فمن أحْمرٍ في أخْضـرٍ مَعَ أصفرٍ
وأبيضَ مَعْ مسودٍّ لـونٍ يُجانِسُهْ

ويـوماً لهوْناهُ بِغَرْثانَ أدْرَعٍ
لـه أنيبٌ عُصـلٌ ولَحظٌ يُشاوِسُهْ (٤)

---

(١) الوطف ـ محركة ـ : كثرة شعر الحاجبين والعينين وانهمار المطر .
(٢) القهوة : الخمر .
(٣) نامسه : سارّه .
(٣) الغرثان : الجائع . العصل : العوج الصلبة . شاس : نظر بمؤخر عينه تكبرا أو تغيظا .

يسوفُ ترابَ الوحشِ أينَ مقرُّهُ

فيُغْنيهِ عن لمحِ العيونِ مَعاطِسُهْ

فكم إجَّلٍ أردى وكم قَرْهَبٍ فرى

فلا خُزَزٌ ناجٍ ولا هِقْلٍ يائسه (١)

إذا نحن أَشليناهُ اطلقتُ تابعاً

له أسفعَ الخدينِ ذُلْقاً نواهِسُهُ (٢)

فحلّقَ صُعْداً ثم أبْصَرَ بالصُّوى

ثعالةَ يردى وهو بَهْرٌ منافِسُهُ

فسامَتَهُ وانقضَّ يلطُمُ وجهَهُ

جناحاهُ والغرثانُ وافى يمارِسُهْ

[٦٧]

ولم يَبرحا حتى أفاتاهُ نَفْسَهُ

فمن دمِهِ يَرْوى لغوبٌ ولاحِسُهْ

---

(١) الاجّل : لغة في الايل ، وهو الذكر من الاوعال ، والجيم بدل من الياء • (اللسان) • القرهب : الثور المسن او الكبير الضخم ، ومن المعز ذوات الاشعار • الخزز : ولد الارنب ، وقيل : الذكر من الارنب • الهقل : الفتي من النعام •

(٢) السفعة : سواد في الخدين • الذلق : الحادة • النواهس : الانياب •

فيا حَبَّذا يومٌ وثانٍ وثالثٌ

ورابعُ يومٍ طابَ واليوم خامِسهْ

لَقَضَّيْتُ أيّامي بأُنْسٍ ولَذَّةٍ

فخامِسُها يَتلوهُ في الأُنْسِ سادِسُهْ

ودَيرٍ بِمَوْماةٍ قَصِيٍّ عن الوَرَى

يَدُلُّ عليه التائهينَ نواقِسُهْ

حَوَى من بناتِ الرومِ أَقمارَ غزلةٍ

وولدانَهم حتى لغَصَّت كنائِسُهْ

تناظَرَ فيه الحُسْنُ أينَ مقرُّهُ

اداماتُهُ يختارُها أم شمامِسُهْ[1]

طرقتُ وسيدُ الخرقِ يغسِلُ ساغباً

وقد راءَ قِرناً لا ترامُ مخَالِسُهْ[2]

فأَقعَى قليلاً ثم يطفِرُ طامِعاً

فأَعجَلَهُ سهمٌ عن القَصدِ حابِسُهْ[3]

---

(١) الشماس : رجل دين دون الكاهن .

(٢) السيد : الذئب ، الاسد . الخرقاء : الارض الواسعة التي يشتد فيها هبوب الريح . راء : رأى .

(٣) أقعى : جلس على استه .

وأوجرْتُهُ خَطِيَّةً ثم مَخذماً

فقد قُطِعَت أوصالُهُ وكرادِسُهْ[1]

وكنت بمرأًى من ذوي الدَّيْرِ فاغتدَى

على راحتي مَسحاً ولثماً قَساوِسُهْ

أرحتُهُمُ من غاشِمٍ كان دأبُهُ

إذايَتَهُم والظُلْمُ يَردَى ملابِسُهْ

وأشمط بَهّاتٍ غريبٍ مُمَزَّقٍ

رميةِ أفّاقٍ كثير دَهارِسُهْ[2]

ففي السِّيميا والكيميا مع طلاسِمٍ

وزَرقٍ وأوفاقٍ ورَملٍ خلابِسُهْ[3]

ورمي وتنجيمٍ وضَربٍ لِمَنْدَلٍ

وإحضارِ عفريت وجِنٍّ يُهامِسُهْ[4]

---

(١) أوجر : طعن . الكردوس : الفقرة من فقر الكاهل .

(٢) الدهاريس : الدواهي ، واحدها : دهرس . قال ابن سيده : فلا أدري لم ثبتت الياء في الدهاريس . (اللسان) .

(٣) خلبسه : فتنه وذهب به ، كما يقال : خلبه . والخلابس : الحديث الرقيق . (اللسان) .

(٤) المندل : عود الطيب الذي يتبخر به ، نسبة الى مندل بلد بالهند ، أو غيره . (اللسان) .

وتغويرِ ماءٍ واحتفارِ مَطالبٍ

وضربِ حَصىً والسمُّ جُدِّعَ عاطِسُهْ

[٦٨]

ورُؤيا مناماتٍ وسَمعٍ لهاتفٍ

ودعوىٰ كَراماتٍ وخُضْرٍ بواجِسُهْ

يُداهي عقولَ الناسِ اذ دَسَّ نحوَها

مُحالاتِهِ والشيخُ جَمٌّ دَسائِسُهْ

رآني أخا صَمْتٍ وسَمْتٍ فظنني

تؤثّرُ فيَّ المُوهِماتُ هَواجِسُهْ

ولم يعرفْ المسكينُ أنّي أنا الذي

قرأتُ حُروفاً لم تُجزِْها قَراطِسُهْ

ودَرَسْتُ فَنَّ العِلمِ حتى لقد غدَتْ

مَحافِلُهُ بي تَزْدَهي ومَدارِسُه

وصَنَّفْتُ فيهِ عِدَّةً من صحائفٍ

تَضيقُ عنها اذ تُعَدُّ فَهارِسُهْ

وكم بيتِ شعرٍ قد وضعتُ عِمادَهُ

على بحرِ علمٍ فيه بَحْريَ دايسُهْ

ومن فِقَرٍ قد غُصتُ في البحر مخرجاً
لِلآلئهَا ذهني لها هو غاطِسُه

إذا قَرَعَتْ سَمْعَ الحسودَ فإنه
يُرى وهو غيظاً باهتَ الطرفِ ناكِسُه

وميدانِ علمٍ قد حَضَرْتُ ولم يكن
لغَيري احضارٌ بهِ أنا فارِسُه

اذا قلتُ أصغى اهلُهُ وتفهَّموا
غوامضَ قد أعيتْ على من يُجالِسُه

لَنَوَّهَ بي علمي وزِدتُ جلالةً
وغَيري فيه خاملُ الذكرِ باخِسُه

وطبَّقَ ذكري الارضَ حتى كأنَّما
أنا مَثَلٌ سارٍ تَخُبُّ عرامِسُه(١)

كأنَّيَ شمسٌ قد أضاءَ بِنورِها
جميعُ الدُّنى معمورُهُ ودوارِسُه

لِيَشْنا حياتي مَنْ أرادَ فإنَّني
شَجاحَلْقِهِ حتّى يُوارِيَهُ رامِسُه

[٦٩]

(١) العرمس : الناقة الصلبة الشديدة .

٨٩

وقال رحمه الله :

الطويل

ضَنِيتُ فلما جاءني مَنْ أُحِبُّه
أزالَ الضَّنَى عَنِّي وسُرَّتْ به النَّفْسُ

فنادمتُ منه البدرَ يَبْهَرُ نورُه
فيا مَنْ رأى بَدْراً يُنادِمُه الأُنْسُ

تمتَّعْتُ من أُنْسٍ به اثنينِ لمْ نُرَعْ
فلما أتانا ثالثٌ ذهبَ الأُنْسُ

أشيرُ له باللَّثمِ إنْ كان غافلاً
ويأنفُ صَوْناً أن يَرَى بيننا لَمْسُ

أدارَ عليَّ الكأْسَ مَلأَى صبابةً
فها أنا نَشْوانٌ ولم تفرغ الكأْسُ

أبا النصرِ لا يَنْفَكُّ حبُّكَ ساكناً
صميمَ فؤادي أو يضمَّنِيَ الرَّمْسُ

ألا عَلِّلَنْ قلباً بأَيْسَرِ كِلْمَةٍ
فقد شفَّها وجدٌ وقد غالَها اليأْسُ

٩٠

وقال أيضا : مجزوء الرمل

يومنا يُشْبِهُ أمسِ مثلما نُصْبِحُ نمسي[1]
إنَّ هذي لحياةٌ ما تساوي عَشْرَ فلسِ

(١) سيأتي ذكرها في رقم ٩٥ .

وقال أكرمه الله يذكر أبا القاسم بن سهل رحمه الله :

البسيط

يؤَمِلُ المرءُ آمالاً ويقطعُها
أمرٌ يفرّق بين النَّفْسِ والنفسِ
فكُنْ مع القَدَرِ المحتوم وارْضَ به
تريح نفسَك من فكرٍ ومن هوَسِ
وفي ابن سهلٍ وامثالٍ له عِبرٌ
يَغنى بها العَقْلُ عن حِرصٍ وعن حرَسِ

[٧٠]

كان اقتنى كتباً في العلمِ نادرةً
كيما يَخُصّ بها ناساً بأندلُسِ
فعاقَهُ قدرٌ عما يؤمّلُهُ
وحَلَّ رمْساً بعيدَ الأهلِ والأُنسِ
أنيسُهُ فيه قرآنٌ يردّدُه
وحجةٌ واعتمارٌ منه في الخَلَسِ
وما رأَيْنا له في الناسِ مُشبِهَهُ
أتقى وأبعد من ذامٍ ومن دَنَسِ
وكم له صدقاتٍ بالحجاز وفي
مِصْرٍ وفي الشامِ تُسْدِيها لملتمسِ
سَرَىً وفي طيبة إذ اهلُها غرقوا
أعطى واجزلَ في النعمى لمبتئِسِ

صوّامُ هاجرةٍ قوّامُ داجيةٍ
تلاّءُ آيٍ من القُرآنِ في الغلسِ
يا روضةً لابنِ سهلٍ حلّها رجل
ما أنْ رأيْنا له شِبْهاً من الأَنسِ

٩٢

وقال رحمه الله تعالى : الطويل

ويُزهى الفتى بالمال والجاهِ في الدُّنى
ولذّةِ مطعومٍ وناعمِ ملبوسِ
وغايتُه ضَعْفٌ وشَيْبٌ وميتةٌ
وقبرٌ وبعْثٌ للنعيمِ أو البُوسِ

٩٣

وقال ايضا رحمه الله : البسيط

يا فرقةً أبدلتني بالسرور أسى
وأسْهرت ناظراً قد طالما نَعَسا
أنّى يكونُ اجتماعٌ بينَ مُفترِقٍ
جسمٌ بمِصْرٍ وروحٌ حلَّ أندلسا

٩٤

وقال رحمه الله ، وكتب بها الى الرئيس قطب الدين [٧١] بن شيخ السلامة ناظر الجيوش بدمشق رحمه الله تعالى :

الطويل

تذكَرْتُ تقبيلاً لأَنمُلِ راحةٍ
براحتِها جُرْحُ النوائبِ قد يُوسى

فأرْسَلْتُ طِرسِي نائباً عن فمي لَها
فيا حُسْنَهُ طِرساً بهـا صـارَ ملموسَا

أنـامـلُ لم تُخلَـق لغيرِ مكـارمٍ
فكم جلبتْ نعْمى وكم أذهبتْ بُوسـا

متى تسـمحُ الأيـامُ بالرِّحلةِ التي
تُريني رَبْعـاً بالمـكارمِ مأنوسـا

وتَشـهدُ قطبـاً للسـيادةِ دائـراً
به فلكُ العلياءِ بالسَّعدِ محروسَـا

كريمٌ إذا مـا طوَّحتْ غربـةُ النَّوَى
اليه بعافٍ صار في الجودِ مغموسـا

إذا اسودَّت الأَيْدي لبُخلٍ يُشينُها
فكم من يدٍ بيضاءَ جادَ بها موسى

٩٥

وقال(١) رحمه الله :

مجزوء الرمل

يومُنا يُشـبهُ أمسِ	مثلمـا نُصْبِحُ نمسي
إنَّ هـذي لحيـاةٌ	ما تساوي عشْـرَ فَلْسِ
فَمتى يُنقـلُ شخصٌ	آمنـاً لـدارِ قُدْسِ
لجِنـانٍ غاليـاتٍ	عَريتْ من كُـلِّ بُؤسِ

(١) مر بيتان منها في رقم ٩٠ .

ما تَلَذُّ العينُ فيها واشتهتهُ كلُّ نفسٍ
مَعَ وِلدان وحورٍ قاصراتِ الطرفِ نُفْسٍ

[٧٢]

لم يكنْ لَهنَّ طَمْثٌ لا بجنٍّ لا وإنسِ
عُرُبٌ أبكارُ حسنٍ أنس ليست بشمسٍ
نورُهنَّ الدهرَ باقٍ لا كبدرٍ لا وشمسِ
هنَّ من ايجادِ ربّي انْشِئتْ من غير جِنّسِ

٩٦

وقال ايضا رحمه الله : المجتث

هُنَّ الظِّباءُ الكَوانسْ
أثَرنَ في القلبِ هاجِسْ
قد أضرمَتْ في حَشَاهُ
ناراً حكَتْ نارَ فارسْ
وجَرَّدتْ من جفونٍ
سيفاً يَقُدُّ القَوانِسْ(١)
وطاعَنَتْ برماحٍ
مثلِ الغصونِ الموائِس
وناضَلَتْ بسهامٍ
من العيونِ النَّواعِس

---

(١) قونس الفرس : ما بين أذنيه ، مقدم رأسه ، وقونس البيضة من السلاح : مقدمها ، وقيل : أعلاها ٠

قامَتْ على الساقِ حَرْبٌ

كأنها حربٌ داحِس

لكنَّ فيها سلاحاً

تخافُ منها الفوارِس

سَيفٌ ورمحٌ وسَهْمٌ

من ذا لهُنَّ يُمارِس

بينا أنا ذو إحترازٍ

من عَضَّةِ الحربِ حارِس

إذا فؤادي صريعٌ

ما بين ميْتٍ وهامِس

[٧٣]

رُمِي بسهمٍ مُصيبٍ

من ناغشِ الطرفِ ناعِس[١]

مُكمَّلِ الخَلْقِ حُسْناً

فكلُّ عُضْوٍ مُجانِس

إذا تبدَّى فبَدرٌ

يجلو سَناهُ الحنادِس

وإنْ تثَنَّى فغُصْنٌ

من ناعمِ البانِ مائِس

---

(١) نغش : تحرك ، اضطرب ، مال اليه .

كأنَّمـــا وجنتـــاهُ

الـــوردُ من غيرِ غارِسِ

يَحميـه صِـلُّ عِـذارٍ

من رائـد القَطْفِ لامِسِ

كأنَّمـا الثَّغـرُ مِنْـهُ

الـدرُّ مِن غيْـرِ غاطِسِ

يجري بـه ريـقُ شَهْدٍ

من غيـر نحـلٍ يُلامِسِ

كـأنَّ ريّـاهُ مِسْـكٌ

يفعَـمُ أنفَ المُجالِسِ[1]

منعّـمٌ ذو رقيـبٍ

صعـبُ المقـادةِ عابِسِ

محجّبٌ ليسَ يبـدُو

من وَصْلِهِ الصَّبُ آيِس

٩٧

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الطويل

أَمِنْ بَعدِ أَنْ حلّت نُضيرة في الرَّمْسِ

تطيبُ حيـاتي أو تلـذُّ بهـا نفسـي

---

(١) أفعم البيت برائحة العود : ملأه بريحه .

فتاةٌ عراها نحو ستةِ أشهرٍ
سُقامٌ غريبٌ جاءَ مُختلِفَ الجِنْسِ

[٧٤]

فجبنٌ وحُمّى ثم سُلٌّ وسَعْلةٌ
وسكْبٌ فمن يقوى على عِللٍ خَمْسِ (١)
وكانت رأتْ رُؤيا مِراراً وأنها
تروح من الدنيا الى حَضرةِ القُدْسِ
فقرَّ حَشاها واطمأنَّتْ لِما رأَتْ
جِناناً وكانت من حياةٍ على يأْسِ
فما ضجِرَتْ يوماً ولا اشتكَتِ الضَّنى
ولا ذَكَرَتْ ماذا تُقاسِي من اليأْسِ
قَضَتْ نَحْبها في يوم الاثنينِ بَعْدَما
تبدَّى لنا قرْنُ الغزالةِ كالوَرسِ
فصلَّى عليها الناسُ يُثنونَ واثنَنوا
بها لضريحٍ مظلمٍ مُوحشٍ الطَّمْسِ
يونِّسها في رَمْسِها العملُ الذي
تقدَّمَها أعظِمْ بهِ ثمَّ من أُنْسِ
وراحت الى ربٍّ كريمٍ نظيفةً
مبرأةً من كُلِّ ذام ومن رِجسِ

---

(١) الحبن ـ محركة ـ داء في البطن يعظم منه ويرم • وحبن ـ بالكسر ـ خراج كالدمل وما يعتري في الجسد ويرم • (القاموس المحيط) •

وما ولَـدَ النِسْـوانُ أُنثَى شبيهَها
وأنَّى يُقاسُ الانجمُ الزهـرُ بالشمسِ
وكانَـتْ نضارُ نعِمَتَ الخَوْدُ لم تزَلْ
على طاعةِ الرحمنِ تُضحي كما تمسي
نجيـةُ قـرآنٍ تُـردِّدُ آيَـهُ
مُقسمةً بينَ التـدبُّرِ والدَّرْسِ
وحاملـةُ الآثـارِ عن سيِّدِ الورَى
محمـدٍ المَبعوثِ للجِنِّ والانسِ
روتْهـا بمصر والحجازِ وجاوَرَتْ
بمكةَ تَسخو بالدَّنانيرِ لا الفَلْسِ
وزارت رسولَ اللهِ أفضلَ من مَشَى
بطيبةَ واحتلَّتْ بأربُعِها الدُّرْسِ
مصلِّيَـةً [حينـاً] عليه وتـارةً
مسلمةً في الجَهْرِ منها وفي الهمسِ
[٧٥]
وحـازت جمـالاً بارعاً وفصاحـةً
فاوضح من شمس وأفصحَ من قسٍّ
وقـد عنيت بالنحو عظْمَ زمانِهـا
... ...(١)

(١) في الاصل بياض ·

وتكتب خطاً نادراً ذا براعةٍ

يُريك ازدهاءَ الروضِ في أبهجِ اللُبسِ

فما الرَوْضُ مطلولاً تفتَّحَ زهرُهُ

فراقَ لذي عينٍ وشاقَ لذي حِسٍ

بأَبْهجَ مما قد وَشَتْهُ أناملٌ

لها بسوادِ النفس في أبيضِ الطِّرسِ

فلو أَبْصرتْهُ لابنِ مُقْلَةَ مُقْلَةٌ

لأغْضَتْ حياءً وهو قد عَضَّ في الخَمْسِ[1]

ونَجْلُ هلالٍ لا يساوي قُلامَةً

لظُفْرِ نُضار ... ...[2]

سقى روضةً حلّت نضار بتربها

من المُزنِ وَبْلٌ دائمُ السحِّ والبَجْسِ

ولا زالَ تَسقيهِ سحائبُ رحمةٍ

تواليهِ في آتٍ وحالٍ يلي أَمْسِ

---

(١) ابن مقلة : هو محمد بن علي بن الحسين وزير من الشعراء الادباء يضرب بحسن خطه المثل · توفي سنة ٣٢٨هـ · (وفيات الاعيان ج٢ ص٦١) ·

(٢) كذا في الاصل ·

نجل هلال : هو علي بن هلال المعروف بابن البواب ، خطاط مشهور من أهل بغداد مات سنة ٤٢٣هـ · (وفيات الاعيان ج١ ص٣٤٥) ·

وقال(١) رحمه الله :

الرمل

قــد سَباني من بَني التُّـرك رَشا

جوهريُّ الثغْـرِ مِسكيُّ النَّفَس(٢)

قــد حكَى غُصناً وبدراً ونَقـاً

في ارتجــاجٍ وانبــلاجٍ ومَيَس(٣)

ضيِّـقُ العينَـينِ تركيُّهُمـــا

واسـعُ الوجنـةِ خزَيُّ المَجَس

ناظـري للـوردِ منــهُ غـارِس

مالَــه لا يجتني ممـا غَرَس(٤)

أصبحتْ عقـربُ صدغيـهِ معـاً

لجنيِّ الـوردِ في الخـدِّ حرَس(٥)

[٧٦]

وغـــدا ثُعبـــانُ دُبُّوقتِـــهِ

جائلاً في عِطْفِـهِ مهمـا ارتَجَس(٦)

---

(١) ذكرها السبكي في طبقات الشافعية ج٦ ص٣٥ ، وقال : « فهذه نبذة من مقروءاتي على شيخنا أبي حيان » .

(٢) أي : ثغره كالجوهر ، وأنفاسه كالمسك طيبا .

(٣) كذا في الاصل ، اما في طبقات الشافعية :

قد حكى شمساً وغصنا ونقا   في انبلاج وارتجاج وميس

(٤) ذكره السبكي بعد البيت الاول .

(٥) كذا في الاصل ، أما في الطبقات : أصبحت عقرب خديه .

(٦) الدبوقاء : العذرة .

لستُ أخشى سيفَهُ أو رُمْحَهُ

انما ارهبُ لحظاً قد نعَسْ

اختلسنا بعد هَجْرٍ وصلهُ

إنَّ أهنا الوصلِ ما كانَ خَلَسْ

لستُ أنساهُ وقد اطلعَ مِن

راحِهِ شمساً أضاءت في الغلَسْ

ورمَى العمَّةَ والتاجَ لنا

فرقُ شعرٍ دقَّ مبدٍ ما التبسْ(١)

لَمَسَ الكأسَ لكي يَشرَبَها

فاعترته هَزَّةٌ مما لَمَسْ(٢)

ثم أدنى جوهراً من جَوهرٍ

وتحسّى الكأسَ في فردِ نَفَسْ(٣)

وغدا يَمْسَحُ بالمنديلِ ما

أبقتِ الخمرةُ في ذاكَ اللَّعَسْ(٤)

عجباً منها ومنه قهقهتْ

إذْ حَساها وهو منها قد عَبَسْ

---

(١) كذا في الاصل ، أما في الطبقات : صرف شعر دق ٠

(٢) كذا في الاصل ، اما في الطبقات :

لمس الكأس لكي يشربها ويحيي الكأس في فرد نعس

(٣) لم يرد في الطبقات ٠

(٤) اللعس : لون الشفة اذا كانت تضرب الى السواد قليلا ، وذلك يستملح ، يقال شفة لعساء ، وفتية ونسوة لعس ٠

٩٩

وقال في لابس قباء أطلس :

الكامل

شَرُفَ الحريرُ بأنْ غدا لكَ مَلْبَسا
لِمْ لا وجسمكَ منه أليَنُ مَلْمَسا

يا شادِناً ما ازْدادَ منّي وَحْشَةً
إلا وزادَ القلبُ فيه تأنُّسا

طَلَسَتْ عقولُ الناسِ لمّا أن غدا
يمشي الهُوَيْنى في قباءٍ أَطْلَسا(١)

مُتَنَسِّمٌ عن نفحةٍ مِسْكيَّةٍ
مُتبسِّمٌ عن أشْنَبٍ في أَلْعَسا(٢)

هو ثالثُ القمرينِ وهو أتمُّها
نوراً وأبعدُها مدًى أن يُلْمَسا

[٧٧]

إنَّ التفاوُتَ في العُلُوِّ لَموضِحٌ
مَنْ كانَ أعلى في المنازلِ مَجْلِسا

فالبدرُ في أُولى السما والشمسُ في الْـ
وُسْطى ومن أهواهُ حَلَّ الأَطْلَسا

(١) طلس البصر : ذهب ، والكتابة ، محاها ٠ والاطلس : الاغبر الى السواد ٠
(٢) شنب الرجل : كان أبيض الاسنان حسنها ٠ لعس : كان في شفته لعس ، أي : سواد مستحسن فهو ألعس ٠

١٠٠

وقال في صاحب له يدعى النجم بات عنده ثم راح غدوة :

الطويل

ألا بأبي خِـلٌّ حَمِدْتُ إخـاءَهُ
رقيقُ الحواشي جامعُ الشـملِ والأُنسِ

قَطَعْنـا بـه ليـلاً كأنَّ حديثَـهُ
أزاهيرُ روضٍ صِينَ عن بَذْلَةِ اللَّمسِ

وبِتْنا يُعاطِيْنـا الحَدِيْثَ كأنَّـهُ
جَنَى النَحْلِ مَمزُوجاً لنا بابنةِ الكأسِ

حَبيبٌ الى كُلِّ الأنـامِ كأنَّـهُ
تقسَّمَ بينَ القَلْبِ والروحِ والنفسِ

هو النجمُ جلَّى ظُلمةَ الليـلِ نـورُهُ
فأَوْضَحُ من شمسٍ وأفصَـحُ من قسٍّ

ولكنَّـهُ إذْ لاحتَ الشـمسُ غائبٌ
ولا غَرْوَ إنَّ النجمَ يَخْفَى مع الشَّمسِ

١٠١

وقال(١) يخاطب قاضي القضاة شمس الدين الحنفي(٢) وقد أعيد الى خطة القضاء ، وكان يتطلع الى الخطة رجل يدعى نجم الدين :

---

(١) ذكرهما في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٧ وقال : « وقال يخاطب قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي وقد أعيد الى منصب القضاء ، وكان يتطلع اليه رجل يدعى نجم الدين » .

(٢) هو أحمد بن ابراهيم بن عبدالغني قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس السروجي . ولد سنة ٦٣٧هـ وتوفي بالمدرسة السيوفية بالقاهرة في يوم الخميس ١٢ رجب سنة ٧١٠هـ (تاج التراجم ص١١) .

الطويل

ذَوو العلمِ في الدنيا نجومٌ زواهرٌ
وإنَّكَ فيها الشمسُ حقّاً بلا لَبْسِ

إذا لُحْتَ أخفى نورُكم كلَّ نيِّرٍ
ألَمْ تَرَ أنَّ النَّجْمَ يَخْفَى مع الشَّمْسِ

١٠٢

وقال(١) وقد حياه أقضى القضاة علاء الدين بن العلاء بغصن آس على يد غلام [٧٨] :

البسيط

أهدَى لنا غُصناً من ناضرِ الآسِ
أقضَى القضاةِ حليفُ الجودِ والباسِ

لما رأى سَقَمِي أهداهُ مَعْ رَشأ
حُلْوِ التجنّي فكانَ الشافي الآسي(٢)

---

(١) ذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٣٦ ، وقال قبلهما : « وحضر الشيخ ابو حيان مع ابن بنت الاعز في الروضة فكتب الى أبي حيان ووجهه مع بعض غلماته :

حييت أثير الدين شيخ الادبا ... أقضى له حقا كما قد وجبا
حييت فتى بطاق آس نضر ... كالقد بدا ملئت منه طربا

قال : فأنشدته ..... » .

(٢) كذا في الاصل ، أما في نفح الطيب : حلو التثني .

١٠٣

وقال(١) رحمه الله تعالى :

الطويل

أَيا كاسياً من جيّدِ الصّوفِ جِسْمَهُ
ويا عارياً من كُلِّ فَضْلٍ ومن كَيْسٍ(٢)

أتَزْهَى بصوفٍ وهو بالامسِ مُصْبِحٌ
على نعجةٍ والآنَ مُمسٍ على تيسِ

١٠٤

وقال وهي من قديم شعره بالاندلس وقالها في صباه :

البسيط

ما لليراعةِ لا رِيعَتْ بحادثةٍ
استعجمَتْ ولِحِبري الآنَ قد جَمُسا(٣)

وللقوافي قَفَتْ مالي فلا أدبٌ
يُملَى ولا نَشَبٌ يُريح مُبْتَئِسا

فصفحةِ الطِّرسِ من دَرّي مُعَطَّلَةٌ
ورسمُ جودي إذْ قَلَّلْتُ قد دَرَسا

وقد ذَوتْ زَهَراتُ الشِّعْرِ وا أسَفا
لمّا غدا ماءُ فكري غائراً يَبَسا

---

(١) ذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٢٩٠ ، وقد نقلهما عن الخطيب ابن مرزوق ، وذكر قبلهما : « وأنشد في جاهل لبس صوفا وزهي فيه » .

(٢) كذا في الاصل ، أما في نفح الطيب : من جيد الصوف نفسه . الكيس : ضد الحمق ، والرجل كيس ، أى ظريف .

(٣) جمس : جمد .

كأنَّني لم أعمِّر منتدىً أدبٍ
ولم أجلْ للصِّبا في حلْبةٍ فرَسا

سَدَدْتُ بابَ القِرا عن كلِّ ملتمسٍ
إنْ كنتُ أسكُنُ بعدَ العامِ أنْدَلسا

ورُبَّ ذي حَنَقٍ تغلي مراجلُه
ناراً فيشعلُ من فيهِ لنا قبَسا

رأى سُموي وما أُوتيتُ من شَرفٍ
فرامَ هتْكَ حمىً ما زالَ مُحْترَسا

حِمىً حماهُ حَميُّ الأنفِ ذو كَرَمٍ
كالأسْجَمِ انهلَّ أو كالضَّيْغَمِ افترَسا

[٧٩]

مفَوَّهٌ إنْ دعا حرُّ الكلامِ أتَى
بديعُهُ نَحوَهُ مُستعجِلاً سلِسا

فمِن قلائدَ يعلُوْ الدُّرُّ جوهرَها
ومن فرائدَ يجلُو نورُها الغَلَسا(١)

أعْجِبْ بهِ من خطيبٍ ماهرٍ نَدِسٍ
ان قِسْتَ قَسّاً بهِ تخالُهُ وَدَسا(٢)

بلْ العُجابُ مُقامِي بينَ ذي وَحَرٍ
وحاسدٍ بسوَى الأعراضِ ما نبَسا(٣)

---

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٢) الندس : السريع الفهم . ودس الشيء : خفي . والودس – بفتحتين – العيب .

(٣) وحر : وغر عليه صدره ، وهو وحر الصدر .

قومٌ إذا غِبْتُ قالوا ما يليقُ بهم
وإن حَضَرتُ تَراهُمْ خُشّعا نُكُسا
ذَنْبي اليهمِ نُفُوذِي حين تفجَؤُهُم
مُسَغَّباتٌ يُدَلِّهْنَ الفتى النَّدُسا
وإنّني مثلُ ماءِ المُزنِ لا رَنَقٌ
كذاكَ بُردِي نقيٌ ما رَأَى دَنَسا
ما كانَ ضرَّهُمُ لو أنْصَفُوا رجلاً
ما نامَ وَهْناً على هَجْرٍ ولا هَجَسا
أما دَرَوا أنني لو شِئْتُ افضَحُهُم
بمُفْصِحاتٍ وإنْ أبْصرتَها خُرُسا
من كلِّ شارِدةٍ عذراءَ ناهدة
يكونُ اهداؤُها لَهُمْ لَها عُرُسا
وكلِّ فاصِمةٍ للظهرِ قاصمةٍ
تَرُدُّ من كانَ جذلانا حليفَ أَسَى[1]
لكنْ نَهانيَ عَنهُم أنَّهُم نَجَسٌ
ومِقْوَلِي قد أبى أن يذكُرَ النَّجَسا

(١) فصم : كسر ، ومثلها قصم ، ويقال : « قصم الله ظهر الظالم » أنزل به البلية .

وقال رحمه الله تعالى : **الطويل**

تَيَمَّنَ بها من غُرَّةٍ نورُها الشمسُ
أنارَت دُجى الأيامِ فارتفعَ اللَّبْسُ

وأَلْمِمْ بِمَغْني دولةٍ ناصريَّةٍ
تكَنَّفَها الاقبالُ والنَّصرُ والاُنْسُ

[٨٠]

تولَّى لها التدبيرَ أروعُ ماجدٌ
كثيرُ التوقِّي شأنُهُ الجودُ والبأسُ

ومن يكُ سيفُ الدينِ نائبَ مُلكِهِ
يَنَمْ وجفونُ الدهرِ عن مُلكِهِ نُعْسُ

أميرٌ خبيرٌ ذو وغىً وسياسةٍ
تغايرَ في عليائهِ الطَّرْفُ والطِّرْسُ

كأنَّ الورَى جِسْمٌ لديكَ شِفاؤُهُ
وامرُكَ في تدبيرِهِ الروحُ والنفسُ

اليه انتمتْ كلُّ المكارمِ وانتهتْ
فبالشخصِ منه يَفْخَرُ النَّوْعُ والجِنْسُ

مُميتُ نفوسٍ إنْ عَصَتْ ومُفيدُها
إذا ما أطاعَت فهو يجرحُ أو يأسُو

يقصِّرُ عن إدْراكِهِ كلُّ واصفٍ
ولو انَّهُ بَكرٌ وساعدهُ قُسُّ

١٠٦

وقال من أبيات ونظمها بعيذاب[١] :

الطويل

كَريمٌ يحاكي البحرَ جودُ بنانِـه
على أنَّهُ أحْلَى من الشَّهدِ للنَّفسِ

ومنبعُ آدابٍ تحلَّى بحمْلِها
فيُزدي بسحبانٍ ويُربي على قسٍّ

مواهِبُهُ درٌّ على كلِّ مُعْتَفٍ
وألفاظُهُ دُرٌّ على صَفْحَةِ الطِّرسِ[٢]

يرَى بذلَ آلافٍ قليلاً وغيرُهُ
يرى الغايةَ القُصوَى إذا جاءَ بالفَلسِ

١٠٧

وقال رحمه الله :

البسيط

تقييدُ نفسِكَ بالأغيارِ مَضْيَعَةٌ
للعُمرِ فاترُكْ أخي التقييدَ بالناسِ

فلَنْ ترَى غيرَ ختَّالٍ أخا خُدَعٍ
يُريكَ مَمْضَىْ الهوَى في غشٍّ خنّاسِ

[٨١]

---

(١) عيذاب ـ بالفتح ثم السكون ـ : بليدة على ضفة بحر القلزم ، وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن الى الصعيد • (معجم البلدان) •
(٢) المعتفي : طالب الفضل او الرزق •

كان أبو حيان قد قدم ثغر الاسكندرية فى سنة احدى وتسعين وستمائة ، فجمعه والقاضي نجم الدين بن المقيع مجلس ، ودارت بينهما مؤانسة ، فلما انصرف أبو حيان سأل نجم الدين عن أبي حيان فاعلم به فاستحيي وقال : هذا الرجل بيننا وبينه انس من قديم الزمان ، وانصفنا في المؤاسة ونحن تكلمنا معه ولم نعرفه ، فكتب اليه بهذه الابيت ، وهي :

البسيط

ضَيْفٌ أَلَمَّ بنا من أبْرعِ الناسِ
لا ناقضٌ عهدَ أيامٍ ولا ناسي
عارٍ من الكِبرِ والأَدناس ذو شَرَفٍ
لكنّه من سرابيلِ العُلى كاسِ
وافَى فوافَى على شطِّ المزارِ بما
يُنبيكَ عن طِيْبِ أعراقٍ وأغراسِ
لم يُثْنِهِ طولُ بُعدِ العهدِ عن مِقتي
ولا ودادي ولا أنساه إيناسِي
لقد تعرّف لي لما تنكّر لي
صَرف الزمان لشيبٍ حلّ في راسي
حتى توهّمتُ أيامَ الصِّبا رجعتْ
ووجهَ جدّيَ طلقاً غيرَ عبّاسِ
أهدَى اليَّ من النظمِ البديعِ ومن
نثارهِ جوهراً ما مُسَّ بالماسِ

ومن غريبِ أفانينِ الفضائلِ ما

ظننتُ أنَّ سناهُ ضوءُ مقباسِ

يميل من طربٍ أعطافُ سامعه

كأنه للطِّلا من سَمعِهِ حاسِ

حيّا فأحيى أبو حيان من أملي

ما كنتُ من قربِهِ مني على ياسِ

[٨٢]

وبَلَّ فرْطَ أوامي من لِقاهُ بما

لولاه ما خَمِدت نيرانُ أنفاسي

وكم هممْتُ بطيرِ البيدِ مُنفرداً

شوقا اليه بعزمٍ غيرِ نوّاسِ

فالآنَ أسعفني دهري برؤيته

وشدَّ من بعدِ نقْضِ الحظِّ أمراسي

يا بحرَ علمٍ غدتْ بالثّغرِ طافحةً

أمواجُهُ وهو طودٌ بالحِجى راسي

لولا حُلاكَ لأضحى المِصرُ ذا عطَلٍ

وأرْبُعٌ من فنونِ العلمِ أدراسِ

خُذها اليكَ وسامحْ فكرةً بَليتْ

بكلِّ قلبٍ على أهلِ النّهى قاسِي

وإن تُجاوِبْ أبا حيان ذامقةً

تجبرْ أخاكَ وما بالجبرِ من باسِ

فكتب اليه أبو حيان :

البسيط

أَمِسْكُ دارِينَ أَمْ أَنفاسُ أَنْقاسِ
وَوَشْيُ صنعاءَ أَمْ نَقْشٌ بقرطاسِ[1]

أَمْ رَوْضَةٌ جمعت أشتاتَ زهرتِها
أشخاصُ نورٍ لانواعٍ وأَجْناسِ

نَظْمٌ تودُّ الغواني لو يكونُ لها
عِقْداً على النَّحرِ أَوْ تاجاً على الراسِ

مجبَّرٌ بسوادِ الحِبْرِ أبيضُهُ
يا حُسْنَهُ من دُجىً في نورِ نِبْراسِ

حيّا فأحيا أَبا حيّانَ وافدُهُ
وآنسَ النفسَ منه أيَّ ايناسِ

يا يومَ سعدٍ مُتاحٍ قد غدا ملكي
به قريباً وشيطاني به خاسِ[2]

أَطْلَعْتَ أنجمَ سَعدي إذ أفَلْنَ كما
ثبَّتْتَ بعدَ خُبُوٍّ ضوءَ مِقباسِ

[٨٣]

ما ظنت النفسُ أن تسخو الدهورُ بما
ضَنَّتْ بهِ إذ ألانَتْ قلبها القاسي

---

(١) النقس : المداد ، والجمع أنقاس .
(٢) خاسي : خاسئ .

عادَ المشيبُ شـبابا والأَسـى فرحـا

فقلبيَ الأُمـويْ والـرأسُ عباسِي

لـما انتميتُ لنجمِ الدينِ أنجمَ عن

قلبي الأَسـى وغدا لي مُسقمي آسي

ومُذ تعـرَّف منكوري اليـه نـأتْ

مآتمي ودَنَتْ في الـوقتِ أعراسي

فثغـرُ دَهْرِي بَسَّـامٌ وجانبُـه

لَيْنٌ وكانَ قَديماً عابِساً عاسِي[1]

بالنجمِ أهلُ النُهَى هم يَهتدونَ وهَـلْ

يحارُ من يهتدي بالنجمِ في الناسِ

ربُّ المعارفِ وهّابُ العوارِفِ مُهْـ

ـدٍ للّطائِفِ ذو الاحسانِ والبـاسِ

يُولي الجميلَ وينسـاهُ ويذكرُ ما

تُوليه شُكراً لـه من ذاكرٍ ناسِ

أحيَى بيَحيَى رخيَّ البـالِ ذامِقةً

ومَـن ينـاويهِ في مَقْتٍ وإفلاسِ

لأَشكُرَنَّ الذي أَسداهُ مِن نِعَـمٍ

شُكْرَ الغمامِ رياضَ الوردِ والآسِ

---

(١) عاسي : غليظ .

قافية الشين

١٠٩

قال رضي الله عنه :

الرمل

يـا أخـا البدرِ سناءً يا رَشـا
قَـد ملكتَ القلبَ فاصْنَعْ ما تَشـا

يـا هِـلالاً طالعـاً في مُهجتـي
وغزالاً راتِعـا وَسْـطَ الحَشا

مـا رأينـا قَطُّ بَدراً طالعـا
بنهـارٍ غارِباً وقْتَ العِشـا

[٨٤]

من بني التـركِ صغـيرٌ طلعتْ
عينُه اللخصاءُ في عيني عَشـا(١)

دبقَت بالقـلب دبُوقتُـه
فلقـد طوّق منهـا حَنَشا(٢)

جنٌ لكنْ قَيَّدتْها شَـعرَةٌ
كلما أبصرَهـا قَد دُهِشـا

ليس تسْبي النفسَ الا رؤيَةُ الـ
ـذهبِ الإبريزِ أو ظبيٌ نَشا

(١) لخصت عينه : ورم ما حولها فهي لخصاء .
(٢) الدابوق والدبوقاء : غراء يصاد به الطير ، والدبوقاء : العذرة .
الحنش : الذباب والحية وكل ما يصاد من الطير والهوام .

وَلِكُلٍّ نســبةٌ من جنســه
فلهــذا أَعْلَمُــوهُ الزَّرْكَشــا
يـــا نديمَيَّ أعيــدا ذِكْرَهُ
عُوذَةً يَسْكُنُ قلبٌ شَوَّشــا
كانَ حُبّي خافيــا مُذْ زَمَــنٍ
وأراهُ اليومَ أضْحَى قد فَشــا
كيفَ لي صبرٌ على الكَتْمِ وَذا
دَمعُ جِفني بِغَرامي قد وَشَى

قافية الصاد المهملة

١١٠

قال رضي الله عنه :

الهزج

لقد كَمُلَتْ محاسنُها فما يبدو بهـا نَقْصُ
قَضيبٌ فوقَهُ قمرٌ ولكن تحتَهُ دِعْصُ
غدا حُسنُ الورَى جِنساً ومالِكتي لهُ شَخْصُ
حرَصتُ على تحيّتِها وليس بنافعٍ حِرْصُ
فما حيّتْ ولكن قَدْ أشارَ بنانُها الرَّخْصُ
[٨٥]
وأَوَّلْتُ السُّلُوَّ لها وحُبِّي ظاهرٌ نَصُّ

١١١

وقال رحمه الله :

الخفيف

أَيُّها الناسُ قد غَنِيتُ بروحي
عن سِواها فلستُ أَصْحَبُ شَخْصا
قد أَراني وَحدِي أَزيد كَمالاً
وإِذا ما صحِبْتُكم زِدْتُ نَقْصا[١]

(١) الروي في الاصل مضموم .

١١٢

وقال يخاطب بعض أصحابه وكان ضعيفا :

الطويل

وَنُبِّئْتُ أَنْ قَدْ زادَ ما بكَ سيِّدي
فضعْفي قد أَرْبى وصبري ناقِصُ

ولِمْ لا ولي نَفْسٌ اليكَ نُزُوعُها
وبِرُّكَ لي وافٍ ووِدُّكَ خالِصُ

نشأتَ بروضِ العِلمِ والغُصنُ دَوْحَةٌ
ولا زهرُها ذاوٍ ولا الظِّلُّ قالِصُ

فضيلةُ نفسٍ لم تشِنْها رَذالةٌ
وشيمةُ حُرٍّ لم تَشُبْها النَّقائصُ

إِذا لاحَتِ العَلياءُ كُنتَ مُبادِراً
إِلَيها وإِن تَبْدُ الدَّنايا فناكِصُ

فَدَتْكَ لِداتٌ ضَيَّعُوا شَرْخَ عمرِهم
وأنتَ على نَيلِ المعارفِ حارِصُ

إِذا فَحَصُوا عن نَيْلِ لذاتٍ انْقضت
فإِنَّكَ عن تدقيقِ عِلمِكَ فاحِصُ

وإن شُغِلُوا يوماً بصيدٍ ولَذَّةٍ
فأنتَ لشُرّادِ المسائِلِ قانِصُ

وفي نسبةٍ للنورِ أَصْدَقُ شاهدٍ
على عنصرٍ زاكٍ عَدَتْهُ القوارِصُ

فلا زالتِ الأنوارُ تُشْرِقُ دائماً
وشانيكَ في بَحْرِ الشَّقاوةِ غائِصُ

[٨٦]

١١٣

وقال رحمه الله :

الطويل

وِدادي صَحيحٌ لم تَشِنْهُ النقائصُ
وحظّي على فَرْطِ المحبَّةِ ناقِصُ

ولو رامَ عَذْلي من يُريني نَصيحةً
رَدَدْتُ عذولي وهو خزيانُ ناكِصُ

وعلَّقْتُه تركيَّ أصلٍ ومقلةٍ
له نَسَبٌ في آلِ خاقانَ خالِصُ

رَبا وهو ظبيٌ بينَ أُسْدٍ وغِزْلةٍ
قسيُّ فؤادٍ نافرُ الطبعِ نائصُ(١)

وعهدي بغزلانِ الفَلا يَقْنِصونها
وهذا غزالٌ للضراغيمِ قانِصُ

خصائصُ حسنٍ زيَّنَتْها صِفاتُه
وغيرُ حبيبي زَيَّنَتْهُ الخَصائِصُ

محجَّبُ حُسنٍ لا يزالُ يصونُه
رقيبٌ على حِفْظٍ له الدَّهرَ حارِصُ

---

(١) النائص : الرافع الرأس كالنافر .

فلا وصلَ إلا باختلاسةَ ناظرٍ

إليه له طرفٌ إذا لاحَ شاخصُ

وها هو ذا عن طرفيَ الشهرَ غائبٌ

وها أنا ذا عن حتفيَ اليومَ فاحصُ

فقلبيَ في نارٍ من الوجدِ خالدٌ

وطرفيَ في بحرٍ من الدمعِ غائصُ

قافية الضاد

١١٤

قال(١) رحمه الله :

السريع

راضَ حبيبي عارضٌ قد بَــدا
يــا حُسْنَهُ من عارِضٍ رائضِ

وظَنَّ قــومٌ أنَّ قَلبي سَــلا
والأَصــلُ لا يعتَدُّ بالعارِضِ .

[٨٧]

١١٥

وقال(٢) ايضا :

البسيط

لا ترجُوَنَّ دوامَ الخيرِ من أحَــدٍ
فالشرُّ طبــعٌ وفيه الخَيرُ بالعرَضِ

ولا تَظُنَّ امرءً أسدَى اليك نَدًى
من أجلِ ذاتِك بَل أسـداهُ للغرَضِ

---

(١) ذكرهما الصفدي في الوافي بالوفيات وأعيان العصر ونكت الهميان ص٢٨٢ ، وقال : « وأنشدني من لفظه لنفسه » . وذكرا في فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٦ وطبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٥ وفيه يقول السبكي « وأنشدني لنفسه بقراءتي عليه » . والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٥ ، والنجوم الزاهرة ج١٠ ص١١١ ، والمنهل الصافي ج٣ ص٣٢٢ أ ، وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٣ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣٠٨ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٧ ، والبدر الطالع ج٢ ص٢٩١ .

(٢) ذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٤٠٢ .

وقال عفا الله عنه :

الطويل

مُصابٌ عَرانا فادِحٌ وهو مُمرضي
فطَرفي طُوالَ الليلِ ليس بمُغمضِ

ودمعي هتَانٌ وقلبي خافِقٌ
كئيبٌ وشوقي دائمٌ ليس ينقضي

حنيناً لمن كانتْ ذُكاءُ شبيهةً
لها في الذَّكا والنُّورِ والمنظرِ الوضي

وقد مُيِّزت عنها بعقلٍ وفطنةٍ
وعلمٍ واحسانٍ مع الخُلقِ الرَّضي

فتاةٌ كأنَّ الحُسنَ كانَ يُحبُّها
يُطاوِعُها فيما تُحِبُّ وترتضي

فجاءَت وكُلُّ الحُسنِ مِلءُ رِدائها
وأترابُها جاءت بِحُسْنٍ مُبغَّضِ

وزادتْ الى هذا الجمالِ فَضائلاً
لغيرِ نُضارٍ مثلُها لم يُقيَّضِ

معارفَ تُبديها لتعليمِ جاهِلٍ
عوارفَ تُسديها بأحمرَ أبيضِ

فأحمرُها الدينارُ نارٌ لسائِلٍ
ودِرهمُها الدرهامُ دُرٌّ لِقبَضِ

وإنْ أعْرَضَتْ عنّا كما شاءَ ربُّنا
فما القلبُ عنها طول دهري بمُعْرِضِ
قَضَتْ عندما لاحتْ ذُكاءُ وأشرقَتْ
لنا عِوَضاً أقبِحْ بها من مُعَوَّضِ
[٨٨]
فغودِرَ حُزْنٌ في قلوبٍ تقطّعتْ
وفي أعْيُنٍ بالدَّمعِ والدَّمِ فيَّضِ

١١٧

وقال رحمه الله :

الطويل

نزَجّي دماء النفسِ من بعد إمضاضٍ
ويَجذِبُنا يومٌ فيومٌ بأمراض
وكانَ لنا فَضْلٌ من العمرِ سابقٌ
قطعناهُ في لَهْوٍ وفي نيلِ أغْراضِ
مَلِلنا ومَلَّتنا الحياةُ فلو أتَتْ
شَعوبُ استرحْنا مِن مُقاساةِ أعراضِ
تقاربُ خطوٍ وانحناءٌ وشَيْبَةٌ
وضعفُ لحاظٍ وانتهاضٌ كمنهاضِ
وكنتُ امرءاً لي بالعلومِ عَلاقةٌ
سَراتي من تكليفِها ذاتُ انقاضِ

عنيتُ بها إحدى وسبعين حِجَّةً
نَهاراً وليلاً في اجتهادٍ وتنهاضِ

فاكتبُ في التفسيرِ أشعارَ حكمةٍ
أقرَّ لها الحُسّادُ قَسْراً بأنغاضِ

نضَوا هِمماً في نيلِ دُنيا عريضةٍ
فنالوا وإنّي للذي نوّلوا ناضِ

احبّوا دَناياها فصاروا عَبيدَها
وإنّيَ حُرٌّ في اتّراكٍ وإبغاضِ

إذا وردوا قَلْتاً من العلمِ آجِناً
وردْتُ نِطافاً غَرْبةً ملءَ أحواضِ

تَلَلْتُ بعضبِ الحزمِ عَرشَ فضائلٍ
وهم ثلمُوا فيها يسيراً بمِقراضِ

ولما تناضَلْنا لنقنص شارداً
أصبْتُ بحدٍّ إذ اصابوا بمِعراضِ

فصارَ لنا حظٌّ من العلمِ وافرٌ
وهم قد رَضُوا منه بإدراكِ أبعاضِ

[٨٩]

وما الفضلُ الا أن يرى المرءُ أمّةً
فريداً تهادى ذكرَهُ كلُّ ركّاضِ

يطوفُ على الآفاقِ ينشُرُ فضلَــهُ
ثنـــاءً كمثلِ المِسْــكِ فَتَّ بمرْضاضِ

وإنَّ امرءاً قد حـازَ علماً ولم يكن
يجودُ بــه كالفــأرِ عاشَ بمرْحاضِ

ترَى الشيخَ منهمُ شاتماً لـذوي النُهَى
تَسَلُّطَ كلبٍ كاشـرِ النابِ معِضاضِ

وأقرضَهُم قرضــاً قبيحاً حياتَــهُ
فاذ ماتَ جازَوْهُ بأقبــحِ إقراضِ

فذلـك إن يَهْلَكْ فـلا ذاكرٌ لــه
بخيرٍ ولا ناسيه من شـرٍّ قرّاضِ

وقالـوا أبــو حيــان كــان معلّمــا
بخلْقٍ رضيٍّ للتــلاميذِ مُرْتاضِ

فمــا كانَ نجّــاهاً ولا شــاتما لِمَــنْ
يعلّمُــه بـل خُلقُــه طيّبٌ راضِ[1]

لقد فُجعَ الأصحابُ منــه بأوحَــدٍ
بحرٍ زخــورٍ بالفضــائلِ فيّاضِ

أليــفٍ لقــرآنٍ حليــفٍ لسُــنّة
عن الشرِّ مبطاءٍ الى الخيرِ نهّاضِ

---

(١) النجه : استقبال الرجل بما يكره ورده عن حاجته ، او هو أقبح الرد .

عليمٍ بتَنْقادِ الكلامِ وصوغِهِ
الى كلِّ مُعتاصٍ عن الفَهْمِ خَوّاضِ

فَسَلْ فسر كَشّافٍ وفسرَ وجيزِهم
لقد أدْجَيا من نقدهِ بعدَ إيماضِ(١)

وتسهيلُهم قد راضَهُ ناقداً لهُ
فيا حِذْقَ نقّادٍ ويا رِفقَ روّاضِ(٢)

ومَنْ يَعْنَ بالتسهيلِ يرأسْ بفَهْمِهِ
وقاري سواهُ في عَناءٍ وإحراضِ

كتابٌ نفيسٌ لم يؤلَّفْ نظيرُهُ
غدا زُبدةً في النحوِ من بعدِ تمّخاضِ

[٩٠]

بهِ نُسِختْ كُتْبُ النحاةِ ومُزِّقَتْ
فَصارت هَباءً طارَ في كُلِّ آراضِ

وما النحوُ الا ما جمَعنا بشرحِهِ
لحازَ الذي قالوهُ في العَصْرِ الماضي

وفاقَ بتنقيحٍ وتفصيلِ مُجمَلٍ
وترتيبِ تخليطٍ وتصحيحِ مِمْراضِ

(١) هو تفسير الكشاف للزمخشري .
(٢) هو تسهيل ابن مالك ولابي حيان شرح كبير له .

وايجادِ معدومٍ وايجازِ مسهبٍ
وتعيينِ إبهامٍ وتوضيحِ إغماضِ

وإن كتابَ الارتشاف لزائدٌ
عليه بأحكامٍ غدتْ طوعَ نفّاضِ[1]

نفضتُ عليه لبَّ ما قد كتبتُهُ
بتذكرتي فاختالَ زهواً بتنفاضي

ورتَّبتُهُ بالعقلِ واخترتُ لفظَهُ
ومثَّلْتُهُ كي يُستفادَ بايقاضِ

وزادَ على التسهيلِ مثليه فازدهى
على كلِّ تأليفٍ طوالٍ وعراضِ

فجاءَ غريبَ الوضعِ لم يأتِ عالمٌ
له بنظيرٍ، بله عصريَ او ماضِ

ومَن لم يكُنْ في العلمِ منتمياً لنا
فذاك دعيٌّ فيه حكماً من القاضي

ويا عجباً من مُدَّعينَ فضيلةً
بنزرٍ من الاوراقِ ... ذاتِ انقاضِ[2]

رأوا سيبويهِ تلكَ الاوراقَ فاكتفَوا
بها كظماءٍ حينَ بلّةَ أبراضِ[3]

---

(١) هو ارتشاف الضرب من لسان العرب لابي حيان .
(٢) في الاصل بياض .
(٣) البرض : القليل ، وبرض الماء : خرج وهو قليل .

فما رَوِيَتْ منها وأَلقَتْ أجِنَّةً
لغيرِ تمامٍ قد رَغَون لإجهاضِ
وكانوا كَتَرْاكٍ لذيذَ حلاوةٍ
وقد آثروا مَضغًا لدِفلَى وحُمّاضِ
ولما غَنُوا عن سيبويهِ تعوَّضوا
بكُنَّاشةٍ جَدّاء من شرِّ أعواضِ[1]

[٩١]

وما واردُ البحرِ المحيطِ كلاجِئٍ
الى ثَمَدٍ نَزْرِ البَلالَةِ غيّاضِ[2]
لَسَهَّلْتُ هذا العلمَ حتّى لقد غدا
كشَرْبةِ ماءٍ قد جَرَى علوَ رَضْراضِ[3]
مَشُوبًا بشَهْدٍ فهو ينساغُ في اللُّهَى
وللقلبِ يسري في صفاءٍ وتمحاضِ
فإنْ أُمسِ قد أقوَتْ من العلمِ حضرتي
وأصبحتُ نَقْضًا هامدًا بين أنقاضِ
فما ماتَ من أبقى تآليفَ زانَها
تلاميذُ كلٌّ في مباحثِه ماضِ

---

(١) وضع الملك المؤيد أبو الفداء « الكناش » وهو موسوعة كبرى في مجلدات كثيرة جمع فيها قواعد النحو والصرف والمنطق واللغة وغير ذلك . (تاريخ حماة للصابوني ص١٢٦ ، وأدب الدول المتتابعة ص١٥٧) .

(٢) البحر المحيط هو تفسيره الكبير .

(٣) الرضراض : الحصى أو صغارها .

لِيهنا بنو الاعرابِ أنْ كنتُ شيخَهُم
وانهضتُهم في علمِهِ أيَّ إنهاضِ

فصارُوا رؤوسا يُقتدَى باتّباعِهِم
كُسُوا من دروعِ الفضلِ أكمل فَضفاضِ

حَوَوا قَصَباتِ السبقِ علماً وسؤدداً
فما فاضلٌ عما حَوَوْهُ بمعتّاضِ

إذا باحثٌ وافَى يخبّطُ قابَلُوا
تخابيطَهُ صَفْحاً بتَركٍ وإعراضِ

وإن كانَ ذا فَهْمٍ وعِلْمٍ وإن هَفَا
فَيَغضُونَ عنه في وِدادٍ وإحماضِ

وإنْ لجَّ في بَحْثٍ له فاسدٍ غدا
كعروة دمّى رأسَه فتْكُ برّاضِ[1]

جَهابِذُ نَقّادُونَ يَجرحُ نقدُهُم
كحيّة لِصْبٍ هامزِ النابِ نَضنّاضِ[2]

يَفوقُونَ نحويّ الوجودِ بفِطنةٍ
لِسُرعَةِ إدراكٍ وسُرعَةِ إنباضِ

---

(١) البراض بن قيس : أحد فتك العرب من بني كنانة ، وبفتكه قام حرب الفجار بين بني كنانة وقيس عيلان لانه قتل عروة الرحال القيسي (اللسان _ برض _) .

(٢) اللصب : شق في الجبل ، وكل مضيق في الجبل فهو لصب . حية نضناض : تحرك لسانها ، وقيل : هي المصوتة ، وقيل : هى التى تقتل اذا نهشت من ساعتها . (اللسان _ نضض _) .

فلا مَغربٌ كلاّ ولا مَشرقٌ حَوَى
كأمثالِهِم في عصرِنا ذا ولا الماضي

١١٨

وقال رحمه الله [٩٢] :

المقتضب

نَظرةٌ أتَتْ عرَضا | أورثَتْني المرَضا
ناظري الى قمرٍ | بالهوَى عليَّ قَضَى
مذ رمَى بأسهُمِهِ | كانَ قلبيَ العرَضا
خوطةٌ على كُثُبٍ | فوقَها السَّنا ومَضا
مَبْسم به شَهَدٌ | شافيا لمن مرِضا
ثغرُهُ وجوهرُهُ | لم نجدْ به عرَضا
ان نرُمْ به بَدَلاً | لم نُصِب له عوَضا
بينما يواصِلُنا | إذْ هزَا بنا ومضى
تارِكاً سنا لَهَبٍ | في الحَشا وجمر غَضَا

قافية الطاء

١١٩

قال عفا الله عنه :

الطويل

صَرَفْتُ الهوى إذْ عنَّ عن شادنٍ شطا
وأيُّ هوىً يبقى لذي لِمَّةٍ شَمْطا

فلا يستفزُّ القلبَ قلبٌ بمعصمٍ
ولا كاعبٌ جرَتْ على كعبها المرطا

ولا ناهدٌ والنحرُ نهداهُ فلكا
كحُقَّينِ من عاجٍ أُجيدا معاً خرْطا

ولا شادنٌ أحوى المآقي مرعَّثٌ
وَصولٌ اذا يرنو أخافُ له شَحْطا

[٩٣]

من الترك لم ينشأْ بنجدٍ وإنَّما
ربا في عرينِ الأسْدِ تمسكُهُ ضغطا

تبايَنَ منه الردفُ والخصرُ خِلقةً
فذا مُخصبٌ ريّاً وذا مُجدِبٌ قَحْطا

مُجَذَّبُ عيْنٍ يَجْذِبُ القلبَ عَنوةً
كأنَّ بها هاروتَ يأخذُهُ سَلْطا

تغازِلُ عيناه الخليَّ الى الصِّبا
ويعذِرُهُ فيه عذارٌ قد اختطّا

وصورةُ بـدْرٍ قـد علتْهُ ذؤابـةٌ
تنوسُ على متنيه كالحيَّةِ الرقْطا
تركتُ لذاذاتِ الصِبَا ومجونَـهُ
لمن لم ينَلْ فوادهُ من عمرِهِ وَخْطـا
وجرَّبتُ حظّي مَعْ زماني فتـارةً
تبعتُ الرِّضى منْهُ وتاراتٍ السُّخْطـا
وعِفتُ الدَّنايا لم أَكُن قطُّ سائلاً
لِرِفد ولو أنَّ النُّضَـارَ بـهِ أعطى
سَجيَّةُ نفسٍ نافست في ارتضاعِهـا
بثدي المعالي أو تعاني بهـا ملطا
ولي همـةٌ هامَتْ بـادراكِ غايـة
من العزِّ مَنْ يُبصرْ بها يُكْثِرِ الغَبْطـا

* *

هذا ما وجد من قافية الطاء ، ولم نجد له شعرا على قافية الظاء .

قافية العين

١٢٠

قال رحمه الله :

الطويل

نَظَرْتُ الى هذا الوجودِ فلم أجِدْ
بـه غيرَ كذّابٍ مُراءٍ مُخادعِ

ومَسخرةٍ نـالَ المعـالي بسُخْفِه
قد اعتادَ صكّاً في القَفا والأخادعِ

[٩٤]

وجمّاعةٍ للمالِ قد باعَ دينَهُ
بنَزْرٍ من الدُّنيا كثيرِ المطامعِ

وذي عَرْشَةٍ مُستأذِبٍ مُتَنَمِّسٍ
جهولٍ تعاطى الكِبْرَ في زِيِّ خاشعِ

وأمّا الذي يقفو شريعةَ أحمدٍ
فأقللْ بهِ من صادقِ الدينِ صادعِ

١٢١

وقال رحمه الله يصف ضعف بصره :

الطويل

أرى بصري قد قلَّ إذْ صرتُ مُبتلىً
بدائرةٍ منها لوجهي براقعُ

ثلاثةُ أَلوانٍ فأبيضُ أمهَقٌ
وأسودُ غربيبٌ وأصفرُ فاقعُ
وكنتُ أرى الخطَّ الدقيقَ إذا بدا
ظلامٌ ولحظي باهرُ النورِ باقِعُ
فصِرتُ أرى ما لا أنيسَ لمقلتي
كأنَّ الديارَ الآهلاتِ بلاقِعُ
وجُرِّعتُ شهداً يومَ لا لي لذةٌ
وقدْ ما سُقيتُ السمَّ والسمُّ ناقِعُ
سأصبرُ للأمرِ الذي جاءَ ناظري
وأعلمُ أنْ ما قدَّرَ اللهُ واقِعُ
ومَن مزّقت أيدي النوائبِ حالَهُ
يكون له من رحمةِ اللهِ واقِعُ
ومن كان مسروراً بموقعِ زلةٍ
تكونُ له بالسوءِ منها مواقِعُ
ومَنْ لم يرُعْ يوماً لخَطْبٍ أصابَهُ
تُصِبْهُ على مرِّ الزمانِ مواقعُ
وكلٌّ خطيبٌ في النوائبِ مُفْحِمٍ
وهم في رخاءِ العيشِ فُصْحٌ مَساقعُ
وعِشرةُ هذا الناسِ تقضي احتمالَهُم
على الغُبْنِ أو تجري لديهم فراقعُ

[٩٥]

١٢٢

وقال رضي الله عنه :

المتقارب

مَنَحْتُكَ أشرف ما يُمنَعُ ... وسَلْتُكَ أيسرَ ما يُقنِعُ

وإنَّ الجوابَ بـ «لا» مؤيسي ... ولفظَ «نعَم» فيه لي مطمعُ

فانعِمْ بـ «لا» أو «نعَم» سيِّدي ... ليسكُنَ صبٌّ لِما يسمَعُ

فامَّا سُلُوٌّ مُريحٌ له ... وإمَّا هوًى مؤلِمٌ مُوجعُ

وصبرٌ الى أنْ يذوقَ الرَّدَى ... ويُجزَى الحبيبَ بما يَصنعُ

١٢٣

وقال رحمه الله يرثي ابنته الكاتبة العالمة المعربة نضار :

الطويل

علَى مِثْلِ هذا الرُّزْء تَفْنَى المدامِعُ ... وتَفْنَى الهمومُ الفادحاتِ الفواجعُ

وتُجنَى ثِمارُ اليأْسِ من دَوْحَةِ الرَّدَى ... وتُحنَى على الوَجْدِ الطويلِ الأضالعُ

مصابٌ عرانا لا مُصاب شبيهه ... فراقٌ بلا رُجعَى وذِكرَى تتابعُ

وتَقوَى مبانٍ كُنَّ بالعلم آهلَتْ ... وبالذكرِ والقرآنِ فهي بلاقِعُ

فُجِعنا بما لو صُوِّرَ العقلُ كانَها ... فكاملُه فيضٌ على الخَلْقِ شائعُ

فلم يُرَ الا ثاقبُ الذهنِ ذو حِجىً
صبورٌ على بلواه للهِ خاشِعُ
فتاةٌ غدت للشمسِ أختاً ولم تكن
لصون ...... أو جبته الطبائع (1)
منعمةٌ مخدومةٌ حفَّ حولها
ولابُدَّ كُلٌ حين تأمُرُ طائعُ

[٩٦]

يرِفُّ عليها الحسنُ يندى غضارةً
كما اخضلَّ غُصنٌ في الخميلةِ يانِعُ
ملازمةٌ للحجلِ تتلو قُرآنها
بقلبٍ يَعِي والطَرف بالدمعِ هامِعُ
ويبدو سناها من خَصاصِ حجالها
كما لاحَ نورُ البدرِ والنورُ ساطِعُ
فما لقِيتْ بُؤْساً ولا فقدتْ غِنىً
ولا راعَها يوما من الدَهرِ رائعُ
وتلعبُ طوراً بالنُضار وتارةً
بدُرٍّ طريٍّ لم يُثقِّبْهُ صانِعُ
وما أعمَلَتْ يوما الى شُغلٍ يداً
سوى قلمٍ تثْنى عليه الأصابعُ

---

(١) كذا في الاصل .

تَخُطُّ بــه القــرآنَ والسُّنَنَ التي
أتتْ عن رسولِ اللهِ والخَطُّ بارعُ
وقد نشأت ما بين تقوى ومُصحفٍ
فلا الذكرُ مقطوعٌ ولا الدين ضائعُ
ومـا همُّها فيما النســاءُ يرَونَــهُ
لبـاس وتزيـين وخـلٌ يبـاضعُ
أجَلْ همُّهـا تحصيلُ أجرٍ تُعِدُّهُ
ليـوم مَعـادٍ أو كتابٍ تُطـالِعُ
تُطـالعُ تفسيراً ونحـواً مُلطفـاً
وفقهاً وتأريخـاً وطبّاً تُراجِــعُ
وقـد قَصدتْ إكمالَ اركانِ دينِها
بحجٍّ لبيتِ اللهِ والقصــدُ نــافعُ
فحجّتْ وزارت خــيرَ من وطِيءَ الثرى
نبيٌّ كريمٌ في ذوي الجرم شافِعُ
ولمَّـا قضى الرحمنُ إنفاذَ حكمِــهِ
وكُلُّ الذي قد حُمَّ لاشكَّ واقعُ
قَضَتْ نَحْبَها شَــرْخَ الشبابِ شهيدةً
ولم تكُ ممّن في الحِمامِ تُنازِعُ

[٩٧]

ولكِن بذهــنٍ ثابتٍ قــد تَشهّدَتْ
ثلاثــاً وفاضتْ وهي فيـهِ تُراجِــعُ

وَلم تَقْضِ حتى قد رأَتْ مُستقرّها
من العالمِ العُلْوِيّ والروح طالعُ

وكان لها يومٌ عظيمٌ لموتِها
فأعولَ نِسوانٌ وشُقّت مدارعُ

وكانت قد اوْصَتْ لا يُناعُ اذا قضَتْ
فما قبلت تلك الوَصاةَ السّوامعُ

تمشّى سَراةُ الناسِ ظُهراً أمامها
وصلّوا عليها والدعاءُ مُتابَعُ

وساروا أمامَ النّعشِ حتّى أتَوا بِها
لمنزِلِها والقبرُ أفيحُ واسِعُ

ولما أثاروا بالمساحي بدَا لَهُمْ
تُرابٌ كمثلِ الوَرسِ أصفرُ فاقِعُ

وفاحَ أريجُ المسكِ من جنَباتِه
كأنّ به تجرَ اللّطائمِ واضِعُ

أيا تربةً حلّت نُضارُ قرارَها
سَقاكِ من الغيثِ الهوادِي الهوامعُ

١٢٤

وقال(١) عفا الله عنه :

الخفيف

سألَ البدرُ : هل تبدّى أخوهُ

قلتُ : يا بدرُ لن تُطيقَ طُلُوعا

كيفَ يبدو وأنتَ بالليلِ بادٍ

أوَ بَدْرانِ يطْلُعانِ جميعا

١٢٥

وقال رحمه الله :

الكامل

ولقد بَعَثْتُ من الكلامِ قوافياً

تحوي من السحرِ الحلالِ بدائعا

نادَتْ عَصِيّاً للمقالةِ صعبَها

فأجابَها سهلُ المقادةِ طائعا

[٩٨]

جوابةً يعْنَى الرواةُ بحفظِها

فتهزُّ ذا إنشادِها والسّامِعا

وتَوَدُّ الحاظٌ للذّةِ سَمْعِها

من غيرةٍ أنْ لو خُلِقْنَ مسامعا

نقَرَ البلادَ فيستوي في سَمْعِها

ما كان منها دانياً أو شاسِعا

---

(١) ذكرهما الصفدي في الوافي بالوفيات وأعيان العصر ج٧ ، وقال : « وأنشدني اجازة ومن خطه نقلت » . وذكرهما المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣١٠ .

١٢٦

وقال يخاطب من طلب منه كتابا فبخل به عليه :

الطويل

بَخِلْتَ بِرَشْحٍ من كتابٍ مُمزَّقٍ
وقد كنتَ تسخو بالهوامي الهوامعِ

ودافَعْتَني بالردِّ اذ كنتُ سائلاً
وما كنتُ لما سلْتَنِي بالمدافعِ

أعَرْتُكَ تسهيلَ الفوائدِ بُرْهَةً
وأصبحت في الترشيحِ ظُلما مُنازِعي[1]

فلي سبقُ فضلٍ قد جُزِيْتُ بضِدِّهِ
ووُصْلَةِ وُدٍّ صِرْتَ فيها مُقاطِعي

وما كنتَ تدري ما الكتابُ ؟ وإنما
وشَىٰ نحوكَ الواشي به وهو خادِعي

تُنازعني النفسُ اللجوجُ طِلابَه
فقلت لها إذ أيأسَتْني مطامعي :

إذا شافِعي فيه غدا ليَ مانِعي
فأنى بإدراكي لما عند شافعِ

* *

---

(١) هو تسهيل ابن مالك .

فكتب اليه ذلك المخاطب :

الطويل

أتتني أثيرَ الدينِ أبياتُكَ التي
أخذتَ بها قلبَ النُّهَى بالمجامعِ

تسامَتْ وسامَتْ ما غلا من بدائعٍ
فدانَ لها ما لم يكُن في المطامعِ

وأَبْدَيْتَ فيها حُسْنَ صنعٍ وكمْ لِما
تؤثِرهُ عندَ الوَرَى من صنائعِ

[٩٩]

رفعت أبا حيان قدري بوضعِها
على صورةٍ لم تستبدَّ لواضعِ

ونزَّهْتُ فكري في مراتعِ فضلِها
وقد جاء من يَلقاكَ خصبَ المرابعِ

ولكنْ أَراني الحِقدُ فيها تَلَوُّناً
فمِن خافضٍ قدرَ الوَلِيِّ ورافعِ

لقد شانَ هذا القصدُ حسنَ انسجامِها
فاصبحَ منها نافِراً كُلُّ سامعِ

وحاولتُ ترشيحاً لما قَدْ نحوتَهُ
ولكن بِذُلٍّ جاءَ ضِمنَ روائعِ

وإيجابِ فضلٍ لا يُمَنُّ بمثلِهِ
وما قدرُ رُشْحٍ في الهوامي الهوامعِ

وأوجبتَه فضلاً مننتُ بنزرِه
وكم مثلُه لا منَّةً من صنائِعي

وأوهمتُ من لم يدرِ قصدكَ أنَّها
فوائدُ قد سهَّلْتَها لمراجِعِ

وسلَّطتَ شيطانَ الظنونِ على امرئٍ
بريءٍ وكم خجَّلتَهُ في مجامِعِ

وقولكَ لي - ما كنتَ تدري مُوَرِّيا -
مقالَ امرئٍ بالصدرِ للحقِ دافِعِ

ولو كانَ لا يُشرى غريبَ فوائد
لكانَ عِنانا ضائعاً غيرَ ضائعِ

فقِفْ عندَ حدِّ العَتْبِ لا مُتَعَدِّيا
فكم جرَّ عَتْبٌ مؤلمٌ من قوارِعِ

١٢٧

وقال رحمه الله :

البسيط

مالي أراكَ الى الأغيارِ مُفتقِراً
وانتَ يا صاحِ سرُّ العالمِينَ معا

نزِّهْ وُجودكَ أنْ يسمو الى أحَدٍ
إلاّ الذي أوْجدَ الاشياءَ مُختَرِعا

[١٠٠]

مَا شَاءَ كَانَ ومالا فهــو ممْتَنِعٌ
فدَعْ جَهولاً يعاني الحِرْصَ والطَّمَعــا

١٢٨

وقال ايضا :

الطويل

ورابعـــةٍ شَتّى المـذاهبِ ضمهم
نَدِيٌّ لاشْتاتِ المســرّاتِ جامع

نشنّفُ أَســماعاً بِــدُرٍّ بمثلِــه
تَتِيهُ على سُــودِ المآقي المسامع

وتَنظِمُ منشوراً من الكَلِـمِ الـذي
هو الـدرُّ لكن لم يُثقّبْهُ صانِـع

ونادَمَنا ظَبيٌ نَصبْنـا حبَـائلاً
لـه فهـو في تلك الحبائـلِ واقـع

يُدير لنـا مـن لحظـه بابليَّـةً
ويبسُطُ أُنسـاً للذي هـو طامِـع

فنهصُرُ منـهُ الغُصْنَ والغُصْنُ مائِسٌ
ونُبصِرُ منـهُ البَدْرَ والبدرُ طالع

ولولايَ أضْحَى الظبيُ للذئبِ طعمة
ولكِن حماهُ الليثُ والذئبُ جائعُ

يَوَدُّ بأنَّ الليثَ يحظَى بعُلْوِه
وتبقى لـه أوراكُـه والأكارِعُ
فقلتُ لـه : يا ذئبُ أقصِرْ عن الرَّشا
فإنَّ الرَّشا في غابةِ الليثِ راتِعُ

١٢٩

وقال رحمه الله :

الكامل

ولقد ذَخَرْتُكَ للنوائبِ عُدَّةً
ووثِقتُ منكَ بألمعيٍّ أروَعِ
جُبِلَتْ على حُبِّكَ روحي دَهرَها
فمحبتي طبعٌ بغيرِ تَطبُّعِ
ولقد نشرتُ ثناءَكَ الأرِجَ الشَذا
لمّا طويتُ على ودادِكَ أضلعي
[١٠١]
فَهَواكُمُ وسَناكُمُ ونَداكُمُ
في مُهجتي في ناظِري في مَسْمعي

١٣٠

وقال رحمه الله يخاطب بعض من يتأدب :

الطويل

أَيا لافِظاً بالسِّحْرِ ها أَنا سامعٌ
ويا ناثراً للدُّرِّ ها أنا جامعُ

لقد حزْتَ في شَرْخِ الشباب مَعارِفاً

وحُزْتَ مدًى للشيبِ اذ أنت نافِعُ

مُبينُ بيانٍ ليس ينفكُّ دائماً

بدائِهُ منه تُعتَرَى أو بدائِعُ

إذا الناسُ قد ضَنُّوا برُشْحٍ مُصَرَّدٍ

فمن بحرِهِ الطامي هَوامٍ هوامعُ

وإنْ قَدَحُوا يوما زِناداً لفِكرةٍ

فمن فِكرةِ الواري سَوارٍ سَوارِعُ

وإمَّا بَدا أو فاهَ يوماً فأعيُنٌ

اليه وأسماعٌ سَوامٍ سَوامِعُ

يروقك لفظاً أو يروعُك مَنْظَراً

فأعجِب بهِ من رائقٍ وهو رائِعُ

غدا مالِكي في الحُبِّ من هو شافِعي

فللّهِ مِنهُ مالكٌ ليَ شافِعُ

جميلٌ نقيُّ العِرضِ عمّا يَشينُهُ

سِوى خِلسةٍ للطَّرفِ والطَّرفُ خاشِعُ

وما إنْ يَضُرُّ البدرَ إن كنتُ ناظراً

إليه وقد أيأَسْنَ منه المطامعُ

ورد الشـــيخ العالم صدر الدين محمد بن الخطيب المعروف بابن الوكيل(١) وذلك في الحفل الشامي وكانت بينه وبين أبي حيان من قبل هذا التاريخ اجتماع ، فزاره أبو حيان في مكانه فلم يجده فكتب على الباب [١٠٢] : « حضر الملوك أبو حيان » • فانشد الشيخ صدر الدين :

الكامل

قالــوا : أبــو حيــانَ غَــيرُ مُدافَــعٍ
ملــكُ النحــاة ، فقلتُ : بالاءجمــاعِ
اســمُ المـلوكِ عـلى النقــودِ وإنَّني
شـاهدتُ كُنيتَـهُ عـلى المِصـراعِ

* *

فكتب اليه أبو حيان :

الكامل

جَمَعَتْ لي الخيراتُ بعدَ شَعاعٍ
لَمّـا دَعاني نَحـو فَضْلِـكَ داعِ
وفَخَرْتُ لمّـا أنْ خَررتُ مُقبِّلا
رِجـلاً لهـا في الخيرِ أيُ مَســاعِ
شاهَدتُهُ وسَمِعتُ فضـلَ خطـابِهِ
يـا حسنَ مـا نظرٍ وطيبَ سـماعِ

(١) لابن اخيه محمد بن عبدالله ترجمة في الدرر الكامنة ج٣ ص٤٧ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١١٨ ، وكان صدر الدين يقول عن ابن اخيه : « ابن العالم طلع جاهلا وابن الجاهل طلع عالما » •

أحيا أَبا حيَّان ناشرُ بِشْرِهِ

وحباهُ بالايناسِ والامتاعِ

فبِحُبِّ صدرِ الدينِ دنتُ تقرُّباً

للهِ في رَيْشي وفي إسراعي

هو أَوْحدٌ في العلمِ وتْرٌ مالَهُ

ثانٍ وفي الاحسانِ ذو إشفاعِ

ذو همَّةٍ ملكيَّةٍ ذو شيمةٍ

ملكيةٍ للخيرِ فيه دواعِ

واذا يَحُلُّ بمنزلٍ أضحَى بهِ

مأوًى الغريبِ ومطمحُ الأطماعِ

واذا ترحَّلَ طاعناً أبقى بهِ

نوراً لسارٍ أَو قِرىً لِجياعِ

وبمعْطَسِ الأرجاءِ من نفَحاتِه

أرجٌ يضوعُ شَذاً بكُلِّ بِقاعِ

إنَّ الامامةَ في العلومِ جميعِها

ثبتَتْ لهُ بالنَّصِّ والاجماعِ

[١٠٣]

إنَّ العلومَ رياضُ إلا إنَّها

انفٌ وانتَ لهُنَّ أولُ راعِ

متوقِّدٌ إن كانَ ذهنٌ خامداً

يقِظٌ وفكرُ الشَّهمِ ذو تهجاعِ

تتوقّفُ الأفهامُ حَسرَى دونَ ما
أدركتَ فهي لذاكَ ذاتُ نِزاعِ

حتى إذا تُلقِي لها ما فاتَها
أبصرتَ كيفَ النفثُ في الأرواعِ

ما كنتُ أدرِي معْ تشعُّبِ دِرايتي
انّ البراعة في شَباةِ يراعِ

حتى رأيتُ بنانَه بيراعه
يدي البيانَ مُوشَّعَ الأوضاعِ

ويشي بنفسٍ فوقَ طِرسٍ حُلَّةً
فتلوحُ شمسُ العامِ ذاتَ شعاعِ

كَلِمٌ من السِّحرِ الحلالِ تألَّفَتْ
يعبُثْنَ بالألبابِ والاسماعِ

لكسَوتَني بُرْدَ الفخارِ مُفوَّفاً
أضحت به صنعاءُ غيرَ صَناعِ

فسحبتُهُ زَهواً كأنّي تُبَّعٌ
في حميرٍ ذو المُلْكِ والتُّبَّاعِ

أظهرتَني بعدَ الخفاءِ كأنني
صبحٌ بَدا أو جذوةٌ بيفاعِ

حَسْبي علىً بينَ الأنامِ وسؤدُداً
اني من الغِلمانِ والأتباعِ

قافية الغين

١٣٢

قال عفا الله عنه :

البسيط

أَنورُ وَجْهِكَ أَمْ بَدْرُ الدُّجى بَزَغا
ولونُ خدِّكَ أَمْ وَرْدٌ به صبغا

[١٠٤]

ورَيقكَ العَذْبُ أَمْ راحٌ يذابُ به
مسكٌ فمَن يرتَشِفْهُ قد هذا ولَغا

وغُنجُ عينيكَ أم سحرٌ تلقَّفَهُ
هاروتُ فازدادَ تسليكاً به وطَغى

ما يفعلُ السحرُ بالألبابِ ما فعلَت
عيناكَ يا من لتعذيبِ الورى فرَغا

ما هامَ قلبٌ كقلبي في محبَّتكم
يوما ولا بلغَ الوَجدَ الذي بلَغا

بين الضلوعِ وصبواتي لساكِنها
سلمٌ وبين جفوني والمَنامُ وَغى

فلا سبيلَ الى السُّلْوانِ عن قمرٍ
بل استعيذُ اذا شيطانه نَزَغا

عجبْتُ من عقربٍ في خدِّهِ لَسَبَتْ
قلبي وما فارَقَتْ من خدِّهِ الصُّدُغا

وأرقمُ الشَّعرِ فوقَ المَتْنِ مُضْطربا

قد جاذَبَتْهُ أَكُفٌ كيفَ ما لدغا

عجائبٌ قد أتتنا من محاسنِهِ

فكلُّ قلبٍ لذيَّاكَ الجمالِ صغا

١٣٣

وقال رحمه الله :

مجزوء الرجز

مَنْ ناصري من شادنٍ في هجرِهِ مبالغِ

سهلِ الكلامِ لَينِهِ صعبِ الجنى مراوغِ

حازَ علوما جَمَّةً من قبلِ سِنِّ البالغِ

وبعدُ فاقَ صحبَهُ في كلِّ فنٍّ نابغِ

يرفُلُ من علومِهِ في بُردِ فضلٍ سابغِ

[١٠٥]

قد صيغَ من نورٍ فما أبدعَ صُنْعَ الصانعِ

فخَلقُهُ احسنُ من بدرٍ بليلٍ بازغِ

وخُلقُهُ ألطفُ من عذبٍ فراتٍ سائغِ

فصوغُهُ للنظم قد أعجزَ كلَّ صائغِ

شهمٌ أبيٌّ باسلٌ يدمَغُ كلَّ دامغِ

وذو حياءٍ صيِّنٍ من نزْغِ كُلِّ نازغِ

قلبيَ ملآنٌ بهِ ليس يُرى بالفارغِ
ان زاغَ عن وُدّي فما وُدّي له بالزائغِ
أو راغَ عنّي جفوةً فما أنا بالرائغِ
يا حبّذا عقيربٌ بوجنتيْهِ لادغي
وحمرةٌ بخدِّهِ جاءت بغبرِ صابغِ

قافية الفاء

١٣٤

قال غفر الله له ورحمه :

الوافر

أَمُطَّلِباً رَشاداً من أناسٍ
غَدَوا وهُمُ على غَيٍّ عُكوف

قد اتخذوا مجالسَ لاجتماعٍ
بأغمارٍ وهم فيه صُنوف

[١٠٦]

فبعضُهُمُ اتّحاديٌّ وبعضٌ
لباطنٍ أو لفلسفةٍ يَشُوف

قرامطُ يدَّعونَ لهم صلاحاً
وديناً والفسوقُ لهم حليف

إذا ما فَسَّروا القرآنَ قالوا
بواطنُهم لها فيه كشوف

فمن علمٍ لَدُنِّيٍّ وعلمٍ
بَطينيٍّ له سرٌّ لطيف

وكلٌّ يُظهِرُ الاسلامَ كيداً
وخوفاً ان تقتّلَهُ السيوف

يغرُّ بقولِهِ الأغمارَ حتّى
تراهُم حولَه لهُمُ حفيف

وينهبُ مالَهمْ وهُمُ عبيد
له ولـه الترؤّسُ والشفوفُ

ولو علِمَ المليكُ بهِم لأفنى
مشايخَهم ونالتها الحتوفُ

وطهّرَ منهمُ مِصْراً وشاماً
فَهُم نَجَسٌ تَضمّنَهُ الكنيفُ

ولكن ليسَ يجسُرُ ناصحُوه
عليه إنّهُ ملِكٌ مَخوفُ

مليكٌ بأسُه قهرَ الأعادي
وقامَ لنا به الدينُ الحنيفُ

١٣٥

وقال رحمه الله :

الخفيف

يا بخيلاً حتى بِرَجْعِ سلامٍ
زارني من خيالِكَ الصبحَ طيفُ

حينَ وافى يشقُّ جُنحَ الدياجي
قلتُ : أهلاً بزائرٍ هو ضيفُ

كلما رُمْتُ قُربَهُ قَد تناءَى
واحتفاءً به بدا منهُ حيفُ

[١٠٧]

قلت : كيفَ الخلاصُ من حبِّ ريمٍ
قد سباني وليس ينفعُ كيفُ
بقَوامٍ قد هزَّ لي منه رمحٌ
وبطَرْفٍ قد سلَّ لي منه سيفُ
فدموعٌ تهمي وحَرٌّ لهيبٌ
فبعيني مشتًى وبالقلبِ صيفُ
كان زَرعي ودادَه أرتجيه
فاذا الزرعُ جاءَه منه هيفُ
وأراهُ فزِدْتُ فيه وِداداً
ويراني فزادني منه عيفُ
قسماً بالمَقامِ والرُكنِ والبيت
وما ضمَّهُ ألالُ وخيفُ[1]
إنَّ حبِّي لخالصٌ ذو صفاءٍ
ومحباتُ ذا الورَى الكلِّ زيفُ

١٣٦

وقال رحمة الله عليه : الطويل

وإنَّ مَقامَ الحبِّ عندي ساعة
لسعدكَ ملْكَ الارضِ بل هو أشرفُ
يجودُ بأنسٍ مَعْ حديثٍ كأنَّه
جنَى النحلِ ممزوجاً به منه قرقفُ

---

(١) ألال : اسم جبل بعرفات . (معجم البلدان) .

ويعرِفُ أنْ قد ذُبتُ منه صَبابةً
وما عارفٌ حباً كمن ليس يعرِفُ
وتَسري الى قلبي لطائفُ أُنسِهِ
فيقوَى بذاكَ الأُنسِ من حيثُ يَضعفُ
ولم أرَ أحْلى من منادمةِ الهوَى
ولاسيَّما إن كان حبُّكَ يُنْصِفُ
فَهَضْرُ من ذاك القوامِ أراكةٌ
وتلثُمُ خدّاً فيه وَرْدٌ مُضعَّفُ
أرَى كلَّ من يهوَى يَحِنُّ حبيبُه
اليه ويُدنيه وبالوَصْلِ يُسْعِفُ
[١٠٨]
وقلبي أراه لم يَكُنْ قَطُّ مائلاً
لمجبوبٍ الاّ وهو يجفو ويَجْنفُ

١٣٧

وقال رحمه الله تعالى : مما نظمته وانا شاب :

الطويل

لأَكْلُ الشعيرِ واقتناءُ المعارِفِ
ألذُّ من السَلوَى ولِبْسِ المطارِفِ
وانّي لَمستغنٍ بعلمٍ جمعتُه
وَهيهاتَ ما يُغنِي تليدي وطارِفي

١٣٨

وقال رحمه الله :

البسيط

وذِي شماطيط خافِي الحُسنِ ظاهِرُهُ
فكلُّ قلبٍ بذاكَ الحُسنِ مَشْغُوفُ (١)

كأنَّه قمرٌ قد حَفَّهُ قِطَعٌ
من الغَمامِ فمستورٌ ومكشُوفُ

١٣٩

وقال عفا الله عنه :

الطويل

وأَغْيَدَ طاوِي الخَصْرِ رَيَّانَ ما حَوتْ
مآزِرُهُ كالغُصنِ يناَدُ في الحَتْفِ

أقبِّلُهُ بالوَهمِ منّي ولو دَنا
اليَّ حبيبي كنتُ قبَّلْتُ بالخَطْفِ

يزيدُ على مرِّ الزمانِ ملاحةً
فكالشمسِ في مبدًى وكالبدرِ في نصفِ

حبيبٌ بعيدُ الغورِ قاسٍ فؤادُهُ
ولكنَّه قد لانَ باللَّفظِ واللُّطفِ

فلا وَصْلَ إلا باختلاسةِ نظرةٍ
تزيدُ بها بلوايَ ضعْفاً على ضعفِ

---

(١) في الاصل : وذي شراميط .
يقال : ثوب شمطاط : قد تشقق وتقطع ، وصار الثوب شماطيط : اذا تقطع . قال سيبويه : لا واحد للشماطيط . (اللسان ــ شمط) .

١٤٠

وقال ايضا :

الكامل

لما رَأَتْني مُقبلاً حَدَرَتْ على
شَبهِ الهلالِ من الدِّمَقْسِ نَصيفا

[١٠٩]

وتلفَّعتْ بِردائها لكنَّها
رَقَّت فحيَّتْ بالسَّلامِ أَسِيفا

وأَنالت الهَيْمانَ ما شاءَ الهوَى
قُبَلاً وأَمْراً عندنا معروفا

فكأنَّها غَيْثٌ تجهَّم سُحْبُهُ
للرَّوضِ ثمَّتَ درَّ فيه وكِيفا

١٤١

وقال رحمه الله :

الطويل

له أَيْنَعَتْ أَيْكُ العلومِ فان تَرِدْ
جَناها متى ما شاءَ يَهْمِ ويَقْطِفِ

تنوَّعَ في الآدابِ يُبدي معانيا
يُعبِّر عنها بالكلام المثقَّفِ

كلامٌ له سهلُ المناحِي لطيفُهُ
وقد صانهُ عن كُلْفَةِ المتعسِّفِ

تَنَزَّهَ عن حُوشيٍّ لفظٍ ورَذْلِهِ
وبُرِّيءَ من تعقيدهِ والتَّعجرُفِ

فما روضةٌ غنّاءُ غبَّ سمائها
وقد جادَها طَلٌّ بأسحَمَ أوطفِ

وقد شَرَقتْ يُوحٌ عليها فأشرقَتْ
بنوّارِها كالوَرد تحتَ التَسَجُّفِ

فيُونِعُ منها كُلُّ ما كانَ قاحِلاً
فيَختالُ في بردِ الشبابِ المُفَوَّفِ

بأحسنَ مما قدْ وَشَتْهُ أناملٌ
لـه في حديثِ المصطفىٰ أو بمُصْحَفِ

لـهَ خُلُقٌ كالماءِ لُطفاً شَرابُهُ
غَدا سائغاً للوارِدِ المُتَرَشِّفِ

جميلُ المحيّا مُستنيرٌ كأنَّما
محاسِنُهُ تُشتَقُّ من حُسْنِ يُوسُفِ

عليمٌ بأَعْقابِ الأُمورِ كأنما
يُشاهِدُها بالفِكرِ من عِلمِ آصفِ

[١١٠]

حليمٌ عن الجاني صَفُوحٌ كأَنما
تحلُّمُهُ يمتدُّ من حِلْمِ أحنفِ

وفورٌ فما أنْ يستقرَّ كأنما
رزانتُه من شامخٍ متكنّفِ

إذا ذكِرَتْ أوصاف أحمدَ في الورَى
تملْنا كأنّا قد ثمِلْنا بقرقفِ

لقد غاصَ في بحرٍ من العلمِ زاخرٍ
فأخرجَ دُرّاً ينتقيْهِ ويصطفي

ومن يكُ تاجاً للمعالي فإنّهُ
يزين اللآلي بالثناءِ المُضعَفِ

ثناء أريجِ المِسْكِ شنْفُ مسامعٍ
وذكْر لأفواهٍ ومسْك لآنفِ

١٤٢

وقال سامحه الله :

الكامل

ما كنتُ أعلمُ قطُّ أنَّ جمالَنا
تلِدُ الظّباءَ ثقيلةَ الأردافِ

حتّى رأيتُ ابنَ الهجينِ خفيفه
ظبياً تهادَى حاملَ الأخفافِ

رَشَأ حوَى كلَّ المحاسِنِ فاغتدَى
يختالُ في بُردِ الشبابِ الضافي

كالبدرِ في ظلمائهِ والغصنِ في
غلْوائهِ والدُّرِ في الأصدافِ

مُتَبَسِّمٌ عن مِسْكَةٍ مُتَبَسِّمٌ
عن لؤلؤٍ بادي السَّنا شَفّافِ
ظبيٌ تولَّد من هجينٍ عَبْرةٌ
بَشَرٌ لطيفٌ من مَحَلٍّ جافِ
لا غروَ في متولِّدٍ من صنفِهِ
إنَّ الغريبَ تخالفُ الأصنافِ
كَذَبَ الذي زَعَمَ الطبيعةَ أثَّرتْ
هذي الطبيعةُ قد أتتْ بمنافِ

[١١١]

هي قدرةُ الخلّاقِ يفعَلُ ما يَشا
في خَلْقِهِ بتوافقٍ وخلافِ
دَلَّتْ على أنَّ المكوِّنَ فاعلٌ
بالاختيارِ وواهِبُ الألطافِ

١٤٣

وقال رحمه الله تعالى :

الهزج

تبدَّى لي من السَّجفِ كمثل البدرِ في النِّصفِ
رشاً قد راشَ من عينيهِ سهماً جالبَ الحتفِ
وهزَّ لنا مُثقَّفَه قَواماً ليِّنَ العطفِ
وسلَّ لنا مُهنَّدَهُ حُساماً فاريَ الزَّغفِ

سلاحٌ كُلُهنَّ غدتْ قواتِلَ بعضها يكفي
شُغفتُ بحُسنِ ذي غَنَجٍ رخيمِ الدَّلِّ والظَّرفِ
وما شَغَفي بنجلاءِ العيونِ وقائمِ الانفِ
ولكن بالعيونِ اللَّخصِ ذاتِ الانفِ الذّلْفِ
سباني منهمُ قَمَرٌ غريبُ الشكلِ والوَصْفِ
ذؤابتُهُ تنوسُ لهُ على حقفٍ من الرِّدفِ
كصِلٍّ إن دَنا أحَدٌ يُشيرُ اليهِ بالنّقفِ
إذا حُلّت غدائرُهُ اكتسى بالفاحِمِ الوَحْفِ

[١١٢]

وعقربُ صدغِهِ تحمي جَنَى وردٍ من القطْفِ
مليحٌ ظَلَّ يحرسُهُ رقيبٌ قلَّ ما يغفي
فلا وصلٌ سوى نظرٍ بمختلَسٍ من الطَّرفِ

١٤٤

وقال رحمه الله : رأيت شخصا في النوم وفي طرف أنفه أثر جرح وعليه لصقة فانشدت في النوم :

الطويل

ولما رآهُ الدهرُ مَلْكاً مُعَظَّماً
رَماهُ بأمرٍ فاتّقاهُ بأنفِهِ

* *

ونظمت في اليقظة :

ولو غيرُه يُرْمَى بما كانَ قد رَمي

لولّى سريعاً واتّقاهُ بردْفِهِ

كذا الباسلُ الضّرغامُ في الحربِ إنما

يُصابُ بوجهٍ لا يُصابُ بخلْفِهِ

١٤٥

وقال ايضا غفر الله له :

المتقارب

أيا مَنْ سَما في الورَى قدرُهُ

وعمَّ الأنامَ بمعروفِهِ

لِساني بالشُكرِ منطلقٌ

فلِمْ لا تجودُ بتصحيفِهِ

أرى اسْمي تنكَّرَ عِندَكُم

وفازَ اسمُ غيري بتعريفِهِ

أنا علَمٌ فيه زائدتانِ

فالصرفُ يقضي بتحريفِهِ

وصعبٌ على من لهُ عادةٌ

ويألفُها تركُ مألوفِهِ

[١١٣]

ومَنْ مرَّ يوْماً على ذكركم

فذكرُك يَقْضي بتشريفِهِ

١٤٦

وقال رحمه الله :

السريع

لابُدَّ للانسانِ من صورةٍ
جميلةٍ يشهدُها طرفُه
ومن حديثٍ فكِهٍ نادرٍ
يعلَقُ بالقلبِ له وصفُه
ومن أريجِ مسكٍ أو عنبرٍ
يلتذُّ بالشمِّ له أنفُه
ومن مِجَسٍّ أهيفٍ ناعمٍ
كالبدرِ في الشهرِ مَضَى نِصفُه
ومن مَذاقٍ ريقُهُ قَرقَفٌ
في مبْسِمٍ يُسكِرُها رَشفُه
خمسٌ من اللذاتِ مَن نالها
فهو سعيدٌ كاملٌ ظَرفُه
ومَن يكُنْ متِّعَ دَهراً بها
فما يُبالي إنْ أتى حَتْفُه

١٤٧

وقال غفر الله له :

المتقارب

إذا اختلفَ الناسُ في مَدْرَكٍ
ولم يحتملْ غير وجهي خِلافَ

فما الحقُ فيه سوى واحدٍ
وفكرٍ لتبصرَهُ غير خافْ
وإن يحتمِلْ أوْجهاً نطقُوا
بقولينِ من نظرٍ غيرِ شافْ
فقد يظهرُ الحقَ في ثالثٍ
وولاهم صادرٌ عن خِرافْ
ولا تَعْتَبِرْ كَثْرةَ القائلين
فَهُمْ حُمُرٌ ما لَها من أُكافْ(١)

[١١٤]

يناقضُ بعضُهُم بعضَهُم
فقولُهم لم يَزَلْ ذا اختلافْ
ولو انعَموا فكرَهم أنصفُوا
وكان مقالُهم ذا ائتِلافْ
وإياكَ والبحثَ مَعْ مُبْتَدٍ
بليدٍ يقولُ بغيرِ انتِصافْ

١٤٨

وقال عفا الله عنه :

الطويل

بروحي التي زارت بليلٍ فقابلَتْ
عُيوناً براها السُهدُ ، والأعْينَ الوُطْفَ(٢)

(١) الاكاف : برذعة الحمار .
(٢) وطف : كثر شعر حاجبه فهو أوطف .

فعاجلتها باللثمِ عظماً لردْفِها
وعالجتُها باللّينِ منّي وباللّطفِ
وقلْتُ أرَى وَرْداً بخدكِ ذابلاً
ألا فاذني باللّثم فيه وبالقطفِ
وعِطْفاً تثنّى ناعما ذا لُدُنّةٍ
فما بالُه لا ينثني لي بالقطفِ
لَجمّعتُ بَدراً والنّقا وأراكةً
بنورِ المُحيّا منك والرّدفِ والعِطفِ
ولما رأتْ ما بي وأطربَ سمْعَها
نسيبيَ فيها قبّلتنيَ بالخطْفِ
فيا لكِ منها قُبلةً لو تمكّنتْ
لقد كان بردُ الريقِ حرَّ الحشا يطفِي
وَولّت فأبْقتْ في فؤاديْ ومُقلتي
جَحيما ودَمعا لا يَمَلُّ من النّطفِ (١)

١٤٩

وقال أيضا :

الطويل

تَمتّعْ به لَدْنَ المعاطفِ أهْيفا
يسقيكَ من عذْبِ المراشفِ قرْقفا(٢)

---

(١) نطف الماء : سال قليلا قليلا .
(٢) القرقف : الخمر ، الماء البارد .

هـو الشمس لكن ليس فيه تأنُّث
هو البدرُ إلا أنَّه ليس أكْلَفا(١)

[١١٥]

تولَّدَ بيْنَ التُّركِ في مصرَ فاحتوَى
الى لُطْفِهِ حُسْنا حكَى فيه يُوسُفا
مُجَذِّبٌ لَحْظٍ جاذبٌ لقلوبنا
وليِّنُ لفظٍ قلبُهُ أشبهَ الصَّفا
رياضُ جمالٍ وجهُهُ فلِذا ترَى
به نَرْجِساً غَضّاً وورْداً مُضَعَّفا
يُحارِسُهُ من رائدِ القَطفِ أرقمٌ
منَ الشَّعْرِ ما يهتزُّ الا لينقفَا
محاسِنُه تكفيه حَمْلَ سِلاحِه
ألم ترَ ما في القلبِ انفذَ مَصْرِفا
فمن لحظِهِ الوسنانِ سَلَّ مُهنَّداً
ومِن قَدِّهِ الفَيْنانِ هزَّ مُثقَّفا
نَعِمْنا به ضَمّاً وشَمّاً ولم نُبَلْ
أجارَ زمانٌ مع سِوانا أمْ انْصفا
وما العَيْشُ إلاّ خُلسةٌ من محجَّبٍ
يُبيحُكَ ما تهوَى عِناقاً ومَرْشَفا

(١) الكلف : السواد في الصفرة ٠

١٥٠

وقال رحمه الله :

السريع

هفَ لبرقٍ بالحمَى قد هفَا

وما اختفت أسرارُه مُذْ خَفَى

غَيْرانُ حتّى مِن نَسيمِ الصَبَا

سكرانُ لكن من لمى أهيفا

كالشَمْسِ لكنْ إنَما وجهُه

لفَرطِ حُسْنٍ فيه لَن يكسِفا

عَرْبدَ منه طرْفُه وهوَ لا

يشربُ حاشَى دينه قرقفا

لكنَّ ريّا ريقِهِ قد سرَتْ

منه لطَرفٍ قد حكَى مرْهفا

سَقْمْتُ من سُقمٍ بأجفانِه

ما زال يعدي مُدنَفٌ مُدنفا

[١١٦]

أَسْمرُ قد هزّ لنا أسْمَراً

بنار خدّ منه قد ثقّفا

أثْمرَ أعْلاهُ هلالاً وقَدْ

كادَ لِثقلِ الرِّدفِ أن يَقْصفا

١٥١

وقال يخاطب الشيخ بهاء الدين بن النحاس(١) :

الطويل

لقد غِبْتَ سِتّاً بعد عَشْرٍ وانّني
لفي كُلِّ وَقْتٍ مسمعِي يَتَشَوَّفُ

إذا قالَ انسانٌ : نَعَم ، قُلْتُ : شيخُنا
ومن بِلِقاهُ في الدُّنا نَتَشَرَّفُ

أَلَمْ تَدْرِ أَنْ للعينِ سِرّ تطَلُّع :
يَشِفُّ على سِرِّ الضميرِ ويَلطُفُ

١٥٢

وقال(٢) في املاك(٣) علي بن قاضي القضاة شمس الدين السروجي(٤) على الحجة بنت قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة :

الطويل

هنيئاً بتأليفٍ غريبٍ نظامُهُ
لقد حارَ في أوصافِهِ نظمُ عارِفِ

غَدَتْ شمسَ حُسنٍ بنتُ بدرِ سيادةٍ
تُزَفُّ لبَدْرٍ نجلِ شمسِ معارِفِ

---

(١) هو محمد بن ابراهيم المتوفى سنة ٦٩٨ هـ ، وهو شيخ أبي حيان . (بغية الوعاة ج١ ص١٣) .

(٢) في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٦ : « قال ابن جماعة : وقال في املاك علي بن قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي ، وكان جميل الصورة ، على اختي شقيقتي فاطمة » .

(٣) الاملاك : الوليمة تصنع للعرس أو التزويج .

(٤) مرت ترجمة قاضي القضاة شمس الدين السروجي .

سميّان للطُّهر البتول وللرِّضا
عليٍّ ونجلا الاكرمين الغطارف (١)

فدامَ عليٌّ عاليَ الجدِّ سيّداً
ولا زالَ في ظلٍّ من العيش وارفِ

١٥٣

وقال يذكر الفقيه الامير ابا زكريا يحيى بن ابي طالب بن ابي القاسم العزفي ملك سبتة :

البسيط

المُلْكُ يُحمى بملْكٍ من بني العزَفي
والعلمُ يحيا بيحيى الخيرِ ذي الشرفِ

[١١٧]

مستحكمُ الرأْي لا يغتال فكرتَهُ
دَهَا الرجالِ ولا ينقادُ للجنَفِ

فسبتةَ الغربِ قد ألقتْ مقالدَها
اليه فاستعصمتْ بالكافلِ الأَنِفِ

من أسرةِ المُلكِ لخمٍ طالما منعوا
ذِمارَهُ بالظُبا والذُبَّلِ القُصُفِ

همُ الملوكُ فلا ملْكٌ يقاسُ بهم
من الورى ، أيُقاسُ الدرُّ بالصدَفِ

---

(١) كذا في الاصل ، اما في نفح الطيب : سميان للزهرا البتول ٠

إنّي وإن فاتني تقبيلُ راحتِكم
لقد بعثتُ بها مع طائرِ الصُحُفِ

اخالُ أنّ البنانَ الرَخصَ يلْمَسُها
وكم عليلٍ بتخييلِ الوِصالِ شفي

أرْتاحُ للقُرْبِ لكن كَمْ عوائقَ لي
من خِضْرِمٍ مربدٍ أو مَهْمَهٍ قُذُفِ[1]

وما ارتياحي بأني لم أنلْ شَرَفا
بمصرَ بل نِلتُ فيها منتهى الشَرفِ

لأرضعتني أخلافُ المنى ضَرَبا
وانشقتني زَهرَ الروضةِ الأُنُفِ

وأطْلعتني بَدْراً بينَ أنجُمِها
حتى جلَتْ بيَ عنها لبسةَ السُدُفِ

وسرَحتْ ناظِري في أوجهٍ فُسُحٍ
وأعينٍ لُخُصٍ وآنُفٍ ذُلُفِ

أولادُ يافثَ كم من نافثٍ لهُمُ
بالسحرِ أغنيةً في المُغرَمِ الدَنِفِ

لكنّ ذاكَ ارتياحٌ هاجَ ساكِنَهُ
ذِكرى مكانٍ به نَشْئي ومؤتَلَفِي

---

(١) الخضرم : البئر الكثيرة الماء ، البحر الخضم .

١٥٤

وقال أيضا :

الطويل

وساعةِ أُنسٍ قد قطعتُ قصيرةٍ
كرجْعَةِ طَرْفٍ أو كنُغْبَةِ خائفِ (١)

[١١٨]

حوتْ مجلِساً فيه المُنَى قد تجمَّعت
غناءٌ لذي سمعٍ وكأسٌ لراشِفِ

وصورةُ حُسْنٍ لو تبدَّت لراهبٍ
لأنسته ما في هيكلٍ ومَصاحفِ

غريبةُ حُسْنٍ بِدْعَةٌ في جمالها
لَطيفَةُ معنىً فيه كلُّ اللطائفِ

وما كنتُ أدري أنَّ للشمس ضَرَّةً
الى أن رأيتُ الشمسَ ذاتَ السَّوالِفِ

ألا فاغرُبي شمسَ النهارِ فإننا
غَنِينا بشمسٍ نورُها غيرُ كاسِفِ

ويا بدرُ كم قد شبَّهوكَ بوجهها
لقد غلِطوا ما مشرقٌ مثلَ خاسفِ

ويا غُصْنُ كم تحكي إِعتدالَ قوامها
حكَيْتَ ولكنْ اين ثقلُ الرَّوادِفِ ؟

(١) النغبة : ـ بضم النون وفتحها ـ : الجرعة ·

١٥٥

وقال رحمه الله :

الطويل

هو الحسنُ حُسنُ التُّركِ يَسبي الورى لُطْفا
ويعطِفُ سالي القلبِ نحو الهوَى عطْفا

يُدِرْنَ من اللُّخْصِ السواجي مُدامةً
فللهِ ما أحلى ، ولله ما أصفى[1]

وينصِبْنَ من هُدْبِ المآقي حبائلاً
فكم أنفسٍ أسرَى لدَى المُقلَةِ الوَطْفا

وبي قمرٌ منْهُم تبدَّى فأصبحتْ
منازِلُهُ من جسمِيَ القلبَ والطّرْفا

حكَى الشمسَ وجهاً والغزالَ التفاتَةً
ودِعصَ اللِّوى رِدْفاً وغُصنَ النَّقا عِطْفا

أبدرَ بني خاقانَ رِفقاً بعاشقٍ
براهُ الهوَى حتى لقد كادَ أنْ يخفَى

وقدْ عُدْتني يوماً فعُدْني بمثلِه
لعلِّي من الأوصابِ إنْ زُرْتَني أشفَى

[١١٩]

تداوَى أُناسٌ بالبِعادِ فما شفَوا
ولا شيءَ أبْرا من وِصالٍ ولا أشْفَى

(١) لخصت عينه : ورم ما حولها فهو الخص وعينه لخصاء ج لخص .

وما أنسَ لا أنْسَى زيارَةَ مالِكي
أَلاحظُ منهُ البدْرَ والغُصنَ واكَشفا

هَصَرْتُ بذيّاكَ القَوامِ أَراكَهُ
وافنيتُ تلكَ الراحَ من ريقِهِ رَشَفا

أَيا ذهبيَّ اللونِ روحيَ ذاهبٌ
فرِفقا بهيمانٍ على الموتِ قد أَشفى

١٥٦

وقال رحمه الله تعالى :

الرمل

وَبروحي شادنٌ مسكَنُهُ
مُقْلةٌ تهمِي وقلبٌ يَجِفْ

قَمريُّ الوجهِ نوريُّ السَنا
لو رآهُ هامَ فيه يُوسُفْ

غُصْنُ بانٍ تحتَهُ دعصُ نقاً
فَوقَهُ شمسٌ ولا تنكسِفْ

عينُه صادٌ ونونٌ حاجبٌ
صُدْغُهُ واوٌ وقدٌّ أَلِفْ

عجباً في الواوِ لا تعطفُهُ
وهي وسطَ خدِّهِ تنعطِفْ

بانَ عذري في عِذارٍ حلَّ في
وردةٍ في الخدِّ ما تُقْتَطَفْ

فترى أخضرَ في أحمرَ في
أبيضٍ تحميه سودٌ وطُفُ
إنْ تكُ الأضدادُ فيه اتّفقتْ
فعلينا بالهوى تختلفُ
مَن نصيري من غزالٍ غزِلٍ
عن هواهُ الدهرَ لا أنصرِفُ
قد كتمتُ عنه حبّي زمناً
وهو لاشكَّ بحبّي يعرِفُ

[١٢٠]

يا شقيقَ النفسِ بل مالكَها
لك بالرّقّ أنا معترِفُ
كلّما كلّفتُ قلبي عنكم
صبْرَهُ ، زادَ بقلبي الكَلَفُ

١٥٧

وقال عفا الله عنه :

البسيط

أَيا قضيبَ نقاً من فوقه قَمَرٌ
متى أراكَ الى المُشتاقِ تنعطِفُ
يا واحدَ الحُسنِ هل من ناصرٍ لفتىً
أذابَهُ المُقلِقانِ : السُّهدُ والدّنَفُ

سباهُ منك عِذارٌ أخضرٌ فَصَبا

وهاجَهُ الفاتِنانِ : الدَّلُ والهيَفُ

متيَّمٌ لم يزَل بالحسنِ مفتتنا

أصابه الساحرانِ : الغُنْجُ والوَطَفُ

يا عاذِلي كُفَّ عنّي أو فَزِدْ عَذَلاً

اني فُتِنتُ بمن في وجهِهِ كَلَفُ

الوجهُ مَعْ مُهجَتي إِذ بانَ متَّفِقٌ

والنومُ مع مُقلَتي مُذْ غابَ مُخْتَلِفُ

١٥٨

وقال عفا الله عنه :

الطويل

حكَى من أُحِبُّ المسكَ لوناً ونَفْحَةً

لذلك أضْحَى وهو فينا مُشَرَّفُ

وقد لَبِسَتْ بُرْداً سَوادَ قُلوبِنا

ألمْ تَرَهَا أَضْحَتْ عليها تُرَفْرِفُ

ومالَت إِليها العينُ إِذْ هيَ شِبْهُها

فليس لها عنها مدَى الدهرِ مَصْرِفُ

١٥٩

وقال : كتب اليَّ الوزير الفاضل أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الرندي بالقاهرة قدم علينا حاجا [١٢١] :

البسيط

ماذا ترى يا أبا حيانَ في دنفٍ
صبٍّ لِلُقياكَ ذي شوقٍ وذي كَلَفِ

مستشرفٍ طمحاً من صفوِ ودِّكُمُ
الى أمانيِّ فيها منتهى الشرفِ

* *

فكتب اليه أبو حيان تحت خطه :

البسيط

أرى بأني آتٍ نحوَ خدمتكم
سَعياً على الرأسِ كي أختصَّ بالشرفِ

أنا العليلُ وما يشفي الغليلَ سوى
لُقيا الحكيمِ ففيهِ البرءُ من دنفِ

قافية القاف

١٦٠

قال رحمه الله تعالى :

المنسرح

عَلِقْتُهُ شادناً أخا صِغَرٍ
بُنَيَّ عِزٍّ مُدَلَّلاً نَزِقا

غِرّاً صغيراً إذا شكوتُ له
احمرَّ وجهاً ورقَّدَ الحَدَقا

فأبصرُ الشمسَ كَلَّلَتْ شَفَقاً
وانظرُ الظبيَ مُتْلِعاً عُنُقا

ظبيَ كِناسٍ ظباهُ قد فَتَكت
شمسَ ضُحاءٍ على قَضيبِ نَقا

لقد رماني بسهم أعيُنِهِ
فعلَّقَ القلبُ منه ما عَلِقا

وَجْداً شَديداً لو أنَّ ايسرَهُ
صادَفَ صَخراً أصمَّ لانفلَقا

أظَلُّ طولَ الزمانِ مفتكراً
أهكذا كلُّ مُغرَمٍ عَشِقا

فمُهجتي والأَسى قد اجتمَعا
ومُقلتي والكرَى قد افترَقا

يا ليتَ حُبّي وهجرَه اختلفا
وليتَ قلبي ووصلَه اتّفقَا

[١٢٢]

انظُرْ تُشاهِدْ ضِدَّينِ قد جُمِعا
قلباً حريقاً ومَدْمَعاً غرِقا

لا أنثني الدهرَ عن محبَّتِه
لو قُطِّعَ القلبُ في الهوَى فِرقا

١٦١

وقال عفا الله عنه :

الطويل

ونُبِّئْتُ مَنْ أهواهُ قيَّدَ أدْهَما
صَمودا ولكن إِن مَشَى هُوَ ناطِقُ
أَيَا عَجَباً هذا الحديدُ يُحِبُّهُ
على قَسوةٍ فيهِ فكيفَ الخلائِقُ

أمِن حارةِ البَرقيَّةِ التاجَ بارقٌ
وناجاكَ طيفٌ في الدُّجُنَّةِ طارقُ
تَشوقُكَ رؤياها فهل أنت ناظِرٌ
ويعبِقُ ريّاها فهل أنْتَ ناشِقُ
مَطالِعُ أقمارٍ وغابُ ضراغمٍ
تُشَدُّ على الحرصانِ منها المَناطِقُ

ومَسرحُ غِزلانٍ ومسرى أهلَّةٍ
لهُنَّ مراعٍ في الحشا ومشارقُ

تجرُّ قدودُ العينِ فيها ذوابلاً
وتجري خيولٌ للتصابي سوابقُ

تملَّكني بالحارةِ الأحْورُ الذي
غدا ساكناً بالقلبِ والقلبُ خافقُ

غزالٌ رخيمُ الدَّلِّ أحْورُ أهْيفٌ
غريبُ جمالٍ فائقُ الحُسنِ رائقُ

كأنَّ من البِلَّوْرِ قد صيغَ جِيْدُهُ
وقد صُبِغت من وَجنتيهِ الشقائقُ

ومن لَدْنِ عِطْفَيهِ وسَهْمِ لِحاظِهِ
يَهِفُ الى قتلي رشيقٌ وراشِقُ

ومن دمِ قلبي في تورُّدِ خدِّهِ
ولاعجِ أشواقي شهيدٌ وسائقُ

[١٢٣]

مليحٌ مَصونُ الحسنِ عما يَشينُهُ
وقد زانَ حُسنَ الخَلْقِ منه الخلائقُ

ولي زمنٌ أهواهُ والقلبُ كاتمٌ
فهل هو يَدري أنني فيه عاشقُ

ولا وَصْلَ مِنْـهُ غيرَ خَلْسَةَ ناظِـرٍ
أُسـارِقُهُ إِنْ لاحَ فيمـن يُسـارِق

لِساني كتـومٌ للهَـوى وجوارِحي
بِحُبِّ الـذي قـد حلَّ فيها نَواطِـقُ

ولم أَنْسَهُ إذ قـال يومـا مُجاوِبـا
لِمَنْ قال : هذا الحسنُ مولايَ فائقُ

لأحسـنُ شـيءٍ في عينايَ إنهـا
سِـهامٌ روامٍ للقلوبِ روامِـقُ

أيـا مَلِكَ الأَتـراكِ إِنْ قلوبَنـا
اليـكَ صـوادٍ في هواكَ صوادِقُ

فمُنَّ عليهـا وانْقَعَـنَّ غَلِيلَهـا
بوصلٍ فإنَّ الوصلَ للهجرِ ماحِقُ

تَلافَ تَلافَ العاشِـقين فإنَّهـم
لهم أَنْفُسٌ ذابَتْ ودَمْعٌ يُسابِقُ

١٦٢

وقال رحمه الله :

السريع

وأَسْـمرٌ قابَلَهُ أَسْـمرُ
كِلاهُمـا قلبـي بـه عُلِّقـا

لاحـا هِلالَيـنِ ، وفاحَا لَنـا
مِسْكَيْنِ واهتـزّا قَضيبَيْ نَقـا

١٦٣

وقال(١) يخاطب الشيخ بهاءالدين بن النحاس(٢) وقد أغب زيارته :

الطويل

أَعَينَ حياتي والذي ببقائِهِ

بقائي لقد أصبحتُ نحوكَ شيِّقا

أقمتَ بقلبي غيرَ أنَّ لمقلتي

برؤيتكَ الحظَّ الذي يُذهِبُ الشَّقا

[١٢٤]

وما كانَ ظَنّي أنَّكَ الدهرَ تارِكي

ولو أنني أصبحتُ بينَ الورى لَقا(٣)

لطائفُ مَعْنىً في العِيانِ ولم تكن

لتدركَ الا بالتَّزاوُرِ واللِّقا

١٦٤

وقال يخاطب من وعده بان يرد عليه كتاب سيبويه ومطله :

البسيط

مَضَت أَسابيعُ للوعدِ الذي سبقا

واصبحَ القلبُ من إنجازِهِ فَرِقا

---

(١) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٦ ٠

(٢) هو محمد بن ابراهيم بن محمد بهاءالدين بن النحاس الحلبي النحوي شيخ الديار المصرية في علم اللسان ٠ ولد في جمادى الآخرة سنة ٦٢٧هـ ومات يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة سنة ٦٩٨هـ ٠ قال أبو حيان ــ وهو من تلامذته :ــ « كان هو والشيخ محيي الدين المازوني شيخي الديار المصرية ، ولم ألق أحدا أكثر سماعا منه لكتب الادب » ٠ (بغية الوعاة ج١ ص ١٣) ٠

(٣) اللقا :الشيء الملقى لهوانه ٠

فهل كتاب أبي بشرٍ يُبشِّرُنا
فنقضيَ القصدَ منه كيفَ ما اتَّفقا[1]

يا أحسنَ الناسِ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ
خُصصْتَ بالاحسَنَينِ الخَلْقَ والخُلقا

طلعتَ بدراً بآفاقِ السُّعودِ على
هذا الانامِ فجلَّى نورُكَ الغَسَقا

وقُمْتَ بالعدلِ في وَقْتٍ لقَدْ قَعَدَت
فيه الرجالُ فأوضَحتَ الهُدى طُرُقا

إنَّ المناصبَ قد أَلقَتْ مقالدَها
الى عُلاكَ فلاقَت سَيِّداً نَطِقا

وكلُّ ما صِرْتَ فيه فهو دُونكُم
ونحنُ نرجو مزيدَ الخيرِ مُتَّسِقا

لأنتَ أكرم مَنْ يُرجَى لمُعْضِلَةٍ
ما البحرُ ملتطماً ما الغيثُ مندفِقا

وليس جودُكَ مقصوراً على أَحَدٍ
بل أنتَ كالغيثِ عَمَّ التُربَ والزَّلَقا

إنَّ الجميلَ إذا يُسْدَى لشاكِرِهِ
ينمو ثناءً وعَرفاً عاطِراً عَبِقا

---

(1) أبو بشر هو سيبويه صاحب الكتاب .

١٦٥

وقال يصف متنزها خرج اليه مع ناس من أصحابه وتخلص فيها الى مدح بعض أصحابه الفضلاء الادباء [١٢٥] :

الطويل

وَيَوْماً قَطَعْنَاه سُروراً ولَذَّةً
نُجاذِبُ أَطْرافَ الحديثِ المُنمّقِ

ندامَى وفاءٍ لا جَفاءَ لديهِمُ
مكارِمُهم خَلْقٌ بغيرِ تخلّقِ

قد ارتضَعوا كأسَ الوفاقِ فلا ترَى
خِلافا لديهم في فَعالٍ ومَنْطِقِ

صفَفْنا حوالَي بِرْكَةٍ راق ماؤها
ورَقَّ كأخلاقٍ لنا لم تُرَنَّقِ

سَبَحْنا بها عوما فغارَت لِسبحِنا
إِوَزٌّ ففاتتنا تَصيحُ وتلتقِي

وناعورةٌ تحكي بطولِ بُكائها
ورَنَّتِها صبّاً كثيرَ التشَوّقِ

لئِنْ ضاقَ منها الجفنُ من عبَراتِها
فأضلاعُها عن دمعِها لم تَضيّقِ

بكَتْ فأرَتْنا الدهرَ يَضحكُ اذ بكَتْ
وناحَتْ فأزْرَتْ بالحَمامِ المطوّقِ

وقد ضمَّنا وَسْطَ الرياضِ مُكَعَّبٌ

كطوقٍ بجيدٍ أو كتاجٍ بمِفرقِ

تطالِعُنا الشمسُ المنيرةُ لحظَها

مسارقةً مِنها تَطلُّع شَيِّقِ

وتلقِي علينا من شَبابيكِ نورها

شُعاعاً يحاكِي نَقْشَ بُرْدٍ منمَّقِ

إذا ما التقى بالماء منها شُعاعُها

تألَّقَ بالحيطانِ أيَّ تألُّقِ

فيرقُصُ منها الظلُّ في جُدراتها

إذا الماءُ أضحَى بالصبا ذا ترقرُقِ

وغابتْ فباتَ البدرُ يحرُسُنا لها

رقيباً علينا من حَذارِ التفرُّقِ

لئِن جذِبتْ قسْراً الى نحو مغرِبٍ

فعمّا قليلٍ سوفَ تبدو بمشرقِ

[١٢٦]

فيا عجباً للنيِّرينِ تشوُّقا

الينا ومن نَهواهُ لم يتَشوَّقِ

ولا عَجَبٌ والشكْلُ يَشتاقُ شكلَهُ

ويُضحِي به وَجْداً شَديدَ التعلُّقِ

لنا مجلسٌ فيه ندامى كأنما
سقُوا بكؤوسِ الودّ غيرِ المرنّقِ

كواكبُ أضحى في الأثير مقرُّها
وللشرفِ الأعلى تسيرُ وترتقي

إذا نفحةٌ قدسيّةٌ شرفيّةٌ
تهبُّ شممنا عرفَ مسكٍ مفتّقِ

ومهما تنازعنا كؤوسَ حديثِها
سكرنا بأشهى من رحيقٍ معتّقِ

محادثةٌ تسبي العقولَ وصورةٌ
تمامٌ فبغيا سامعٍ أو محدّقِ

حوى شرفُ الدينِ المكارمَ كلَّها
فقلْ ماتشا فيه من الخيرِ تصدقِ

لقد جبلتْ منه السجايا على فتىً
أمدَّ باحسانٍ وأوفى بموثقِ

يقيّدُ آمالاً بمالٍ مسرَّحٍ
ويجمعُ خلاّنا بجودٍ مفرّقِ

ويشفقُ أن يلقى صديقاً معاتباً
وليسَ على جمعٍ لمالٍ بمشفقِ

يزيدُ على الاقلال منه سماحةً
ويغضي حياءً عن سفاهةِ أخرقِ

فليسَ الذي يؤذي عِداهُ بمنجحٍ
لديه ولا باغي جداهُ بمخفقِ
ونِسبتُهُ للقُدسِ أيَّةُ نسبةٍ
تدُلُّ على التَّطهيرِ من كلِّ موبِقِ
إمامتُهُ في العلمِ ثابتةٌ لنا
بنصٍّ وإجماعٍ ورأيِ المُدقِّقِ

[١٢٧]

تُناجيهِ نفسٌ بالعلومِ وغيرُهُ
يلوذُ بتجميعِ الكلامِ المُلفَّقِ
وقد نُقِشَتْ كُلُّ العلومِ بِصَدرِهِ
فأكرِمْ بِحَبْرٍ نيِّرِ النَّفسِ مُشرِقِ
وقابَلَ منها الجنسُ مرآةُ عقلِه
فمثّلَ فيها كُلَّ نوعٍ محقَّقِ
بديهتُهُ أعيَتْ رَوِيَّةَ غيرِهِ
وفكرتُهُ قد أعجزَتْ كُلَّ مُفلِقِ
بَنانٌ به يبدو البيانُ مُوشَّعا
بمُظلِمِ نقشٍ وَسْطَ نَيِّرِ مُهرَقِ
بنظمٍ كزُهرٍ في المجرة سُبَّحٍ
ونثرٍ كزَهرٍ غِبَّ أوْكَفَ مُغْدِقِ
وذِهنٍ كأنَّ النارَ منه توقَّدت
فلولا نَداهُ كان من يَدْنُ يُحرَقِ

وجُودٍ كأنَّ السُّحْبَ منه تعلَّمَتْ
فلولا ذكاءُ كانَ مَنْ يَعَطْ يَغْرَقِ

رَسا فكأنَّ الطَّوْدَ يحكي ثباتَهُ
همَى فكأنَّ الجودَ بالبحرِ ملْتقِ

إذا عَصَتِ الناسَ القوافي فإنها
تُطاوِعُهُ فيما يَشاءُ فينتقي

وإن راجعَ الناسُ الدفاترَ لم يكن
يُراجعُ الا فِكرُهُ ذا التدفّقِ

وإن اصلدُوا يوما زِناداً فانّهُ
ليُوري بها نارَ الذّكاءِ المُحرِّقِ

فلا مُشْكلٌ إلاّ بدا غيرَ مُشْكِلٍ
ولا مُغلَقٌ الا غدا غيرَ مُغْلَقِ

فصيحُ مَقالٍ حين يخرَسُ قَسُّهُمْ
فسيحُ مجالٍ إن يَحِلُّوا بمأزِقِ

يُسهِّلُ ما قد كانَ حَزْنا وطالَما
أجَدَّتْ لنا آدابُهُ كلَّ مُخلَقِ

[١٢٨]

إذا تُليَتْ في الناسِ آيُ محمدٍ
ترى كلَّ ذي سمْعٍ متى يُصْغِ يُطْرِقِ

ويأتي من النَّظْمِ البديعِ بمعجزٍ
يَطيحُ لديه نظمُ كُلَّ مخرّقِ
وكانَ ابنُ موسانا عليٌّ مؤيدا
أتى بشذورٍ لحْنَ كالجوهرِ النقي
وأبدعها في العالمينَ فرائدا
جمعنَ الى الابداعِ حسنَ التأنقِ
وكانَ بها نقصٌ فجاءَ مكمِّلاً
لذاكَ ابنُ موسى بالكلامِ المطبَقِ
تشابَه نظماً إذ حكاه كأنه
جريرٌ وقد بارَى نظامَ الفرزدقِ
فإنْ لا يكنهُ فهو لاشكَّ صنوُهُ
لقِي في هوَى ليلى كمثلِ الذي لقِي
أقاما لها في الذهنِ أبدعَ صورةٍ
لطيفةَ معنىً رائقِ اللفظِ مونقِ
وقد حجباها ضِنَّةً أن ينالها
فتى غيرُ أهلٍ للندَى والتصدّقِ
وكم أرقا فيها التذاذاً وأرّقا
ومن يَعشقَنْ ليلى يؤرَّقْ ويأرقِ
وما ادّعيا فيها ولكن كلاهما
سُقي من هوَى ليلاً براحٍ مورّقِ

فراقَ لها وَقْتٌ وقد لاحَ نورُها

من اندلسٍ للقدسِ تَسري وترتقي

لقد بطَنَ الأمرُ الذي هو ظاهر

لليلى فأصبَحت ذا السعادةِ والشقي

فكم مُعْسرٍ قَد آيستَهُ ولم يصل

وكم مذهبٍ قد فلسَتْهُ ومورقِ

رأى قمراً قد صارَ شمساً فغرَّهُ

تنقُلُ لونٍ في صفاءٍ ورونقِ

[١٢٩]

وما ذاك إلاَّ حمْرةُ الخجلِ التي

تزولُ على قُرْبٍ بسيرٍ وميْلقِ

وما أنا في ليلى ولا ابني ولا ابنُه

نظيرُ عليٍّ أو محمدٍ التقي

عليٌّ له شِبْهٌ بخُلق محمد

أخُوهُ بلاشكٍّ سُقي فضلَ ما سُقي

وإنَّ علياً من محمدٍ الرضي

كهارونَ من موسَى حديث المنطقِ

وكم من يدٍ بيضاءَ جاءَ لنا بها

فأغنى ابنُ موسَى كلَّ أغبرَ مملقِ

أيا دوحةَ الفَضْلِ التي طابَ أصلُها
ومدَّت علينا ظِلَّ فَيْنانَ مُورِقِ
لقد عمَّ منك الجودُ ناساً وخَصَّني
فها أنا عن تقييدِه غيرُ مُطْلقِ
يظُنُّ الأُلى قدْ عاصروكَ بأنهم
حكَوكَ لقد خابَت ظنونُ المُصدِّقِ
وما ثمدٌ بادي الحَصاةِ بمُشْبِهٍ
لبَحرٍ زَخُورٍ بالمعارفِ مُتأقِ[1]
فذاكَ دَعِيٌّ في المعارِفِ جاهِلٌ
وذو نسبٍ بينَ الأفاضِلِ مُلْصَقِ
يَرى البُخْلَ مَدْحاً والترافُعَ رِفعَةً
فاحسِنْ به من أشدَقٍ مُتَفَيْهِقِ
أما لاحَظُوا منكَ التواضُعَ شيمةً
وسُحْبَ النَّدَى كالعارضِ المُتألِّقِ
ورَدْتَ النَّدَى زُرْقَ الحمامِ وحلَّقوا
عليه وما ذو الوِرْدِ مثلَ المُحلِّقِ
فخُذْ من نَصيرٍ مِدْحَةً في محمَّدٍ
ودَعْ قولَ أعْشَى في جِفانِ المُحلِّقِ[2]

---

(١) تئق الاناء : امتلأ .
(٢) اشارة الى قول الاعشى :
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
(ديوان الاعشى ص ١٢٠) .

أَنِفْتُ على صحبي بمَدْحِي لكم وقَدْ
أنِفْتُ لهم عن مَدحِ كلِّ مرهَقِ

[١٣٠]

أتتني المعاني العُقمُ والكَلِمُ العلى
وجاشت بصدري فَيلَقاً بعد فيلَقِ

ففكَّرتُ وَهْناً أيّها أنا ناظِمٌ
وسامرتُها اختارُ منها وأنتقِي

أجانِبُ وَحْشِيّاً كثيفاً سماعُه
وأجنُبُ إنسِيّاً لَطيفَ الترَقّقِ

إذا ما مضى بيتٌ تَلاهُ نظيرُه
سَريعا وإن لم أَدْعُ آخرَ يَلْحَقِ

فلا الفِكْرُ مكدودٌ ولا الشعرُ غامِضٌ
ولكنّهُ كالبحرِ إن يطمُ يفْهَقِ

كأنّ القوافِي قد علِمنَ بمَن لَهُ
يُنَظِّمنَ فانثالَتْ ومَن يَقْوَ يَسْبِقِ

بَرَزْنَ لنا دُرّاً نثيراً وإنّما
يزَينُ اللآلي النظْمُ بَعْدَ التفرّقِ

أَجَدْتُ نظامَ الشعرِ حتى كأنّني
لجودته من بحرِ عِلمِكَ استقِي

وما جادَ هذا النُطقُ الا لأَنَّـهُ

تضمَّنَ أوصافَ الجَوادِ المُنطَقِ

وإني واهدائي لك النظمَ كالذي

يجيءُ برَشحٍ نحو ذا ماءِ مغرّقِ

بروعي أضحى روحُ قُدْسِكَ نافثا

وبالروح مني نحو علياكَ قد رقي

لحا اللهُ دهراً لم ينَلْ فيه فاضلٌ

من الخير الاّ فضلَ عيشٍ مُرمَّقِ

زمانٌ به يطفو الأسافلُ مثلما

به يرسُبُ الأَعلَونَ أهلُ التحقّقِ

وما زالَ دستُ المُلكِ نَحوكَ شيّقا

وتُكسَى مساوي كلِّ أنْوكِ مطبقِ

أمثلك تعْرَى من محاسنهِ العُلَى

وحقٌ له من يَعْدَمِ الكفو يسبِقِ

[١٣١]

أما انه لو كنتَ كاتبَ سرِّهِ

لأصبحَ ذا وشيٍ بديعٍ مُحقّقِ

وعبَّرَ عن فحواه أفصحُ عالمٍ

بموجزِ لفظٍ أو بمُسْهَبِ منطِقِ

تأخَّرتَ عن تَطلابِ ذاكَ تَقدُّما

سَعدتَ به إذ كانَ غيرُكَ قد شَقِي

وما العِزُّ إلاّ في الفراغِ عن الدُّنى

وما الذُّلُّ الا في التَّساوِي بأخرقِ

١٦٦

وقال رحمه الله : **الطويل**

وتفاحةٍ تحوي ثَلاثَ شمائِلٍ

أَتتنيَ من رِيمٍ بسهميه راشِقِ

فحُمرةُ خَدَّيهِ وخَمرةُ ريقهِ

ورائحةٌ كالمِسْكِ فاحَ لناشِقِ

بَدَتْ عَجَباً فيها احمرارٌ وصُفرةٌ

كخجلةِ مَعْشُوقٍ لنَظْرَةِ عاشِقِ

١٦٧

وقال(١) عفا الله عنه : **الطويل**

لَزِمتُ انفرادي إذ قَطَعْتُ العلائقا

وجالَسْتُ من ذاتي الصديقَ الموافقا

---

(١) ذكر بعضها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ج٧ ص٨٤ ، وقال وهو يتحدث عن الزمخشري : « وهذا الرجل وان اوتي من علم القرآن أوفر حظ ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ ، ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدة ٠ وكنت قريبا من تسطير هذه الاحرف قد نظمت قصيدا في شغل الانسان نفسه بكتاب الله واستطردت الى مدح كتاب الزمخشري فذكرت شيئا من محاسنه ، ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه ٠ ورأيت اثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابي هذا ويتنبه على ما تضمنه من القبائح ، فقلت بعدما مدحته به : ولكنه فيه مجال ٠٠٠ » ٠

وآنَسني فكري لبُعدي عن الورَى

فلست الى شيءٍ سوى العلمِ تائقا

أرى يقظتي تُبدي لطائفَ حكمةٍ

وفي هجعتي وهْناً أشيم البوارِقا

بوارقَ في صُحفٍ من العلمِ اجتلي

مُشاهَدةً منها المعاني الدقائقا

فاختالُ منها في رياضٍ أنيقةٍ

وأَقطفُ منها الزهرَ أنورَ فائقا

إذا أحجمَتْ أذهانُ قومٍ عن الذي

يُعاطَونَ كانَ الذهن لي فيه سابِقا

[١٣٢]

وإنْ يشربوا طرْقاً لتكدير ذهنِهم

شربتُ أنا صفواً الى العينِ رائقا

وأَنْقُدُ ما قد بهْرَجُوا من كلامهم

كأنَّ بذهني عندَ ذاكم ميالِقا[1]

ومن يُؤتَ فهماً في القُرآنِ فإنه

يفتحُ منه بالذكاءِ المغالِقا

(١) ولق : طعن بالرمح طعنا خفيفا ، أو أسرع في سير أو كلام .

وَيَنْشَقُ من ريّاه عَرفَ أزاهرٍ
ترَى الجوَّ منها حينَ تأرَج عابِقا
ويدرِكُ بالفكرِ المُصيبِ لطائفاً
ترَى اللفظَ للمعنَى بهِنَّ مطابِقا
ويزدادُ بالتَّكرار فيه لَذاذةً
كَما لُكْتَ مَعْسولاً من الحُلوِ صادِقا
مُجيري كتابُ الله يومي وإنَّهُ
هجيري إِذا ما الليلُ أظلَم غاسِقا[1]
كتابٌ بلِسْنِ العُربِ أوحاه جارياً
على نهجهم لم يَعدُ عنهم طرائِقا
ومن يجعلْ القرآنَ نَصْباً لعينه
ينَلْ خيرَ مأمولٍ ويأمنْ بوائقا
أرَى الناسَ أشتاتا فبَعضٌ مُعارِضٌ
لبَعض يخالُ الحقَّ في فيهِ ناطِقا
وما افترقوا إلاّ لعجزِ فُهومِهم
ولو أدركوا لم يُبصِروا فيه فارِقا
وإقليدُه حقاً هو النحوُ فاقصِدَنْ
لتحصيلهِ إن كُنتَ للعلمِ عاشقا

(١) الغاسق : الليل اذا اشتدت ظلمته ٠

على قدرِ تحصيلِ الفتى فيه فَهمُه
فأقلِلْ وأكثِرْ واصِلاً أو مُفارِقا

ودَع عنك تقليدَ الرجالِ فانما
يُقلِّدُهم من كان أنوكَ مائِقا

ولا تعدُ عن كَشّافِ شيخٍ زَمَخْشَرٍ
وكاشِفْ بِه باغي الكراماتِ خارِقا

[١٣٣]

فكم بكرِ معنىً عزَّ منها افتراعُها
لها ذهنُه الوقّادُ أصبحَ فاتِقا

كَساها من اللفظِ البديعِ ملابساً
فجرَتْ ذُيولاً للفَخارِ سوامِقا

لقد غاصَ في بحرٍ فأبدى جواهراً
ولولا اعتيادُ السَّبحِ قد كان غارِقا

وراضَ له في العلمِ نفساً نفيسةً
فقادَت لـه آبي المَقادةِ آبِقا

وكَشّفَ بالكشّافِ لا خابَ سعيُه
مُغَطّى خبيّاتٍ تَبدّتْ حقائقا

ولكنّه فيهِ مَجالٌ لناقدٍ
وزَلّاتُ سوءٍ قد أخَذْنَ المخانِقا[1]

---

(١) من هنا تبدأ الابيات التي ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٠

فيثبتُ موضوعَ الأحاديثِ جاهِلاً
ويعزُو الى المعصومِ ما ليس لائِقا

ويشتِمُ أعلامَ الائمةِ ضَلَّةً
ولاسيما أنْ أولجُوه المَضايقا

ويسهِبُ في المَعنى الوجيزِ دَلالةً
بتكثيرِ الفاظٍ تسمّى الشقاشِقا

يقولُ فيها اللهَ ما ليس قائلاً
وكانَ مُحبًّا في الخَطابةِ وامقا

ويخطيء في تركيبهِ لكلامهِ
فليسَ لما قد ركّبوه موافِقا

وينسُبُ إبداءَ المعاني لنفسه
ليُوهِمَ أغماراً وإن كان سارِقا[1]

ويخطيءُ في فهمِ القرانِ لأنّهُ
يُجوِّزُ إعرابا أبَى أن يطابِقا

وكم بين من يُؤتَى البيانَ سليقةً
وآخرَ عاناهُ فما هو لاحِقا

ويحتالُ للألفاظِ حتّى يُديرَها
لمذهبِ سوءٍ فيه أصبحَ مارِقا

[١٣٤]

---

(١) رجل غمر : لم يجرب الامور .

فيا خسْرَهُ شيخاً تَخرَّقَ صيتُهُ
مغاربَ تخريقَ الصَّبا ومشارقا[1]
لئِنْ لم تَدارَكْهُ من اللهِ رَحْمَةٌ
لسوف يُرَى للكافرين مُرافِقا

١٦٩

وقال عفا الله عنه :

البسيط

يا من يوالي علينا دائماً وَرَقا
هلا بعثتَ لنا في طيِّها وَرِقا[1]
إنْ كان أعجزَكم من فقرِكم وَرِقٌ
فليس تعجزُ ان تُهدي لنا وَرَقا
مَن كان في خدمةِ المَلْكِ الهُمامِ يكنْ
ذا هِمَّةٍ ويجدْ نحو النَّدَى طُرُقا
هذي ممازحةٌ ليست مُطالبةً
تُقضَى بِصفوِ ودادٍ لم يكن رَنِقا

١٦٨

وقال ايضا :

مجزوء الرجز

بَخِلتَ حتّى بالوَرَقْ على كئيبٍ ذي قَلَقْ

---

(١) تخرق : انتشر .
(١) الورق ـ بكسر الراء ـ الدراهم المضروبة ، وفي القرآن الكريم سورة الكهف الآية ١٩ : « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة » .

بأيٍّ شيءٍ جذتَ قد أمسكتَ لي بهِ الرَّمقْ
يا بدرَ تمٍّ قد بدا في جنحِ ليلٍ قد غسقْ
ويا غزالاً نافراً يسبي الاسودَ بالحدَقْ
ويا قضيباً مائساً قلبي به قد اعتلقْ
الطُفْ بمن يحلو له فيكَ العذابُ والارَقْ
كاتمِ سرٍّ لم يفهْ يوماً بكَمٍ ولا نطقْ

[١٣٥]

ما إنْ رأيْتُ عاشقاً مثلي في الحبِّ صدَقْ
جمعتَ ضِدَّينِ معاً ناراً وماءً قد دفَقْ
فالقلبُ مني في حرَقْ والعينُ مني في غرَقْ
ولي على ذا أزمنٌ سنونَ سبعٌ في نسَقْ
أقنعُ من حديثكم وأنْسِكُم بما اتَّفَقْ

١٧٠

وقال رحمه الله :

الطويل

سألْتُ سليلَ الجودِ أمْراً فما انْقَضَى
نهاري حتى صِرتُ في روضٍ جِلِّقِ
فأقْطِفُ من تفّاحِهِ وسفرجلٍ
جَنِيٍّ وكُمثرى لِعَيْني مونِقِ
كريمٌ متَى تسألْهُ شيئاً فإنَّهُ
يجودُ ويُعطي ما تشاءُ وينتقي

وَلو لم تَسلْهُ جادَ بَدْءاً فإنّما
مكارِمُهم خَلْقٌ بغيرِ تَخلّقِ
بنونَ لآباءٍ كِرامٍ وسادةٍ
مَدائحُهم تُروَى بغربٍ ومَشرِقِ
وإنّ جلالَ الدينِ قاضي قُضاتِنا
لخيرُ إمامٍ في الفضائلِ مُعرِقِ
يعلّمُ جُهالاً ببحثٍ مُدَقّقٍ
ويجمعُ أَمَالاً بجودٍ مفرّقِ
وكائِنْ لهُ عندي أيادِيَ جَمّةً
بغيرِ حُلاها الدّهرَ لم أتطرّقِ
وكم دولةٍ صاحبْتُها ناصريةٍ
وعاشرتُ جمعاً من رحيبٍ ومُرتَقِي
[١٣٦]
ولم يَسمحُوا يوماً بشيءٍ ولم أكُنْ
لأسألَ رِفداً من غَبيٍّ مُمَخْرَقِ
الى أنْ طَما البحرُ الخِضَمُّ فَعَمّنا
بتيّارِ جُودٍ منهُ في الفَضلِ مُغرِقِ
على بَهْجَةِ الأَيّامِ منهُ جَلالَةٌ
فلا زالَ في حِفْظٍ من اللهِ ما بَقِي

١٧١

وقال عفا الله عنه : البسيط

يا راقداً وتباشيرُ الصباحِ بدَت
عهدي بطَرْفِكَ لا يعدوه تأْرِيقُ
محا ظلامَ الدُجى نورُ الصباحِ وقد
جرَى بثغرِ الأقاحي للنَدى رِيقُ
فالمُزنُ تبكي وزَهْرُ الروضِ مُبتسِمٌ
والراحُ في نَشَتِها للروحِ تَطريقُ
والغُصْنُ نشوانُ تَثنيه وتَعْطِفُه
هبّاتُ مِسْكٍ لها في الجوِّ تَخريقُ
فاحلُلْ بِدَيرٍ به دار السرور على
خُمصانةٍ صانَها في الحِفظِ بِطْريقُ
قد كانَ بالجانبِ الغربيِّ نشْأَتُها
والآنَ قد هاجَه الشرقِ تَشْريقُ
مفارِقاً منه ظَبياً في كنيسَتِه
مُعرّضاً أن يَصيدَ الظبيَ سِرّيقُ
عُجماءُ يُفصِحُ بالروميِّ مَنطِقُها
شمّاءُ عِزٍّ نَماها الملكُ إفرِيقُ(١)
خطَّت يدُ الأمرِ في تكوين صورتِها
شكلاً بديعاً تناهَى فيه توريقُ

---

(١) كذا في الاصل .

مَـاءُ الشبيبةِ يَنـدَى من غضارَتِها
لولا التماسُكُ نالَ الجسـمَ تغريقُ

كأنَّ مَبسِمَهَا ميـمٌ وناظِـرَها
صادٌ عليهـا لنونِ الحُسنِ تعريقُ

[١٣٧]

والبَدْرُ من حَسَدٍ والظبيُ من كَمَـد
ذابـا فكلٌّ إلَيهـا منـهُ تَزريـقُ

فاشـربْ وهُنِّيتَ مِـنَ راح وريقَتِهـا
خمرَين دَنّاهمـا فوهْـا وابريـقُ

تنـالُ سُكرينِ من بَردِ الرُضابِ ومن
حَرِّ المُـدامِ فتبـريدٌ وتحـريقُ

واجمعْ لـذيذَ مَسرّاتٍ بِراهِبَـةٍ
جاءَتْكَ طوعا فَحُكْمُ الدّهـرِ تفـريقُ

١٧٢

وقال رحمه الله :

الطويل

إذا أنـا أُودِعْتُ التُـرابَ فلن تَـرَى
كمثليَ نحـويّاً أحـدَ وأحـذَقا

وأنْقَلَ أحْكاماً واكثـرَ شـاهِداً
والـزمَ تَنقـاداً وأحسـنَ مُنتَقَـى

وأَلخصَ لَفْظاً زالَ عنه فضولُه
وأغوصَ معنىً كانَ أعيى المُدقّقا

وأَنثَر للزُّهرِ اللآلي بلاغةً
وأَنظَم للزُّهرِ الدَّراري تأنّقا

مَضَى ليَ في التحصيلِ سبعون حِجّةً
نَهاراً ولَيلاً جامِعاً ما تفرّقا

فأَخرجْتُ بالبحرِ المحيطِ لآلئاً
نظمتُ به عقداً به الدهرُ طُوّقا

حشدتُ به أقوالَ كل مفَسِّرٍ
وأَخرجتُ من ذهنِي لنَقدِيَ مَيلقا(١)

سبرتُ به ما بَهرجُوا وانتقدتُه
والقيتُ ما قد كان زيغاً منمّقا

وأَخلصتُهُ صَفْواً صَحائفَ حِكمَةٍ
بها أُنْسُ مَنْ قد كانَ للحقِّ شَيّقا

وأنقَ ذا العقلِ السليمِ رآؤُه
ولولا انتقادِيهِ لما كان مُونِقا

[١٣٨]

ولا فَخْرَ بل لله حَمديَ دائماً
وشُكري على ما كانَ لي منه وَفّقا

---

(١) ولق : طعن بالرمح طعنا خفيفا ، او أسرع في سير او كلام .

ولما ذوى علمُ الكتابِ بعصرنا

تعهّدْتُهُ حتى لأصبحَ مورقا

وقد ماتَ أشياخُ الأُلى يقرؤونهُ

وخُلِّفْتُ فرداً كان لي بعدهم بقا

فاقرأتهُ للناسِ موضِحَ مشكِلٍ

وفاتحَ بابٍ منهُ قد كان مغلقا

تفرّدتُ في الدنيا باقرائِه فَمَن

يكُنْ يدّعي فيه فليس مُصدّقا

وجرّدتُ أحكامَ الكتابِ بلفظه

وترتيبه فالتاجَ بدّراً قد اشرقا[1]

فمن ينقلْ الأحكامَ منه كأنما

تُشافِهُهُ الأعرابُ معنىً ومَنطِقا

سقى اللهُ قبراً سيبويهِ ثوى به

مُلِثَّ الغوادي ريقاً ثم ريِّقا

وبوّأهُ دارَ المقامةِ في غدٍ

بما كانَ أسدى من علومٍ وحقّقا

وتعليقةُ الصفّارِ شرحاً يجِلُّ ما

لَه قد حوى لخّصْتُ تلخيصَ ذي انتقا[2]

---

(1) هو كتابه التجريد لاحكام سيبويه .

(2) هو كتابه الاسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار .

وسميته الاسفارَ مع طررٍ حوَت
مسائلَ ليستْ في سواهنَّ تلتقى

وأحييتُ تسهيلَ الفوائدِ إذ غدا
مَواتا طَريحا بين كُتبِ الورَى لقا[1]

وأوضحتُ منه مُشكلاً وانتقدتُه
وزدتُ فأضحى نيِّر الوجهِ مشرقا

على حينِ لم يَجسر على بحثه امرؤٌ
سواي ولم يقربْهُ غَرباً ومشرِقا[2]

به نُسختْ كُتْبُ النحاةِ وأُهملتْ
فلَسْتَ ترَى يوما عليهنَّ رَونَقا

[١٣٩]

لأظلَمَ ايضاحٌ وأقصَوا مُقرَّباً
كذا جُمَلٌ معْهُ المُفصَّلُ مزُقا[3]

وقانونُ عيسَى والفُصُولُ ونَظمُها
ونظمُ ابنُ مالٍ ما أردَ وأقلَقا[4]

---

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ، وقد شرحه أبو حيان ·
(٢) لان ابا حيان جسر الناس على قراءة مصنفات ابن مالك ورغبهم في قراءتها ولا سيما التسهيل ·
(٣) المقرب كتاب ابن عصفور المتوفى سنة ٦٩٣هـ أو ٦٩٩هـ ، ولابن حيان شرح عليه سماه « تقريب المقرب » ·
(٤) ابن مال : المقصود به ابن مالك صاحب الالفية ولابي حيان شرح لها ·

وكافيةُ ابنِ الحاجبِ احتجبَتْ فما
تُرَى وهي نَزْرٌ ما أقلَّ وأغلقا[1]

وأنْشَأْتُ للتسهيلِ شَرْحاً والارتشا
فَ نَشْأَ غريبَ الوضعِ بالعقلِ طُبِّقا[2]

ونَخَّلتُ من شرحِ ابنِ مالكٍ الذي
وقفنا له شرحاً لطيفا مُلفَّقا[3]

فكَمَّلْتُ بالتكميل ما كانَ ناقصاً
فغرَّب هذا الشرحُ عنّا وشرَّقا[4]

وتذكِرتي كم قَدْ حوَتْ مِن فضائلٍ
شواهدَ نحوٍ مع مسائلَ تُنتَقَى[5]

١٧٣

وقال رحمه الله :

الكامل

ولقد قنعتُ من المليحِ بأُنسِهِ
وحديثِهِ لا لَثْمِهِ وعناقِهِ

---

(١) ابن الحاجب هو عثمان بن عمر المتوفى سنة ٦٤٦هـ صاحب الكافية والشافية (بغية الوعاة ج٢ ص ١٣٤) .

(٢) اشارة الى كتابيه « التذييل والتكميل فى شرح التسهيل » و « ارتشاف الضرب من كلام العرب » .

(٣) لابي حيان كتاب « منهج السالك فى الكلام على الفية ابن مالك » .

(٤) لابي حيان كتاب « التكميل في شرح التسهيل » .

(٥) لابي حيان كتاب « التذكرة » .

إني إخاف ذِكرَ ما لا تشتهي
حَذَراً على قلبي أليمَ فراقِهِ

رَشأٌ له بينَ الجوانحِ مرتعٌ
قمرٌ يفوقُ البدرَ في آفاقِهِ

نَزْرُ الكلامِ حياؤه قد صانَهُ
وصلاحُهُ يحميهِ من عشّاقِهِ

حلوٌ بديعُ الحُسْنِ مَعْ خُلُقٍ رَضِي
ومكارمٍ دلّت على أعراقِهِ

عيني وقلبي قُيِّدا بجمالِهِ
... ...[1]

فالعينُ تستجليه نوراً ساطعاً
والنفسُ تستحليهِ في أخلاقِهِ

[١٤٠]

١٧٤

وقال رحمه الله :

البسيط

قد فاحَ منها أريجُ المسكِ للناشقْ
وفوّقتْ عينُها سهماً لنا راشقْ

يا وَيْحَ صَبٍّ بعيدِ المُلتَقَى عاشقْ
كأنّما قلبُه في مِخْلَبِ الباشقْ

---

(١) كذا في الاصل .

١٧٥

وقال رحمه الله يرثي صدقة الطيبي(١) . ودفن يوم الثلاثاء الرابع عشر لشعبان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة :

المنسرح

ذابَ قلبي لحادثٍ طَرَقَهْ
حين قالوا ماتَ الفتى صدقه

وجَرَتْ مُقلتي عليه دَماً
فهيَ صارت في دمعِها غَرِقه

لهفَ نفسي عليه من رجلٍ
كأنَّ ربّي من فِطنةٍ خَلَقَه

ذو ذُكاءٍ يحكي ذُكاءَ سَناً
وحياءٍ منه ندَى حَدَقه

واعتناءٍ بالنحو مشتغلٌ
لخفاياه في النُقُول ثِقَه

حين زانَ العذارُ وجنتَهُ
وكَساها رَيحانةً ورَقه

وبدا بين صحبه قمراً
وأَضاءَتْ انوارُه أُفُقَه

وغدا بين أهله علَما
شرَّفَ اللهُ باسمِهِ فِرَقَه

---

(١) في بغية الوعاة ج١ ص ٥٢٢ ترجمة للحسن بن محمد الطيبي المتوفى يوم الثلاثاء ثالث عشر من شعبان سنة ٧٤٣هـ .

جا اليه من ربّه قدَرٌ
وسقاه حِمامَهُ رَنِقه

أنا مَعْ صاحبيه في ألمٍ
وأسىً والقلوب محترِقه

صاحَبوني ثلاثةٌ نَسَقاً
في اجتهادٍ سنينَ مُتَّسِقَه

[١٤١]

في كتابِ التسهيلِ بحثُهمُ
أيُّ بحثٍ فيهِ غدَوا طبَقَه

فمَضَى واحدٌ لطيَّتِه
كان في الخيرِ سالِكاً طرُقَه

لم يؤخَّر عن هالكٍ أجَلٌ
إنَّ ذا عمرهُ الذي رُزِقَه

ان يكنْ جسمُهُ ثوَى جدَثاً
فالى عَدْنٍ رُوحُه سبَقَه

في نعيمٍ وفي مقَرٍّ علىً
بين حورٍ لهنَّ فيه مِقَه

قدَّسَ اللهُ سرَّ تُربَتِه
وسَقاهُ من سُحبِهِ غدَقَه

قافية الكاف

١٧٦

قال عفا الله عنه :

الطويل

ولمـا رأَوا حُسنـاً يفوقُ تخيَّلوا
سَـفاهاً بأنَّ الشمسَ في الحسنِ تَحكيكِ
وشكُّوا أأَنتِ الشمسُ أم هِيْ وشكَّكُوا
وما واجـدٌ للعَقْـلِ يفضي بتَشكيكِ
وإنَّ جمـالاً قـد تنظَّمَ عِقدُهُ
بجيدكِ يـوماً لا يُرامُ بتفكيكِ
فلا تحسَبي شمسَ الضُحـاءِ إذا بَدَتْ
تُعـارِضُ في حسـنٍ وإن هي تنكيـكِ
ولكنَّها من فَرطِ حُبِّكِ لو رأَتْ
لوجهِكِ بُعداً ظلَّتِ الدَّهـرَ تبكيكِ

١٧٧

وقال عفا الله عنه :

الطويل

أَهـذا نسـيمٌ قـد تَهادَى من الَّتي
سَبَتْ مُهجتي بالنَّاعِسِ النَّاغِشِ النَّزْكِ (١)

[١٤٢]

---

(١) نغش : تحرك . النزك : الطعن بالنيزك ، والنيزك ـ بفتح الزاي ـ الرمح الصغير ، وقيل هو أقصر من الرمح .

فإنْ لا فما بالُ النَّواحي تَضَمَّخَتْ
عَبيراً وجو الأُفقِ يأرَجْ بالمِسكِ

١٧٨

وقال ايضا :

مجزوء الخفيف

شمسُ حسْنٍ قد اَطْلَعَتَ قمراً لاحَ في الفلكْ
ليسَ للأُنسِ ينتمي بل له صورةُ الملك
ما ترَى نورَ وجههِ ساطعاً قد جلا الحلك
كلُّ قلبٍ لحسْنهِ في هواه قد انسلك
ملَكَ الناسَ كُلَّهم وسبَا قلبَ من ملك
وأبُوه هوَ الذي طرُقَ الخيرِ قد سلك
يا فريداً محمدٌ مشبهٌ في الجمالِ لك
دَلّلَنْهُ وكنْ لهُ مثلَ من كانَ دلّلك
واحفظَنْهُ وربِّه فهوَ بالشبْهِ جمّلك

١٧٩

وقال عفا الله عنه :

السريع

قُلْ للّذي أهوَى على هجره
لم يخلُ قلبي ساعةً من هَواكْ
قد نُقِشَتْ في مُهجتي صورةٌ
صورةُ حسنٍ منك لا مِن سِواكْ

فإن توافقْ مُقلَتي مُهجتي

في الرؤيةِ إستراحتا مِن نَواك

[١٤٣]

يا مالكي ماذا التنائي ومَن

هذا الذي عن زَورَتي قد لواك

زواكَ عنّي شُغْلٌ شاغِلٌ

وقد تَفَطَّنْتُ لما قد زَواك

شُغِلْتَ بالظبي الغريرِ الذي

جاوَرْتَه فحُسْنُه قد حواك

أضرمَ في قلبك نارَ الهوى

عينٌ له لخصاءُ أبدَتْ جَواك

وقد سَرى من سُقْمِ أجفانِه

اليكَ سُقْمٌ عزَّ منه دَواك

وقد كَوَت قلبي نارُ الهوى

منك فذُقْ ناراً بها قد كَواك

يا دائمَ الهجْرِ ألا علّلَنْ

صَباً بأنْ تَهدي اليه سِواك

عودَ أراكٍ وهو فألٌ بأن

أراكَ لي مواصلاً في هَواك

ويا سلْوَ القلبِ عن حبّه

إذهَبْ فقلبي دهرَهُ ما نَواك

ويا فؤادي لا تني هائما

في حبه حتى تلاقي ثواك

عَذَّبتَ بالحبِّ فصارَ الهوى

قُوتَك حتّى لا تبالي طواك

وقد طَويتَ الحبَّ لم يَدْرِهِ

غيرُ الذي في حبه قد طواك

طُويتَ يا جسمي نُحولاً فقد

صِرْتَ خَيالاً لا تُرَى من ضواك

لا تَشتكي الضَّعفَ فإني امرؤٌ

أدريك جَلْداً وشديداً قُواك

ويا حديثي باسْمِ حُبّي فلا

كنْتَ ولا كان الذي قد رَواك

[١٤٤]

قافية اللام

١٨٠

قال عفا الله عنه :

الوافر

وعيَّنَني الوجودُ لكلِّ فَضْلٍ
أَقَرَّ به المُعادِي والمُوالي

فَلَسْتُ بعاتِبٍ أبناءَ دَهرِي
ولستُ بماقتٍ جَورَ الليالي

كَفاني رُتبةً أَن صرتُ فَرداً
فمالي في المعالي من مِثالِ

إِذا ما لُحتُ في أُفُقٍ لِناسٍ
أشارُوا بالأَصابعِ كالهِلالِ

إِذا قالوا : أبو حيان هَشَّتْ
الى رؤيايَ افرادُ الرِّجالِ

ووَدُّوا لو أكونُ لهم نَجِيّاً
ليحْظَوا بالمعاني والمعالي

أُحلُّ لهم غوامِضَ مُشكِلاتٍ
إِذا الأَفهامُ صارَت في عِقالِ

وأُفْصِحُ عن معانٍ غامِضاتٍ
إِذا خَرِسَ الفَصيحُ لدَى المَقالِ

وكانَ الدهرُ عُطْلاً من إمامٍ
فاضْحى جيدُهُ بي وهو حالِ
سلكْتُ طريقةً في الشَرعِ كانَتْ
طريقَ الناسِ في الحِقَبِ الخوالي
وفارَقْتُ التَعصُّبَ في أمورٍ
فادركْتُ القَصِيَّ من المَنالِ
وما أبناءُ دهري يعرفوني
وهل للنَّقصِ علمٌ بالكمالِ
رأَوا شبحاً يُشاكِلُهم فقاسوا
بأني مِثْلُهُمْ والفرق عالِ

[١٤٥]

ولو كانَ القياسُ يُفيدُ شيئاً
لكانَ الصخرُ من ضرْبِ اللآلي
أقَمْتُ بِمِصرِهم عشرين حَولاً
وخَمساً مُمْلِياً غُرَرَ الآمالي
فما دَنَسْتُ آمالي بمالٍ
لهم يوماً ولا عَلِموا بحالي
سَجِيَّةُ زاهدٍ فيما لَدَيْهم
غَنِيٍّ بالعِلم عن خَوَلٍ ومالِ

١٨١

وقال عفا الله عنه :

الطويل

وعاش بدعوى العِلْمِ ناسٌ وما لهم
من العلم حظٌ لا بعقْلٍ ولا نقلِ

فيا عجباً للحَبْرِ يحرم رزقه
بعلم وللأغمار ترزق بالجهلِ

١٨٢

وقال سامحه الله :

البسيط

مُسْوَدُّ فَوْدِكَ بالمبيضّ مشتعلِ
وانتَ بالهَزْلِ وقْتَ الجدّ مُشتغلُ

أما اتّعظتَ بفِعلٍ كله خطأٌ
ألا امتعَظْتَ لقولٍ كلّه خطلُ

ناهَزْتَ ستّين عاماً ما انتهزت الى
رُجعاكَ من فُرصةٍ يُمحى بها الزللُ

زلّتْ بكَ القدمُ الخُسْرَى وزالَ بها
عن الهُدَى قدم بالضدّ يتّصلُ

فانتَ تُسرعُ قُدماً في الضّلال وما
يرُدُّكَ الوازعانِ الخوفُ والخجلُ

قَسَتْ قلوبٌ فلا ذِكرَى تُلَيّنُها
جَفّتْ جفونٌ فما للحزنِ تنهملُ

إنَّ السلامةَ في تركِ الأنامِ همُ
كالسُّمِّ كلَّ أديمٍ حلَّ ينتغلُ (١)

[١٤٦]

يَصِحُّ دينُكَ إذْ ما كُنْتَ منفرداً
عنهم وإن ترَهُم دبَّت له العِلَلُ

وا رحمتا لفؤادي كم أعنّفُه
فليس يردعُه قولٌ ولا عمَلُ

مرّتْ عليه دهورٌ لا يصيخُ الى
داعي الهُدَى وله نحوَ الصِّبا ميَلُ

١٨٣

وقال عفا الله عنه :

الطويل

وعلّقتُه ما اسودَّ منه سوى المُقَلْ
ووافرِ ديجورٍ على الرِّدفِ قد أطَلْ

بقدٍّ كأنَّ الخوط عاطاهُ لينَهُ
ووجهٍ كأنَّ البدرَ فيه قد اكتمَلْ (٢)

أقَمنا زمانا وَصْلُنا لمحُ ناظرٍ
وجلسةُ أُنسٍ تهزمُ القلبَ بالشّغَلْ

---

(١) نغل الاديم : فسد .
(٢) الخوط : الغصن الناعم .

فلا جرأة منّي فاهجم لاثماً

ولا رحمة منه فيرحم من قتل

ولمّا تصاونّا حياءً وحشمةً

وتقت الى التقبيل أوسعت في الحيل

وضعت على عينيه منّي أناملاً

وغمّضت من عينيَ فانساعت القبل

رشفت رضاباً نفحة المسك دونه

كأنّ به الصهباء شجّ بها العسل

وصرت متى ألثمه اصنعْ به كذا

فيا لك منها حيلة تبلغ الأمل

وطال بنا هذا فزال حياؤها

وصرنا لأمر لا حياء ولا خجل

فعانقت من عطفيه دعصا وخوطةً

وذبّلت من خدّيه ورداً وما ذبل

فطوّقت جيدينا بحيّة شعره

إذا ما سعت للمتن دبت الى الكفل

[١٤٧]

تجنّبت ما يختار منه ذوو الخنا

قبيح فعالٍ يوجب المقت والزلل

فلم أرَ مِثلي عاشِقاً ذا صبابةٍ
تمكَّنَ مما يشتهيهِ وما فعل

١٨٤

وقال رحمه الله :

الطويل

وللنفسِ آمالٌ فان ظَفِرَتْ بما
تؤمّلُ يوماً أنشأَتْ بعدُ امالا

تُسَرُّ بشيءٍ إن تَنَلْهُ بمنقضٍ
وإن لا تنَلْهُ صارَ حُزناً وأوجالا

وتجمع مالاً للذي هو وارثٌ
فلا أحرَزَتْ أَجْراً ولا نعِمت بالا

١٨٥

وقال رحمه الله يصف الفيل :

الطويل

وأدكنَ مثل الطَّوْدِ امّا سَراتُهُ
ففَيحاءُ يعلوها عديدٌ من الرجلِ

له جُثّةٌ عُظمَى كأنَّ إهابَهُ
صفيحُ حديدٍ لا يُخرَّقُ بالنَّبلِ

لموحٌ بلخصاوَيْنِ كالنار اشعلت
يرَى بهما ما كان أخفَى من النملِ

ويردى على غلبٍ غلاظٍ كأنّها
عوامدُ صخرٍ قد غنينَ عن النقلِ
إذا هزّ ما بالأرضِ مادتْ بأهلها
كأنّ بها الزلزالَ من وطأةِ الثقلِ
سفينةُ برٍّ قلعها أذنٌ له
تراوحُ جنبيهِ فيمشي على رسلِ
وخرطومهُ قد قامَ فيما يرومهُ
مقامَ يدٍ في الأخذِ والرمْيِ والأكلِ
عجبتُ له من جلدةٍ لانَ مسُّها
ويَقْوى على قلعِ العظيمِ من النخلِ
[١٤٨]
ويملؤه ماءً ينخُّ به الورى
كأنّهمُ قد رشّهمُ منه بالعطلِ
ويلعبُ بالأسيافِ حتّى كأنها
مخاريقُ بالأيدي تخفُّ فتستعلي
إذا ما رأى السلطانَ قدْ خرَّ باركاً
له خدمةً غرزاً بأنيابهِ العُصْلِ
ذكيٌّ أخو فهمٍ على عظمِ جسمه
يكادُ يباري في الذكاءِ ذوي العقلِ

فلو صحّ قولٌ بالتناسُخِ قُلتُ قد
سَرَتْ روحُ أرسطاطو لجُثمانِهِ العَبْلِ
غريبُ بلادٍ قد تأنّسَ بعد ما
توحّشَ دهراً في يبابٍ وفي أهلِ
تعالى الذي أنْشاهُ شكلَ بعوضةٍ
فلا فَرْقَ إلا بالتكثُّرِ والقِلّ

١٨٦

وقال :

الطويل

ألا أسمَعْ أخي واحفَظْهُ إنْ كنتَ ذا عقلِ
كلامَ نصيحٍ فاهَ بالجدِّ لا الهزلِ
عليكَ كتابُ اللهِ والسُّنَنَ التي
تناولَها أهلُ العدالةِ في النَّقْلِ
وقُلْ : إنَّ اصحابَ الرسولِ همُ الأُلى
بهم يُقتدَى في الدينِ بالقولِ والفعلِ
هم خيْرُ خلْقِ اللهِ بعد نبيِّهم
فليس لهم في السَّبقِ والفَضلِ من مِثْلِ
وهم آمَنوا باللهِ بَدءاً وجاهَدوا
فأفْنَوا قبيلَ الكُفْرِ بالسَّبي والقتلِ
وهم نقلوا علمَ الشريعةِ للّذي
أتى بعدَهم نقلاً بريئاً من الخَبْلِ

فما يكُ من خَيْرٍ لمن جاءَ بعدهم

فهم لهُمُ حظٌ من الأجرِ والفَضْلِ

[١٤٩]

وأخبارُهم منَقولةٌ بتواتُرٍ

وآحادِ النقلَ الذي صحَّ في العقْلِ

فما مِنهمْ مَن طارَ يوما ولا مَشَى

على الماءِ لا يندَى له أَخْمَصُ الرِّجلِ

ولا مُخبرٌ بالغَيْبِ لا ومَصيِّرٌ

دقيقَ حُوارَى من تُرابٍ ومن رملِ

ولا مَن دَنا نحو السماءِ بطرَفْه

لمُزْنٍ فجادت بالوَكيفِ لدَى المَحْلِ

ولا منفِقٌ بالغيبِ بيضَ دَراهمٍ

بلا ضربِ ضرّابٍ ولا معدِنٍ أصلي

ولا خاطفٌ من الهواءِ فَواكِهاً

فوَردٌ بلا شوكٍ وتمرٌ بلا نَخْلِ

دَعَوا مُعجزاتِ الانبياءِ كرامةً

لهُم وادَّعَوْها حَذْوكَ النعلَ بالنعلِ

ينالُون صيتاً في الورَى ورِياسَةً

عليهم وأموالا تُجَمَّعُ بالمِثْلِ

وزادُوا على هـذا مُحالاً وأسندوا
لأنفسِهم ما لم يكن قطّ للرّسلِ
فمنْ ذا كأنَّ الشخصَ في الآنِ واحداً
يحلِ جهاتٍ من علوٍّ ومن سِفْلِ
يحدّثُ ذا في مِصرَ وهو مُحدّثٌ
لآخرَ في شامٍ وآخرَ في حقّلِ[1]
ويَغطِسُ في نهرٍ لغسلٍ فيلتقي
مدائنَ أقوامٍ على الحزْنِ والسّهلِ
وينكِحُ بِكراً فيهم وَلَدتْ لـهُ
بنين فأضحى في بَنِيْنَ وفي أهلِ
مُقيماً لديهم في سِنينَ مُمتّعاً
بأبنائه والعِرسُ مجتمع الشّملِ
فيخرُجُ من ذا النهرِ يُلقي ثيابَهُ
على حافةِ النهرِ الذي جاءَ للغسلِ

[١٥٠]

وذا كلُّه قد كان في بعضِ ساعةٍ
غِطاسٌ وتزويجٌ وردٌ بلا نسلِ
يسمّونَهُ طيَّ الزمانِ .... كما
يكونُ لهم طيُّ المكانِ بلا فصْلِ[2]

(١) حقل : اسم مواقع كثيرة ذكرها ياقوت في معجم البلدان .
(٢) كذا في الاصل .

ويمشي الى الأَجْداثِ يُخبِرُ بالذي
يكونُ بها بالاسم والوَصفِ والشَّكلِ

ويأتي رسولُ اللهِ مِلْقَبرِ يَقظَةً
اليه فيُثنَى بالمعارِفِ والفَضْلِ

ويَسري اليه السِرُّ من قبرِ شَيْخِه
فتضطربُ الأَسرارُ في قلبهِ تَغلِي

ويقرأ في آنٍ لــه أَلْفَ خَتمةٍ
تُرتِّلُها حرفاً فحَرْفاً على مَهْلِ

ويجعلُ في الاءبريقِ ماءً لشُربه
إِذا هو زَيتٌ للسِّراجِ وللأَكلِ

تدورُ رَحاهُ إِن يُرِدْ طحنَ بُرِّهِ
بغيرِ مُديرٍ لا حمارٍ ولا بغلِ

وأعمَى يرَى الافلاكَ في يقظةٍ له
مُعاينة اجناسها ابداً يُملي

فهذي رَصاصٌ ذي نُحاس وهذه
لُجينٌ وهذي عَسجدٌ نادرُ المِثلِ

وذي جوهرٌ هذي زُمُرُّدَةٌ وها
ذِ ياقوتةٌ من نُورها الشمسُ تَستَجلي

وفي الأَقصرِ المِعراجُ مِعراجُ يوسُفٍ
فيصعدُ للسَّبعِ الطِّباقِ ويَستَخلِي

وليس بمحتاج لجبريل لا ولا
براق ولكن رمية القوس بالنبل

يقيم بها النسوان والمرد أزمناً
غناء ورقص في شراب وفي أكل

ومكشوف جحر لا يصلي واخر
على السطح باد أيره كاد أن يدلي

[١٥١]

يزورهما أهل النهى حسبوهما
وليين فاختصوهما أحسن الفعل

ولما قضى مكشوف جحر سعى إلى
جنازته مشياً ذوو العقد والحل

على النعش يرمون المناديل ماسحي
وجوه بها شاهت وجوه ذوي الجهل

ولما قضى ذو السطح قام مشايخ
بدعوته فوق السطوح فيستعلي

وغيداء مثل البدر تبدي ديانة
وأنى يرى دين لمشقوقة القبل

فيصبغ بالحناء جبريل كفها
فيصبح منها البيت ملآن بالرجل

يزورُونَها فَوجاً ففوجا وكفُها
من الجسِّ والتقبيلِ في أعظمِ السَّفلِ
أفاضوا عليها المالَ سَكباً فاصبحت
تَحِنُّ الى خِدْنٍ وترنو الى خِلٍّ
وفرَّت فلا يدرونَ أينَ توجهت
فِرار غزالٍ خافَ من ورْطَةِ الحبْلِ
فيا لكَ من ذي خِصيةٍ قد تلعَّبت
به ذاتُ شفرين استفزَّتْ أخا جهلِ
وكم لَعِبَت بالقومِ في مَشرَعِ الهوَى
ذواتُ الخدودِ الحُمْرِ والأَعينِ النُجلِ
طَغامٌ رُعاعٌ تابَعوا كلَّ ناعِقٍ
جُسُومٌ بلا حِسٍّ قلوبٌ بلا عَقلِ

١٨٧

وقال غفر الله له :

البسيط

وكاتبٍ شاعرٍ أبدَى بمُهرقَه
نظماً وشعراً به بانَت فضائلُه
أوَدُّ لثمَ فمٍ بالدُرِّ منطقُه
ولثمِ كفٍّ ندٍ بالدُرِّ نائلُه

[١٥٢]

لمّا أبَى ساخري من قُلةٍ لَهُما

قبّلَتُ ما سطّرت فيه أناملُهُ

فصارَ بين فمي وبينَ مَبْسِمِهِ

طرسٌ كفاني من المحبوبِ واصِلُهُ

أمّا أنا فَسَقيمُ الجسمِ ناحلُهُ

ومَنْ اكتّم قاسي القلبِ باخِلُهُ

بدرٌ على غُصُنٍ ، غُصنٌ على كُثُبٍ

السحرُ كاحِلُهُ والحسنُ شامِلُهُ

اني لِقبحِ مقال انت تعرِفُهُ

هجرتني وجرَى بالهجرِ قائِلُهُ

أصفَرُ من فرَق ، يَربدُ من حَنَقٍ

كأنما نحنُ مقتولٌ وقاتِلُهُ

يخافُ منّي افتضاحاً في محبّتِهِ

والزينُ يأنَفُ من شَينٍ يُداخِلُهُ

وما دَرَتْ شَفتي حبي فتذكره

حتى كأني بمَنْ أهواهُ جاهِلُهُ

١٨٨

وقال عفا الله عنه :

البسيط

لاحَتْ لنا ولَها في ساقِها خَلْخالْ

وقد تزيَّنَ منها خدُّها بالخالْ (١)

لما ظَفِرْتُ بها في منزلٍ لي خالْ

قلتُ : ارحمي مُدْنَفاً قالت نَعَمْ ياخالْ (٢)

وأسفَرَتْ عن مُحَيَّاً من رآه خالْ

بدراً بدا ونَضَتْ عنها بُرودَ الخالْ (٣)

كأنها غُصُنٌ بالروضِ من ذي خالْ

ولا تسَلْ ما جَرَى من ناهدٍ مِبْخالْ (٤)

١٨٩

وقال رحمه الله :

الطويل

يقولُ غبي لي صديقٌ ذَخَرْتُهُ

لخَطبٍ مُعينٌ لي ولو بمقالِهِ

[١٥٣]

ولم يعلم المسكينُ أنَّ صديقَهُ

عدوٌّ مبينٌ زائدٌ في نكالِهِ

---

(١) الخال : شامة سوداء في البدن ٠

(٢) الخال الاولى : الخالي ، والثانية الخال أخو الام ٠

(٣) اخال الاولى : ظن ، والثانية نوع من البرود ٠

(٤) خال : اسم موضع ٠ وذات الخال : اسم موضع ايضا ٠ (معجم البلدان) ٠ وفي لسان العرب « خيل » أبيات جمعت معاني الخال ٠

١٩٠

وقال غفر الله له :

الطويل

أرى كلَّ ذي فقرٍ حقيرٍ اذا اقتنى
تعاظمَ بالملبوسِ مع فارهِ البغلِ
يرى أنه قد جلَّ في أعينِ الورى
وما هو الا البغلُ قد جلَّ بالجلِّ

١٩١

وقال ايضا :

البسيط

يا ويحَ روحي لكم عاصيتُ عذّالا
حتى جررْتُ الى الآثامِ أذيالا
أيامَ أصبُو الى هصْرِ القدودِ وتفـ
ريكِ النّهودِ ونَضوِ الرّودِ مفْضالا
والدهرُ في غفَلاتٍ من تواصُلِنا
قد غضَّ طرْفاً ولم يجْعلْ لنا بالا
أوْقاتُنا ذهبياتٌ نُسَرُّ بها
كأنما أنشأت في الدهرِ آصالا
وبي من التُركِ مَنْ لو كنتُ اذكُرُه
لأصبحَ الدهرُ من ذِكراهُ مختالا
تَظلُّ شمسُ الضُحَى خجلَى إذا بصُرَت
بهِ ويسجُدُ بدرُ الأُفْقِ إجلالا

للحسنِ جنسٌ ونوعٌ كانَ قد حَصِرا

في شخصهِ إذ لهُ لم تُلفَ أمثالا

يديرُ لخصاءَ فيها سكرٌ من رمقت

كأنَّ في اللحظِ نبّاذاً ونبّالا

ويَنْثَنِي خُوطَ بانٍ فوقَ حِقفِ نقاً

كأنَّ في الخَصرِ أرماحاً وأرمالا

قد كانَ هذا وريعانُ الشبابِ لنا

غضٌّ وطَرفُ الصِّبا في حلبةٍ جالا

[١٥٤]

والآنَ أحدثَ شيبي فيَّ ضَعفَ قوًى

وأورَثَ القَلْبَ أوجاعاً وأوجالا

وصارَ مَتْنِي وصارَمْتُ الغوانيَ لا

يجفلنَ بي كلّها في ودِّهِ حالا

وتُبتُ للهِ أرجُو منهُ مَغْفِرَةً

ورحمةً تُوسعُ المسكينَ أفضالا

فالحمدُ للهِ إذْ لم يأتِني أجَلي

حتى اكتسيتُ من الطاعاتِ سِربالا

وقال عفا الله عنه :

١٩٢

الكامل

وصبيٍّ جَمَالٍ كَلِفتُ بِحُبِّهِ
مَنَحَ الجَمالَ مَلاحةً وجَمالا
يقتادُ أبْعُرَهُ لـه بازِمَّةٍ
غُصنٌ يجرُّ بالجِبالِ جِبالا
ويطيعُهُ مع غِلظةٍ في طبعِها
اتَرَى الجَمالَ يُلَطِّفُ الاَجمالا
فاذا امتطى جَمَلاً تسنَّمَ رَبوةً
قد حُمِّلَت من رِدفِهِ أثقالا
في خدِّهِ جمرٌ وفي لفظاتِه
جمرٌ يُلَذِّ فُكاهَةً ومَقالا
واذا يناغِي تِرْبَهُ فكأنما
نغمُ البلابُلِ هَيَّجَتْ بلْبالا
يا حُسْنَهُ شَعْثاً كأنْ حلقاتُهُ
قِطَعُ الغَمامِ تكنَّفَتْهُ هِلالا

١٩٣

وقال رحمة الله عليه :

الخفيف

إنَّ للنَّفْسِ في الكَرى أمْجالا
نشأةُ القادِرِ الحكيمِ تعالى

هي نَفْسٌ إظْلامُهـا مستمرٌ
وهـي روحٌ أَنْـوارُه تتَـلالا

[١٥٥]

فَهُما واحدٌ هما اثنانِ بالوَصْـ
فِ نسـاءٌ في هيكَـلٍ ورِجـالا

أَوْدَعَ اللهُ قُـوَّةَ العَقْـلِ فيها
فهي في النـومِ تُبصِـرُ الأشكالا

بينمـا المـرءُ نائمـاً في مقـرٍ
جابت الأرضَ سَهلَها والجِبـالا

بـين رؤيـا تجيءُ مثـلَ سَـنا الصُبْـحِ
ورؤيـا أُخـرى تجـيءُ خيَـالا

فهـي تَسـري ما بينَ عُلوٍ وسِفلٍ
وهي في الدَّنِّ لا تـرومُ إنتقـالا

واصلَت دنَّهـا زمانـاً فلمـا
فارقتْـهُ كُرهـاً أبَت إتِّصـالا

وهيَ أضحت الى البَقـاءِ تسامَت
وهوَ أمسَى الى الترابِ اسـتحالا

سـيعيدُ الالـه نَفْسـاً لجسـمٍ
عاجلاً بـين ذا وتلكَ إتصـالا

وادّعى الفيلسوفُ وهو كَذوبٌ
أنَّ عَودَ الجسومِ صارَ مُحالا
وسَواءٌ إعادةٌ وابتداءٌ
عند ربّي والعَودُ أهونُ حالا
كلُّ ما شاءَه إلهُ البَرايا
كونَهُ فهو كائنٌ لا مَحالا
واختلافُ الأنامِ في النفسِ جَهلٌ
لا يزيدُ البحّاثَ إلاّ ضَلالا
هي خَلْقٌ وليس يعلمُ خَلقٌ
كُنْهَها إنّها عجيبٌ فعالا
وادّعى علمَه بها فلسفيٌ
بكلامٍ قد أوهمَ الجُهّالا
وادّعى أنّها قديمةُ ذاتٍ
قِدَمَ الربِّ جَلَّ ربي جَلالا
[١٥٦]

١٩٤

وكتب الى الشيخ رحمه الله بعض تلاميذه :

الوافر

أيا شَيْخَ الوُجودِ ولا أحاشِي
ويا فردَ الدهورِ ولا أبالي

ويا مَنْ فَضْلُهُ يُرْدِي ويَروي
فتكتسب الأماني والآمالي
ويا من سهَّلَ التسهيلَ حتّى
أنارت منه لألاءَ اللآلي
بعثتُ اليكَ شيئاً مثلَ قدرِي
فقدركُ جلَّ عن إهداءِ مالِ
به أرسلتُ حين شكوتُ وَجْداً
بمن يجفوكَ حتى في الخيالِ
ولم أبْعثْ به إلا لتغنَى
بوصلِ الحُلوِ عن حُلوِ الوِصالِ

فاجابه الشيخ رحمه الله بقوله :

الوافر

أمالِكَ مُهجتي كمْ ذا تُوالي
عوارِفَ قد أتينَ على التَّوالي
بَقِيْتُ أغضُّ من طرفي حياءً
لما اسْدَيْتَ من كَرَمِ الخِلالِ
لقد شرَّفْتَ بالتقريظِ وضعي
وقد شنَّفْتَ سَمعِي باللآلي
فما أبْقيتَ من معنىً غريبٍ
توشّيهِ بلفظٍ منكَ حالي

تَرَى عشِقَتكَ أَبْكارُ المعاني

فجئْنَكَ يبتدِرْنَ بلا سؤالِ

جديرٌ أن يَزُرْنَك رافلاتٍ

عَرائسُ قد بَرَزْنَ من الحجالِ

لتكسوها محاسِنَ من علاكم

وتمنَحَنا المفاخرَ والمَعالي

[١٥٧]

حبيبَ القلبِ وُدّي من قديمٍ

صحيحٌ لا تغيِّرُهُ الليالي

وليلي مَعْ نَهاري في سُهادٍ

فليسَ النومُ يَخطرُ لي ببالي

وصورَتُك الجميلةُ نُصْبَ عيني

فلَسْتُ بطالبٍ زَورَ الخيالِ

لقد أَلْغَزْتُ في نظمي بسِرٍّ

تحارُ بفكّهِ فُصحُ الرِّجالِ

ومبتدَئي لــه خبرٌ غريبٌ

ومنفصلٌ شبيهٌ باتّصالِ

١٩٥

وقال رحمه الله تعالى :

الطويل

إِذا استَتْبَعَتْ نفسُ امرِيءٍ نفسَ غيرِه
فتلك لها عزٌ وهـذِي لها ذُلُّ

كَفَىٰ بكَ نقصاً أنَّ غَيرَكَ حاكِمٌ
عليكَ فلا عَقْدٌ إليك ولا حَلُّ

١٩٦

وقال(١) رحمه الله تعالى :

الوافر

حلبتُ الدهرَ أشطُرَهُ زمانا
واغناني العِيانُ عن السؤالِ

فما ابصرتُ من خِلٍّ وفيٍّ
ولا ألفيْتُ مشكُورَ الخِلالِ

ذئابٌ في ثيابٍ قد تبدَّتْ
لِرائيها بأشكالِ الرِّجالِ

ومن يكُ يدَّعِي منهم صَلاحا
فزِنديقٌ تَغَلْغَلَ في الضَّلالِ

---

(١) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٣ وقال : تعليقا على البيت الاخير : « أي اعتقد راى القرامطة ، ومذهبهم مشهور فلا نطيل به . فظهر بما ذكر أن أبا حيان انما ينكر على أهل الدعاوى لا على غيرهم ، والله تعالى أعلم » .

تَرَى الجُهّالَ تتبَعُهُ وترضَى
مُشارَكَةً بأَهلٍ أو بِمالِ

فينهبُ مالَهم ويُصيبُ مِنهم
نساءَهُم بمقبوحِ الفعالِ

[١٥٨]

ويأخذُ حالَه زُوراً فيرمي
عِمامَتَه ويهربُ في الرِّمالِ

ويجرون التيوسَ وراءَ رجسٍ
تقرمَط في العقيدةِ والمَقالِ

١٩٧

وقال رحمه الله تعالى :

الطويل

أَيَا ناصرَ الدينِ الذى عَمَّ فَضْلُهُ
وقد شمِلَتْنا بالنوالِ شمائِلُهْ

تبسَّمَ هذا القطرُ إذْ أنتَ حاضِرٌ
بهِ وجَرَى سلسالُه وجداوِلُهْ

ففي كُلِّ روضٍ منهُ عينٌ قريرةٌ
وفي كلِّ زهرٍ منه زَهرٌ تُشاكِلُهْ

ينافِسُني فيك الزَّمانُ حَسادةً
إذا رُمْتُ لُقياكَ استمرَّتْ شواغِلُهْ

وليَ زَمَنٌ لم أُبصِرِ السيِّدَ الذي
إذا لـم نزُرْهُ زارنـا منـه نائِلُهْ

كريمٌ قَصدناهُ لدَفعِ مُلِمَّـةٍ
من الدهـرِ فانثالَت علينـا فَواضِلُهْ

فمن جودِهِ في كُلِّ جيـدٍ قلائِدٌ
بها يزدَهِي حُسْناً على من يطاوِلُهْ

وما الفَخْرُ إلاَّ ما يروِّضُ فكرُهُ
ولا الهَجْرُ الا مـا تَفِيضُ انامِلُهْ

وجاورَ هذا النِّيلَ نَيـلُ بنانِهِ
ورامَ مُضاهـاةً لمـن لا يماثِلُهْ

وأنَّى يُضاهي واحـدٌ عشـرَ أنمُلٍ
تُمَدُّ من البحرِ الخِضَمِّ نوافِلُـهْ

١٩٨

وقال عفا الله عنه :

الطويل

تهنَّ بعيدٍ أَنْتَ لاشكَّ عيدُهُ
ومنكَ استفادَ النُّورَ نُورُ هِلالِـهِ

[١٥٩]

بدا وبدا الوجهُ الذي لكَ مُشرقاً

سناءً فأبدَى نقْصَهُ بكمالِهِ

عليٌّ هو الشَّمْسُ الذي فاقَ حُسنُهُ

وما البدرُ الا مُستَمَدٌّ جمالِهِ

لَئِنِ اْوحِشَتْ رُوحي ببُعدِ وِصالِهِ

لقد أنِسَتْ عَيني بطَيفِ خَيالِهِ

قافية الميم

١٩٩

قال رحمه الله :

الوافر

أَتعلَمُ أيَّ بارِقةٍ تَشيمُ
وأيَّ حمىً سَرَى منهُ النَّسيمُ (١)
أَجَلْ ذاكَ استطارَ من ارْضِ نَجْدٍ
وهذا هَبَّ يذكُرُ من يَهيمُ
تألَّقَ من سَنا ثغرٍ لسَلمَى
فنارَ به المفاوِزُ والتُّخومُ
وأكْسَبَهُ شذا مِسكٍ شَذاها
فها هو ذا لَنا مِنْهُ شَميمُ
ووافَى من ديارِهِمُ عَليلا
فكلٌّ مِن تنشُّقِهِ سقَيمُ
أناسٌ آثَروا سُكنَى البوادي
ومنتجعاً إِذا انهلَّ الغُيُومُ
هم الحيُّ اللَّقاحُ فلم يَدينُوا
لِملْكٍ إِذ بَلاؤُهُمُ عَظِيمُ
يَجُرّونَ العَوالي للمَعالي
ويُجرون المذاكي لا تخِيمُ

---

(١) شام يشيم البرق : نظر اليه اين يتجه واين يمطر .

إذا حادوا لحربٍ أرَّثوها

وإنْ جادوا بفضلٍ لم يُليموا

وإنْ حلُّوا بأرضٍ أرَّجوها

فتعبقُ من أريجهم الرُّسُوم

[١٦٠]

وفي أُحْداجِهِم قمرٌ تبدَّى

فقد خَفِيَت لمطلعِهِ النُّجوم

أضاءَتْ من سَناه لنا الموامي

ونارَ به لنا الليلُ البَهيم

تعلَّقَهُ فُؤادي من حَديثٍ

فصارَ له به وجدٌ قديم

وناجاهُ ليسمَحَ بالتفاتٍ

فلم يلفِتْ اليه وهْوَ رِيم

ورامَ القُربَ من ناءٍ بعيدٍ

فعزَّ لهُ الوصولُ لما يَروم

ومَنْ يعلقْ له قَلْبٌ بريمٍ

نَفورٍ فهوَ في حزْنٍ مُقيم

٢٠٠

وقال غفر الله له :

البسيط

يـا قاسيَ القَلْبِ ليسَ اللفظُ مَطْمَعَهُ
ساجي الجُفونِ حنينَ اللّحظِ راحمَهُ

أمـا تـرِقُ لصَبٍّ فيـك مكتئبٍ
عفٍّ غـدا صادقـاً في الـوُدِّ كاتِمَهُ

أشْبَهْتَ يوسُفَ حُسْـنا والمحبُّ لـه
سبعٌ شِـدادٌ عَصَى فيهن لائِمَهُ

يلومُـه ليس يـدري من يَهيمُ بـه
لـكنْ يـراهُ حزينَ القـلبِ هائمَهُ

كفاهُ منكَ وِصـالا أن تُكالِمَـهُ
وأَنْ يراكَ وإنْ أَصْبَحْتَ كالِمَهُ

٢٠١

وقال رحمه الله يخاطب شخصا كان يحبه شخص ينادمه فجلس بينهما أحدب :

الكامل

ولقـد شَقِيتُ بأحدَبٍ من بعدِمـا
قـد نلت بالظبيِ الغـريرِ نعيمـا

[١٦١]

فأبو الغُصـونِ مُنادِمٌ لك بعـدَمَا
قـد كنتَ للغُصنِ الرّطيبِ نَديمـا

٢٠٢

وقال[١] رحمه الله تعالى : الوافر

يظُنُّ الغمرُ أنَّ الكُتبَ تجدي
أخا ذهنٍ لإدراكِ العلومِ[٢]

وما يدري الجهولُ بأنَّ فيها
غوامضَ حيَّرت عقْلَ الحليمِ[٣]

إذا رُمتَ العلومَ بغيرِ شيخٍ
ضَلَلْتَ عن الصِّراطِ المُستقيمِ[٤]

وتلتبسُ الامورُ عليكَ حتّى
تصيرَ أضلَّ من تُوما الحكيمِ[٥]

٢٠٣

وقال ايضا رحمه الله : البسيط

إنّي لأسمعُ من خُلدٍ وحينَ أرى
حُبّي يحدِّثُني أُصْغي على صَمَمِ

---

(١) ذكرها السبكي في طبقات الشافعية ج٦ ص٣٥ ، والمقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٠ نقلا عن كتاب البرنامج للفقيه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي تلميذ أبي حيان .

(٢) كذا في الاصل ونفح الطيب ، اما في طبقات الشافعية : ان الكتب تهدي .

(٣) كذا في الاصل ، أما في نفح الطيب والطبقات : عقل الفهيم .

(٤) كذا في الاصل ونفح الطيب ، أما في الطبقات : الطريق المستقيم .

(٥) توما الحكيم : هو الذى ضرب مثلا للجهل المركب ، وقيل فيه :

قال حمار الحكيم توما لو أنصف الدهر كنت أركب
لانني جاهل بسيط وصاحبي جهله مركب

(ينظر هامش ص ٣٢٠ ج٣ من نفح الطيب) .

وفي المثل السائر ج٢ ص٣٥٨ : « قال بعض العراقيين يهجو طبيبا :

قال حمار الطبيب توما لو انصفوني لكنت أركب
لانني جاهل بسيط وراكبي جهله مركب

كيما تلَذَّ بتكرارِ الكلامِ معي
أُذْنِي وتلفِظَ منه الدُرَّ في الكَلِمِ

* *

قال : أخذت هذا المعنى من قوله :

المتقارب

تَصامَمْتُ إِذ نَطَقَتْ ظَبيَةٌ
تصيدُ الأُسودَ بألحاظِها

وما بيَ وَقْرٌ ولكنَّني
أرَدْتُ إِعادَةَ ألفاظِها

٢٠٤

وقال رضي الله عنه :

المديد

ما لِدمعي ساجِماً كالغَمامْ
ولجسمي ناحلاً بالسَّقامْ

صابَني من شادنٍ سهمُ لحظٍ
ففؤادي دائمُ القَرحِ دامْ

[١٦٢]

وصديقي لائمي في هَواهُ
لستُ فيه سامعاً للملام

قال : موتٌ عاجلٌ لمُحِبٍّ
قلتُ : إِنّي راغبٌ في الحِمام

قلتُ : يا صاحِ الهوى مستلَذٌ
لـذَّ فيـه ..... مع غرام[1]

غَرَّ حِلمي ناهـدٌ ذاتُ وَجهٍ
قمـريٍّ غَـرَّ بـدرَ التَّمـام

وسَـباني فاتـنٌ فاتِكٌ بِيْ
ساحرٌ لـي ساخِرٌ بالأنـام

ورَماني ذابـلُ اللحظِ ساجٍ
مع سـطاهُ خائفٌ كـلَّ رام

٢٠٥

وقال عفا الله عنه :

الطويل

أمُحتَمِياً بالدِّينِ عن لَثمِ مَبْسَمٍ
ومـا لَثْمُهُ إلاَّ يسيرٌ من اللَمَـمْ

وقد أعقَبَ الرحمنُ ذاكَ بوسـعه
لغُفـرانِهِ فاسـمَحْ بلُقيا فمٍ لِفَمْ

٢٠٦

وقال سامحه الله :

الكامل

جُبِلَ النسـاءُ على التكَتُّمِ فاحترِزْ
من كيدِهِنَّ فانَّـهُ لعظيـمُ

(١) كذا في الاصل .

فمتى تَعِفُ فربَّما عفَّت فاِنْ
تُهمَل فكَشحٌ يُستباحُ هضيمُ
وكذا الصبِيُّ إذا عرَتْهُ خصاصةٌ
يبدو لـه لفظٌ يُعدُّ رخيمُ
وتراهُ يسمحُ بالذي هو باخِلٌ
ويعودُ بعدَ الحمدِ وهو ذَميمُ
قد مسَّ ظهرَ الأرضِ حرُّ جبينهِ
فيقومُ وهو من الحياءِ عديمُ

[١٦٣]

طوراً نديمٌ للقِحابِ وتارةً
للأَنْطَينَ الفاسقينَ نديمُ
وإذا التَحَى ففقيرٌ او لِصٌّ وفي
بابِ القُضاةِ أو الوُلاةِ خديمُ

٢٠٧

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

الطويل

أمَرَّ حياتي يا نُضارُ سقامُكِ
وكونُكِ لا يسري اليكِ منامُكِ
أقمتِ شهوراً لا يَبُلُّ لكِ اللُّهَى
شَرابٌ ولا يغذوكِ يوماً طعامُكِ
تواترَت الأسقامُ نَفْخٌ وسَعلَةٌ
وقيءٌ وإسهالٌ فعزَّ مرامُكِ

وعمّا قليلٍ يذهبُ البؤسُ كلّه
ويبدو على إثرِ العبوسِ ابتسامكِ
فنُصبح في انسٍ وخيرٍ وصحةٍ
وحسنِ شبابٍ طالَ فيه دوامكِ
غذيتِ بدرِّ الفضلِ مُذ كنتِ طفلةً
وكان بتعليمِ القرآن فِطامكِ
قرأتِ كتابَ الله والسُّنَنِ التي
أتتْ عن رسولِ اللهِ فهو إمامكِ
ودارستِ علمَ النحوِ حتى لقد غدا
فصيحاً بليغاً في البيانِ كلامكِ(1)
واتقنتِ خطّاً بارعاً يبهرُ الحجا
فَتَحَ عن زهرِ الرياضِ كِمامكِ
وبالكعبةِ الغرّاءِ طُفْتِ بمكّةٍ
وللحجرِ المسودّ كان التثامكِ
وجاورْتِ أيّاما بها ولياليا
وكان كثيراً بالمَقامِ مُقامكِ
وزُرْتِ رسولَ الله أفضلَ من مشى
على الأرْضِ واحتلّتْ هناكَ خيامكِ
[١٦٤]

---
(١) في الاصل : كتابك .

فكـــانَ ببيتِ اللهِ بــرؤْكَ أَوَّلاً
وزورة خـيرِ الخلقِ كانَ اختتامكِ

نَضيرةُ ما إِنْ في البنـاتِ نظيرةٌ
لك اليومَ فخراً ما لَهُنَّ احتشامكِ

فهمَـةُ بنْتٍ في لِباسٍ وزِينَـةٍ
وانتِ بتحصيلِ العُـلومِ اهتمامكِ

فلو أنَّ أنثى للسـماءِ قـد ارتقتْ
لكان بأعْنـانِ السَّـماءِ مُقامكِ

إذا انتظمَ الرِبّابَ عقـدُ نفاسَـةٍ
ففي وَسَطِ العِقـدِ النَّفيسِ انتظامكِ

وقد كُنْتُ أرْجو أنْ تعيشَ والآنَ قد
أتـاكِ من اللهِ الكريمِ حِمامكِ

★ ★

قال : أنشدت نضار هذه القصيدة الا البيتين الاخـيرين وهي مريضة مرض الموت ، وكان نظمي للبيت الاخير في اليوم الذي ماتت فيه اثر موتها . رحمها الله ورحمه آمين .

٢٠٨

وقال رحمة الله عليه :

الوافر

أُقَبِّلُـهُ فيُرشِفُني رضـاباً
تبقَّتْ فيـه آثـارُ المُـدامِ

سَقانيها الحبيبُ ولستُ أدري
لذلك قد خَلَصْتُ من الآثامِ

٢٠٩

وقال : قرئ علي في شعر الأعشى قوله :

البسيط

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقَتْ رَجُلاً
غيري وعُلِّقَ أُخرى غيرَها الرَّجُلُ[١]

وعُلِّقَتْهُ فتاةٌ ما يُحاولُها
ومن بني عمِّها ميتٌ بها وَهِلُ[٢]

[١٦٥]

وعُلِّقَتْني أُخيرَى ما تلائمني
فاجتمعَ الحُبُّ حبٌّ كُلُّه تبلُ[٣]

* *

فأعجبتني هذه السلسلة التى هى ست حلقات ، فرضت نفسي في نظم سلسلة في الحب فقلت :

الطويل

ولما أَبَى إلاَّ جفاءً مُعذِّبي
دَعوتُ له أن يُبتَلَى بهيامِ

---

(١) تنظر الابيات في ديوان الأعشى ص١٤٥ .
(٢) في الديوان : من اهلها ميت يهذي بها وهل . الوهل : الذاهب العقل .
(٣) في الديوان : فاجتمع الحب حباً كله تبل . التبل من تبله : ذهب بعقله .

وكـان دُعائـي اللهَ وَقْتَ إجابَـةٍ
فهـا هـو ذا في لَوعَـةٍ وغـرامِ

يذوقُ من الهِجـرانِ ما قَدْ أذاقَني
ويَسْقَمُ منهُ الجسمُ مثلَ سقامي

وكانَ بخيـلاً بالوِصـالِ فحبُّـه
غـدا باخِلاً حتّى بطيفِ منـامِ

وعُلّقتهُ رِيمـاً وعُلّـقَ آخَـرا
هَوى آخَـراً يَهذِي ببـدرِ تمـامِ

وعُلّقَ أخرى حبّها آخَـرٌ هَوَى
أُخيرَى غدت تَهذِي بآخَرَ رامِ

فيا لَكَ من حُبٍّ تَسَلْسَلَ كُلُّنا
حليفُ أسىً هامِي المدامعِ دامِ

أقَمْنا بكَهفِ الحُبِّ عِـدَّةَ صحبَةٍ
وأوّلُنا بالبـابِ شَـرُّ مقـامِ

تَصعّدُ أنفاسُ المحبين في الهوَى
اليـه فيبقـى في أليـمِ أوامِ

فيـا ليتَ أنّـا قد جُمِعْنا فنشتكي
اليمَ الهَـوَى أو نشتفِي بكـلامِ

كَفانا وِصـالاً أن يُكَلِّمَ بَعضُنا
لبَعضٍ ولو كَلْما برجعِ سَـلامِ

٢١٠

وقال عفا الله عنه [١٦٦] :

الطويل

وعلّقتُهُ والسيفُ بيني وبينَهُ
غزالاً ولكن قاتلٌ للضراغمِ

من التُرْكِ إمّا حُسنُه فهو فاتنٌ
واما سَطاهُ فهو فتكُ الضبارِمِ(١)

غَيورٌ على الحُسْنِ الذي هو حُسنُهُ
كأنَّ به عشقَ المحبِّ الملازِمِ

فيا ليتَ شِعري كيفَ حالةُ عاشقٍ
رمَى نفسَهُ في المُهلِكات العظائِمِ

فلا وصلَ إلا باختلاسَةِ ناظرٍ
على غفلَةٍ منه وليسَ بعالِمِ

ولو إنّه يدري الذي هو ناظرٌ
الى حُسنِهِ جازَىٰ بجرِّ الغلاصِمِ

سأصبِرُ أو تأتي المنيةُ أو يُرَى
يلينُ لصَبٍّ ذاهبِ الحِسِّ هائمِ

وعَزَّيْتُ نفسي أنّه سوفَ ينْقضي
هَواها وأنْ يسلو سلُوَّ البَهائمِ

---

(١) اسد ضبارم وضبارمة : مضبر الخلق ملززه ، أي مجتمع الخلق موثقه .

فكلُّ جمالٍ للزوالِ مآلُهُ
وكلُّ ظلومٍ سوفَ يُبْلَى بظالمِ

سيظلِمُهُ شَعرٌ يَحلُّ بخَدِّهِ
سريعا فيبقى في سوادِ المظالمِ

٢١١

وقال غفر الله ذنوبه :

الطويل

ويركبُ أَقْوامٌ مطايا نفيسةً
ونحن مطايانا أَخامِصُ أَقْدامِ

ويلبسُ أقوامٌ حريراً لزينةٍ
وملبوسُنا ما شانَ مِنْ وَبَرِ أنعامِ

ويشربُ أقوامٌ رحيقاً بأكؤسٍ
ومشروبُنا ماءٌ باشفافِ خَتَامِ

ويأكُلُ أَقْوامٌ شواءً وجَرْدَقاً
ومأكولُنا خبزٌ مشوبٌ بآلامِ[1]

[١٦٧]

ويَلتذُّ أَقْوامٌ بابناءِ يافثٍ
وسامٍ وموطوآتُنا من بني حامِ

---

(١) الجردق : الرغيف ، معرب كرده . (القاموس المحيط) .

يَقضُــون من دُنيـاهُمُ شهواتِهِم

ونحنُ لهم في الدهرِ أطوعُ خدّامِ

إذا جاءَهـم منّـا فقيرٌ لحاجـةٍ

لوَوا جيدَهم زَهواً ونخوةَ إعظامِ

ومـا اللهُ عمّـا يعملـون بغافـلٍ

ولكنمـا يملـي زيـادةَ آثـامِ

كذلـك تأْتيهـم بَـلايا عظيمـةٌ

من الحبسِ والتعذيبِ والضربِ والسّامِ

غدَوا عِبرةً يرثي لهـم كلُّ شـامِتٍ

بهِم وكذا الملتـذ يَشقَى باجرامِ

٢١٢

وقال غفر الله ذنوبه :

الطويل

لقـد عجِبُـوا من لُـؤلُـؤٍ مُتنـاثِرٍ

من الكَلِمِ الأعلَى فُرادَى وتوأَمِ

ومـا بِعجيبٍ لـؤلؤٌ كانَ قـد مَلا

بـه مَسمعي شَيْخي تناثرَ من فمِ

وبينَ فَمِ الانسانِ والسَّمْعِ نِسْبَةٌ

ألم ترَ أنَّ السمعَ بابُ التّكَلُّمِ

۲۱۳

وقال سامحه الله :

الخفيف

ما سلامُ الغُيّابِ هذا السلامُ
بل عِناقٌ مواصَلٌ والتزامُ
واصطكاكُ الشِفاهِ باللَثمِ حتّى
يَشفِيَ الصبَّ من صداه إلتثامُ
أتظُنُّ الكلامَ يُبري كِلاماً
ما بِكَلمِ الحبيبِ تبرا الكِلامُ
إنْ تكُنْ عِفْتَ قُبْلَةً وعِناقا
فلقد عِفْتَ ما يُبيحُ الكِرامُ

[١٦٨]

أيُّهذا الذي نَوَى الحجَّ مَهْلا
أنْتَ محجوجٌ مَن بَراهُ السَّقامُ
قد غدا مُحرِماً مُلَبِّيَ حُسْنٍ
منكَ لمّا دعاه زادَ الهِيامُ
شاحبُ اللونِ غائرُ العَيْنِ ممّا
شَفَّهُ الحبُّ والهٌ مُستهامُ
مُعمِلُ الفِكرِ في مَهامِهِ شوقٍ
بمطِيٍّ يَحُثُّهُنَّ الغَرامُ

سائرٌ نحو مكّةَ الحُسن منكم
فأتاها وقد بَدَت أعلامُ

كعبةُ الحُسنِ من مُحيّاكَ تُجلَى
فيها دائماً يَطوفُ الأنامُ

كلُّ أركانِها يماني يُمنٍ
فبِكُلٍّ منها يكون استلامُ

قد صفَا وقتُهم بسَعيٍ نفوسٍ
لحِماكُم وعرّفوا واستقاموا

ومُناهم أن قد رَمَوا جمراتٍ
بمُناكم يَشُبُّهُنَّ ضِرامُ

لا تَخَفْ من صدًى يغرُّ ومن قو
تِ مكانٍ يلَذُّ فيه المُقامُ

فعيونٌ كزَمْزَمٍ إن وَرَدْتُم
وقلوبٌ لكم بهِنَّ مُقامُ

وأفاضوا لمّا أفاضُوا اليكم
أدْمُعاً كلُّها رِهامٌ سِجامُ

عمَروا أنْفُساً بِوُدٍّ صحيحٍ
من هواهُم فما عليهم مَلامُ

وطَوافُ الوَداعِ قاضٍ عليهم
فعلَى الوصلِ والحياةِ السَّلامُ

أَتراهُم يَوْماً يزُورون ميتاً
قصَدوا هَجرَهُ فزادَ الحِمامُ
[١٦٩]

٢١٤

وقال رحمة الله عليه :

الخفيف

عَدِّ للروضةِ التي قد تَجلَّتْ
كعروسٍ ونقَّطَتْها الغُيومُ
فاكتَسى أَيْكُها من الزَّهرِ زُهْراً
فكأَنَّ الغُصونَ فيها النُّجومُ
جنَّةٌ أَهْلُها يَسيلونَ لُطفاً
خُلُقٌ طيِّبٌ ، وخَلْقٌ وسيمُ
ونَدامَى يُسْعَى عليهم بكأْسٍ
من حُمَيا مِزاجُها تَسنيمُ[1]
ناغِشُ الطَّرفِ ناعِسٌ بذُبولٍ
مُفعَمُ الرِّدفِ كَشْحُهُ مهضومُ[2]
كُلَّما دارَ قبَّلوهُ فيحمَـ
ـرُ حَياءً كأَنَّهُ مذمومُ

(١) في سورة المطففين الآية ٢٧ : « ومزاجه من تسنيم » .
تسنيم : عين في الجنة ، أو ماء فيها .
(٢) الناغش : المتحرك .

يَتَساقَونَ أكْؤُساً للتَصابي

في مقاصيرَ حَلَّ فيها النَّعيمُ

صحَّ فيها الهواءُ مدّاً وقَصراً

لِمُحِبٍّ واعتَلَّ فيها النَسِيمُ

جَرَّ ذيلاً لـه على الدَوحِ هَوْنا

فكأنَّ النسيمَ فيها سَقيمُ

حامِلاً في الرُبى لَطيمَةَ مِسْكٍ

فلَنا ذلكَ الأَريجُ شَمِيمُ[1]

وتغنَّت أطيارُها فسمِعْنا

نَغَماتٍ يهفُو اليها الحليمُ

إنَّها في إنْشائِها عَجَبٌ قد

حارَ في وَصفِها هُناكَ الحكيمُ

بينَ بحرَيْ شهدٍ ودَارا عليها

كَسُوارٍ بمِعصَمٍ لا يَريمُ

جمَعَتْ نادِرَيْنِ براً وبحراً

ذاكَ يعدُو قَفْزاً وهذا يعومُ

[١٧٠]

---

(١) اللطيمة : وعاء العطر .

فبنَفَحِ الرِّيَاضِ يَسبَحُ نُونٌ

وبسَفْحِ الغِيَاضِ يسنح رِيمُ[1]

---

(١) كذا في الاصل ، أما في نفح الطيب ج٣ ص٣٣٦ :

فبلج البحار يسبح نون وبفيح القفار يسفح ريم

قال المقري بعد هذا البيت : « ولما أنشد الشيخ أبو حيان قول نورالدين القصيري في روضة مصر :

ذات وجهين فيهما قسم الحسن ، فأضحت بها القلوب تهيم
ذا يلي مصر فهو مصر وهذا يتولى وسيم ، فهو وسيم
قدأعادت عصرالتصابي صباها وأبادت فيها الغموم الغيوم
زاد فيها بيتاً وهو : فبلج ..... » .

قافية النون

٢١٥

قال غفر الله له :

البسيط

قد حوَّمَتْ طيرُ نومي ثم نَفَّرَهـا

حِذارُهـا وجَفَتْ بالليـلِ أَجْفـانـا

تَظُنُّ أَهدابَهـا أَشراكَ مُحتَبِلٍ

لا سيّما إذْ رأَتْ مَعْهُنَّ إنْسانا

٢١٦

وقال عفا الله عنه :

البسيط

قَصَرْتُ ذاتي على ذاتي وقلتُ لَها

فِرّي عَن الناسِ مـا مِنهُم ترَي حَسَنا

سِـوَى ثقيلينِ تؤذي القلبَ صُحبتُهم

وتُتْعِبُ الأشرَفَينِ الطَّرْفَ والآذُنا

٢١٧

وقال ايضا رحمه الله :

الكامل

لا تنظُرَنَّ لملبَسٍ وانظُـر إلى

ما تحتَهُ من فِطنَةٍ وبيَـانِ

ذِهْنٌ كَأَنَّ النارَ منه أُشْعِلَتْ

وفصاحةٌ تربى على سحبانِ(1)

٢١٨

وقال ايضا غفر الله له :

الطويل

خُلِقنا لأَمْرٍ لو علِمنا حقيقةً

له ما أحبَّ المرءُ ليلَى ولا لُبْنَى

ولكنْ جهِلنا فاستراحَت نُفُوسُنا

وما تلكَ إلاّ راحةٌ تَعقبُ الحَزنا

٢١٩

وقال ايضا رحمه الله :

البسيط

ظبيٌ تقنَّصْتُه ليلاً فنادَمَني

أُقسِّمُ اللحظَ بين البَدرِ والغُصُنِ

[١٧١]

بَدْرٌ أَضاءَ لنا في شِبهِ وَفرتِهِ

حتّى بدا الصبحُ مثلَ الصارِمِ اليَمَني

---

(١) سحبان : بليغ يضرب به المثل ٠

كأنّما الليلُ حُبْشانٌ قد انهزموا

والصبح في إثرِهِ سيفُ ابن ذي يزنِ

يا صبحُ فرّقتَ شملاً كانَ مجتمعاً

يا صبحُ فرّقتَ بينَ الروحِ والبدَنِ

٢٢٠

وقال رحمه الله على طريقة أهل التصوف :

الطويل

سَرى مِنْ نسيمِ الأُنْسِ ما عطّر الكوْنا

فبحْتُ بسرٍّ طالَ كتمي له صوْنا

وما نظرتْ عيني الى غير واحدٍ

تصرّف في كلٍّ فلوْنٌ يرى لوْنا

وما أدركَ الأشياءَ غير منطقٍ

اخي لُطفٍ يمشي على أرضِهِ هوْنا

فكم بينَ ذي علمٍ وآخرَ جاهلٍ

وكم بينَ ذي نورٍ وعادِمِهِ بوْنا

هي النَّفْسُ يجلوها فتبدو حقائقٌ

بها وصَداها الجونُ يظهره جوْنا

٢٢١

وقال(١) عفا الله عنه :

البسيط

راحَ الرضــي(٢) الى رَوْحٍ ورُضـوانِ

فليهنهُ أَنْ غـدا جاراً لرحمـنِ(٣)

وافَى الجنانَ فوافاها مزخرفـةً

يحفُّهُ الأهلُ من حُورٍ ووِلدانِ(٤)

٢٢٢

وقال غفر الله له :

الطويل

بروحي حَبيبٌ نعَّمَ اللهُ بالَـه

ولا زالَ في أَمْنٍ مدَى الدهرِ جذْلانـا

تملَّكني منه بِسِحْرِ جُفُونِهِ

فصِرْتُ أَخيذاً لا أَرى عنه سلوانا

[١٧٢]

---

(١) ذكرهما السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ج١ ص١٩٤ ، وقال قبلهما : « قال أبو حيان في رثاء استاذه العلامة محمد بن علي بن يوسف الرضي الشاطبي » .

(٢) الرضى : هو استاذه رضي‌الدين أبو عبدالله الشاطبي المتوفى سنة ٦٨٤هـ .

وفيه يقول أبو حيان :

نعي لي الرضي فقلت لقد   نعي لي شيخ العلا والادب

(تنظر تكملة الديوان رقم ٧) .

(٣) كذا في الاصل ، أما في بغية الوعاة :

راح الرضي الى روح وريحان   فليهنه أن غدا جارا لرضوان

(٤) كذا في الاصل ، أما في بغية الوعاة : يحفها الاهل .

غزالٌ لـه مرعىً خصيبٌ بمهجتي
وسلسالُ دمعي يغتَدي منه ريّانا

ولما رآني ذُبْتُ منه صبابةً
وذُقْتُ مَراراتِ المحبةِ ألوانا

تعجَّبَ من صبري على مرِّ هجرِهِ
فأهدى لي الحلواءَ لُطفاً وإحسانا

توهَّمَ ان أشفى بها فاذا بها
يزيدُ ضنىً جسمي وقلبيَ نيرانا

وأيُّ شفاءٍ لا يُرى شفّهُ الهوى
سنينَ له تِسعاً يكابِر أشجانا

أيا مهديَ الحلواءِ في فيكَ شبهُها
بل احلى به لو شئتَ أرويتَ ظمآنا

ويا مالكاً رِقّي أما لك رِقّةٌ
على عاشقٍ يهواكَ سِراً وإعلانا

وكنتُ أرى أنَّ التهاجرَ ينقضي
إذا الحسنُ يكسو وردَ خديكَ ريحانا

وقد زِدْتَ في تيهٍ وعُجبٍ ونَخوةٍ
أخاً لك ما الفردوس خاتلت رِضوانا

فجئْتَ الى الدنيا فريداً فلا ترى
بها عاشِقاً إلاّ بحبِّكَ ملآنا

٢٢٣

وقال عفا الله عنه :

الطويل

أرَى شِيَمَ الناسِ الأَذىٰ وأشدُّهم
اذَى جاهلٌ أَوْليتَه منكَ إِحسانا

يجيئكَ عَيرٌ منهم فتسوسُهُ
الى أن غَدا في الناسِ يُحسَبُ إنسانا

فَيَأْبَى ويزهى زاهداً فيكَ نابِزاً
لحقّكَ يُبدي عنك في العلمِ غُنيانا[1]

ولو انّه قد فاقَ في الفضلِ صحبَهُ
لما كان إلاّ العيرَ طَرْطَرَ آذانا

[١٧٣]

ومَنْ كان تلميذاً ويزعمُ أنَّهُ
كشيخٍ له فالجهلُ أَوْلاه حِرمانا

لدَى الشيخِ من علمٍ زوايا غريبةٌ
قد اكسبَها مُذْ عاشَ في العلم أزمانا

عجِبتُ لمثلي عِشْتُ سبعينَ حِجَّةً
أعاني لسانَ العُربِ جَمعاً وتِبيانا

فما صحَّ عندي غيرُ أني مُقصِّرٌ
وقد فاتَنا منه كثيرٌ وأَعيانا

---

(١) بأى : فخر بنفسه .

فكيفَ بمَن أضحَى سُكُرْدانُ صُحفِـهِ

يقلِّبُ في ذا ثمَّ ذلِكَ أَحيانـا[1]

يرَى أَنَّهُ قد صارَ شيئاً ولم يكُنْ

كشيءٍ ولكن جرَّ للجَهْلِ أَرْسانا

وأُمٌّ وَلـودٌ هـذه الارضُ لا يُـرى

بها مُدَّعٍ الا ويُفْضَحُ خُذْلانـا

٢٢٤

وقال غفر الله له ورحمه :

الكامل

أَتَـرى قُماشي غائبـاً في الصِّينِ

فأُقيمُ أَطْلُبُـهُ لِعَشْـرِ سِـنينِ

إِنَّ امـرءاً يكِـلُ الامـورَ لغَيرِهِ

هو أَنْوَكٌ بل مُطبِقٌ بجُنـونِ[2]

إِنْ مبْتَـغٍ برَّ الأَنـام بأَسْـرِهم

لكَمَنْ يرَجِّي النَّشْـعَ من تِنِّينِ[3]

---

(١) كذا في الاصل ، وفي شفاء الغليل ص١٥٥ قال أبو حيان :

فكيف بمن أمسى سكردان صحفه به مودع للفكر در ومرجـان

السكردان ـ بضمتين فسكون ـ خوان الشراب ، وقد يستعمل لخزانة توضع لحفظ المشروب والماكول .

(٢) أنوك : أحمق .

(٣) التنين : الحوت ، الحية العظيمة .

أَلْفُ الدراهمِ لم اصِلْ منها لمــا
أَبغِيهِ من أَلفٍ سوى التســعينِ

من بَعْدِ أَرْبَعَةِ الشُّهورِ أَتَتْ لي التــ
ــسعونَ صَفقةَ خاسرٍ مغبونِ

٢٢٥

وقال رحمه الله :

الرجز

يا سيِّداً قد حازَ حُسْنَيَيْنِ
العلمَ والدينَ بغيرِ مَيْنِ

[١٧٤]

قد انقضَى وقتُ جُمادَيَيْنِ
وما أتَى المَعلومُ من لُجينِ

ألا اجْمَعَنْ ما بينَه وبيني
فما يَسُرُّ العينَ غيرُ العينِ

به انقضاءُ مأربي ودَيْني

٢٢٦

وقال غفر الله له ورحمه :

البسيط

لا تصحَبَنْ مَلِكاً أو من يلوذُ بـه
وإنْ تَنَلْ منهُمُ عِزّاً وتمكينا

يَسْتَخْدِمونَكَ في لذّاتِ أنفسِهِمِ
ويَذْهَبُ العُمْرُ لا دُنيا ولا دِينا

٢٢٧

وقال عفا الله عنه :

الرمل

عَشِيتْ عيني فلا أُبْصِرُ ما
خُطَّ في صُحْفٍ ولا شيءَ حَسَنْ

ولقد كانَ أنيسي بَصَري
فَعدمْتُ الأُنْسَ منه والوَسَنْ

طالما أنضيتُ طَرفاً للصِّبا
ذا شبابٍ مُرخياً منه الرَّسَنَ

واهتصَرْتُ القَدَ غُصناً مائساً
وارتشَفْتُ الرِّيقَ عَذْباناً أَسِنَ

وفَرضتُ عِشقَ ريمٍ أهيفٍ
وسَنَنْتُ صَبوتي فيه مَسَنَ

من بني التُرْكِ صَغيرٌ دَمِثُ الـ
خُلْق لَينٌ حَسَنُ الخَلْقِ بَسَنْ

كُنتُ قِدماً عاشقاً في عَرَبٍ
وأنا اليومَ بِحُبٍّ في أَسَنْ

كُلَّمـا قُلتُ لـه : من ذا الذي
فيك أضحَى هائماً ؟ يقول : سَـنَ

[١٧٥]

فمضى هـذا ولمّـا يَبقَ لـي
غيرُ فكرٍ ولسانٍ ذي لَسَـن
أيُّ لَهـوٍ لامريءٍ يبقَـى خلي
وقَـدَ الفَـودانِ منه وأَسَـنَ

٢٢٨

وقال غفر الله تعالى له :

البسيط

عينُ المَها للصِّبا قَلْبُ الشَّجِي يلْزُزنْ
كم أتلَفت مُهَجاً مِنا وكم يعزِزنْ
يهزُزنَ سُمْرَ القَنا يا حُسنَ ما يَهزُزنْ
إذا طَعَنَّ بهـا في مُهجتي يَحزُزنْ

٢٢٩

وقال أيضا غفر الله له :

البسيط

دَمْعٌ هَتـونٌ وقلبٌ دائمـاً في حزُنْ
من حُبِّ غيدٍ سَنا بدرِ الدُّجى قد حزُنْ
خِفافُ قَدٍّ لهـا ثقـالُ رِدفٍ رُزُنْ
تَغارُ شمسُ الضُّحى منْهُنَّ إذ يبرُزْنْ

٢٣٠

وقال عفا الله عنه :

البسيط

خَرَجْنَ يومَ مِنىً وبالنَقا بَرَزْنَ
قد اشرقَتْ من سَناها سَهلها والحزْنْ

بكَيْتُ، قالتْ : أفِقْ ابذُلْ لُجَينَ الخزَن
الوصلُ لا ينبغي بالدَّمعِ بل بالوَزْنْ

٢٣١

وقال رحمه الله يرثي ابنته العالمة المعربة نضار :

البسيط

راحت نُضارُ فلا عَيشٌ يَلَذُّ لنا
وخلَّفتْ بفؤادي الهمَّ والحزْنا

فما عرَت مُهجتي حالٌ تسرُّ بها
ولا رأَتْ مُقلتي من بعدِها حسَنا

كانت نضارُ لنا رُوحا نعيشُ بها
فتُنعِشُ الأشرفَينِ : العينَ والأذْنا

[١٧٦]

فالسمعُ من لفظِها للدُرِّ مُلتقطٌ
والطَرْفُ من لحظِها بالحُسنِ قد فتِنا

ذاتُ ارتياحٍ الى القُرآنِ تَسْرُدُهُ
طَوراً وتَسْرُدُ طوراً بعدَها السُّنَنا

وذاتُ برٍّ لذي فَقْرٍ ومسكنةٍ

تبرُّهُ خِلْسةً لا ترقَبُ العلَنا

يَفْدِي نُضيرةَ أتْرابٌ لهُنَّ هوًى

بزينةٍ وارتياحٍ هٰهُنا وهنا

وهمُّها هيَ في أَجْرٍ تحصّلُه

وفي علومٍ تزكّي كُلَّ من زَكِنا(1)

فقهٍ ونحوٍ وتأريخٍ ومعرفةٍ

ولحظِ فكرٍ الى نيلِ العلومِ رَنا

قد نوَّرَ اللهُ بالتقوى بصيرَتَها

فلم يضيّعْ لها في غيرِها الزَّمنا

حجَّتْ وزارتْ رسولَ اللهِ ثم أتَتْ

لمصرَ قدْ أحرزَتْ أجراً وحُسنَ ثَنا

فصيحةٌ ثقَّفَتْ بالنَّحوِ منطِقَها

فلن ترَى فيه لا لَحنا ولا لكنا

---

(1) زكن : فطن .

تُجيلَ طَرَفَ يراعٍ بالأَناملِ في

مَيدانِ طُرسٍ مُطيعاً لم يكُن حَرِنا

يَمْشي على رأسِهِ في الطُرسِ مبتدأً

فـاءِن جَرَى جَذَبَتْ من رأسِهِ الرَسَنا

ينحطُّ أعلاهُ إذ يسمو بأسفَلِهِ

فعلُ الزمانِ بنا أَقْبِحْ به زَمَنا

قافية الهاء

٢٣٢

قال(١) غفر الله ذنوبه : البسيط

شوقي لذاكَ المُحيّا الزاهرِ الزاهي
شوقٌ شديدٌ وجسمي الواهنُ الواهي(٢)

[١٧٧]

أسْهرتَ طرفي وولهتَ الفؤادَ هوىً
فالطرفُ والقلبُ منّي الساهرُ الساهي(٣)

نهبتَ قلبي وتَنْهى أن تبوحَ بما
يلقاهُ واشوقهُ للناهبِ الناهي(٤)

بهرتَ كلَّ مليحٍ بالبَهاء فما
في النيِّرَينِ شبيهُ الباهرِ الباهي

لهجتَ بالحبِّ لما أن لَهوتَ به
عن كلِّ شيءٍ فويحَ اللاهجِ اللاهي

يا سيداً ما لَهُ في الناسِ من شبهٍ
وكم عبيدٍ لهُ في الحبِّ أشباهي(١)

إذا خطرتَ ببالٍ منك في عمُري
وقتاً كفاني عن عزٍّ وعن جاهِ

---

(١) ذكرت الابيات الخمسة الاولى في الوافي بالوفيات وأعيان العصر ج٧ وفوات الوفيات ونفح الطيب ج٣ ص٣٠٨ ٠

(٢) كذا في الاصل ، أما في المصادر السابقة : شوق لذاك ٠٠

(٣) كذا في الاصل ونفح الطيب ، اما في المصادر الاخرى : ودلهت الفؤاد ٠٠ وفي نسخة اخرى من نفح الطيب : أسهرت قلبي ودلهت الفؤاد هوى ٠

(٤) كذا في الاصل والمصادر الاخرى ، أما في نفح الطيب : نهيت قلبي ٠

(٥) هذا البيت والذي بعده لم يذكر في المصادر الاخرى ٠

٢٣٣

وقال(١) رحمه الله : **الخفيف**

لـم أُؤَخِّرْ عمَّن أُحِبُّ كتابي

لقِلىً فيـه أو لتـركِ هـواه(٢)

غـيرَ أنـي إذا كتبتُ كتـابا

غلبَ الـدمعُ مُقلتي فمحـاهُ

٢٣٤

وقال(٣) رحمه الله في صفات الحروف واخراجها مخرج التغزل :

الخفيف

أنـا هـاوٍ لمستطيلٍ أغَنٍّ

كلما اشتدَّ صارتْ النفسُ رخوَهْ

أهمسُ القولَ وهو يجهرُ سرّاً

واذا ما انخفضتُ أظهرَ علوَهْ(٤)

فتحَ الوصلَ ثم اطبقَ هجْراً

بصفيرٍ والقلب قلقلَ شجوَهْ(٥)

لانَ دهراً ثم اغتدى ذا انحرافٍ

وفشا السرُّ مذْ تكرَّرتُ نحوَهْ

---

(٢) ذكرها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٧ ·

(٢) القلى ـ بكسر القاف ـ: البغض والكراهية ·

(٣) ذكرت في الوافي بالوفيات وأعيان العصر ج٧ ، ونكت الهميان وفيه : « وانشدني أيضا في صفحات الحروف » ، كما ذكرت في نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٨ ·

(٤) كذا في الاصل أما في المصادر السابقة : وهو يجهر سبي ·

(٥) كذا في الاصل ، أما في المصادر السابقة : ثم أطبق جهرا ·

قافيـة الواو

٢٣٥

[١٧٨] قال غفر الله ذنوبه :

الطويل

سَكِرْتُ ولكنْ منكَ بالمقلةِ النَّشْوَى

فقلبي لا يختارُ عن سُكرِهِ صَحْوا

ولذَّ ليَ الوَجدُ المُبَرِّحُ في التي

أَمرَّ بها عَيشي وقد كانَ لي حَلْوا

وقد ملأَتْ كُلِّي ببعضِ جمالِها

فما لِسواها فيَّ من مَوضِعٍ خلْوا

وعَلَّقْتُها سمراءَ امّا قَوامُها

فللسُّمرِ والألحاظِ للشّادِنِ الأحْوَى

تفوقُ سَنىً شمسَ الضُّحَى وهلالها

ولِمْ لا ولَم تَخْشَ كُسوفاً ولا مَحْوا

تُغازِلُني منها جفونٌ نَواعِسٌ

يؤثّرنَ في اجفانيَ السُّهدَ والشَّجوا

عجِبْتُ لها اذ نلتقي لا تَكَلُّمٌ
يكونُ وتدري ما يرادُ من الفَحْوَى

وتُعْرِبُ عما قد أكَنَّتْ نفوسُنا
بلحنٍ ولم تَقْرَأ كتاباً ولا نحوا

تَرى مُقْلةَ المحبوبِ تقرأُ أطْرُفاً
من الحبِّ قد لاحتْ بصفْحَةِ من يَهْوَى

يناجي ضميري بالمُرادِ ضميرَها
فيا لُطْفَ معْنًى انتجتْ تِلكُم النَّجوَى

وأشكو لها وَجداً قديماً حديثُهُ
فتُصغي ولكن لا تُزيلُ لنا الشَّكوَى

من التُّرْكِ لم ترْتَعْ بأكنافِ حاجِرٍ
ورَضوَى ولم ترْتَعْ بِنَجْدٍ ولا حُزْوَى(1)

ولكنْ الى خاقانَ يُعزَى نِجادُها
وفي مِصرَ مَرباها وفيها لها مثوَى

ألَخَصاءَ طَرْفٍ هل لقلبيَ مخلَصٌ
الى وَجنةٍ أضْحَتْ لنا جنَّةَ المأوَى

[١٧٩]

---

(١) حزوى : موضع بنجد في ديار تميم ، وقيل : جبل بالدهناء ، وقيل : باليمامة . (معجم البلدان) .

لئِنْ منعَتْ منّا زماناً فطالَما

لنا مُنِحَتْ نجني بها كُلَّ ما نهْوَى

ونرشِفُ من تلك الثنايا مدامةً

ونلثِمُ من غَضِّ الجَنَى لَعَساً حُوّا[1]

٢٣٦

وقال عفا الله عنه :

الطويل

سرى الجوهرُ العلويُّ للعالمِ العُلْوِي

وأسكنَ بطنَ الارضَ مستودَعَ السَّلْوِ

وعطّلَ بيْتَ العلمِ والدينِ والحِجا

من الذكرِ والقرآنِ والفقهِ والنحوِ

وقد كانَ معْموراً بسُنَّةِ أحمدٍ

فها هوَ ذا من بعدِ أُنْسٍ بها مُقْوِي

وكانت نُضارٌ فيه شَمساً منيرةً

فعوجِلَ ذاكَ النُّورُ بالكَسْفِ والمحْوِ

فتاةٌ كأنَّ الحسنَ خيَّرَ اينَ مَنْ

يحِلُّ بها فاختارَها طالبُ البأْوِ[2]

---

(١) لعس : كان في شفته سواد مستحسن ·
الحوة : سواد الى الخضرة ، أو حمرة الى السواد فهو أحوى وهي حوّاء ج حوّ ·

(٢) بأى يبأى : زهي وافتخر ·

جرى الناس شأواً للمعالي وقصّروا
وجاءت نُضارٌ فيه سابقة الشأوِ
وما لنضارٍ في البناتِ نظيرةٌ
لفاقتْ بناتَ الناسِ في الحضرِ والبدوِ
سلامٌ على ذاكَ الشبابِ الذي لها
تردّى رِداءَ العلمِ والدينِ والسرو
سلامٌ على فخرِ البناتِ التي غدت
لداتٌ لها تزهى بها أيما زهوِ
يعظّمْنَها إمّا حلَلْنَ بمنتدًى
فيجلِسْنَ سُفلاً وهي تجلِس في البهوِ
يُقبِّلْنَ منها الرُّدنَ عظماً لشأنها
فتلقِي لهُنّ الدُرَّ من مَنْطِقٍ حلوِ
أَبَعْدَ نُضارٍ أبتغي صفوَ عيشَةٍ
وقد كُدِّرَتْ ، يا بُعدَ عيشي من الصفوِ

[١٨٠]

لقد أشربَتْ قلبي وطرفي ومسمَعي
وما ليَ من فكرٍ وما ليَ من عضوِ
وإنّي معمورُ الزمانِ بشخصها
يمثلُ لي في الأمسِ و اليومِ والغدْوِ

وعاهـدتُ أنّـي لا أزالُ إزاءَهـا

مُقيما كئيباً دائمَ الشوقِ والشَّجْـوِ

الى أن تُوافيني شَـعوبُ فنرتقي

من الوَهدَةِ السُّفلَى الى العالَمِ العُلوِي[1]

لئِـنْ كانَ غيري قدْ سَها عن حبيبِهِ

فما أنـا يوما عن نُضـارَ بذي سَـهْوِ

وإنْ كانَ سكرانٌ من الحبِّ قـد صَحَـا

فاءنّي سكرانٌ وما لي من صَحْـوِ

سقَى روضةً حلّت نُضارُ قَرارَهـا

مُغِبُّ من الغُرِّ الغَوادِي بلا صَحْـوِ

ولا زالَ رَيحانٌ يُظِلُّ ضريحَهـا

فما روضةٌ تَحوِي كمثلِ الذي تَحوِي

٢٣٧

وقال أيضا رحمه الله :

الطويل

أَيـا مانِحـيَ الحـلواءَ جُـوداً ومانعي

على بُخْلٍ أَحلَى وأَشْهَى من الحَلْوَى

---

(١) شعوب : المنية .

رُضابٌ حكَتْهُ الراحُ طَعماً ونَكْهَـةً

وان لم تَذُقْهُ الروحُ راحتْ به نَشْوَى

وإنّي ولـو ذاقتْـهُ دامَ انتشاؤهـا

الى الأجَلِ المحتومِ لا تَبتَغي صَحْـوَا

وقد كُنْتُ أسْلو لو يَمُنُّ برَشْفَةٍ

فلا هُـوَ ذُو مَنٍّ ولا أنـا ذُو سَلْوَى

قافية الياء

٢٣٨

قال رحمه الله تعالى [١٨١] :

الطويل

بروحي مُكارٍ ما جَفا جَفني الكَرَى
ولا ضلَّ عقلي في هواهٍ ولا وعْيِ

هو الظبيُ في جِيدٍ وعَينٍ ونَفرةٍ
وإن لا يكُنْهُ فهو حقاً أخو الظبيِ

أَلَمْ ترَ أنَّ الظبيَ ينفِرُ ساعِيا
وهذا حبيبي في نَفارٍ وفي سَعْيِ

حكَى الشَّمْسَ في التَّسيارِ والبدرَ في السُّرَى
فباليومِ في سيرٍ وبالليل في سَرْيِ

وفاتَهُما عَقْلاً ونطقاً وصُورةً
وليس جمادٌ في الفضائِلِ كالحيِّ

وعابُوه بالخلقان وهي التي غَدَتْ
على جسمهِ الفضيِّ أبهى من الحلْيِ

كتمتُ الهوَى عنه فكانَ مُطاوعي
وما مِن خلافٍ منه في الأمرِ والنهْيِ

أشاهدُ منه صورةً مَلَكِيَّةً
تنزَّلُ منها سورةُ الحبِّ لا الوَحيِ

وأَبْصِرُ منهُ البدرَ في الارضِ ماشياً
ومن ذا الذي يستخدِمُ البدرَ بالمَشيِ

نتائجُ هذا كلّه الكتمُ للهَوَى
وكَتْمُ الهوَى من عادةِ الحازِمِ الرأْيِ

وكُنْتُ امْرَءاً أَهْوَى الجمالَ ولم أَشُبْ
وَدادِي يوما باتِّباعي للغيِّ

٢٣٩

وقال رضي الله تعالى عنه :

الطويل

إِذا كانَ للانسانِ عندكَ حاجةٌ
أتَى رائحاً فيها اليكَ وغادِيا

فان تَقْضِها يَوما فليسَ مُسَلِّماً
عليكَ ويهوَى أَنْ يرى لك ناعيا

٢٤٠

وقال عفا الله تعالى عنه [١٨٢] :

الطويل

إِذا ما شَرِبْتُ الرَّاحَ يا صاحِ فاتَني
لأَرْشِفَ من ذاك الرُّضابِ بقَاياها

فاءِنْ فاتني رَشْفُ المُدامِ فاءنني
ساقنَعُ منها بانتشاقِي رَيّاها

٢٤١

وقال عفا الله عنه :

الطويل

هي الوَجْنَةُ الحمراء والشَفَةُ اللَمْيا
لقد تركاني في الهوى ميّتاً حيّا[1]

هما أَلبَسا جسمي سَقاماً وأَورَثا
فؤاديْ غراماً حِمْلُه الصبَّ قد أَعْيا

فمن مُهجتي نارٌ ومن مُقلتي حيا
متى اشتعلَت هذي تزَيّد ذا جريا

وبي منْ إِذا ناجيتُه ذُبْتُ هيبةً
وجانَبته جهْراً وهمتُ به خِفيا

مليحٌ إِذا ما لاحَ أَبْهتَ من رَنا
فأردَى الذي أنأى وأَحْيا الذي حيّا

عليمٌ بنِيّاتِ النفوسِ وما حوَتْ
كأنَّ له من نحْوِ أَسْرارِها وَحيا

تجمَّعَت الأضدادُ فيه محاسِنا
فعبستُهُ موْتٌ وبسمتُه محيا

وغُرَّتُهُ بدرٌ وطُرَّتُهُ دُجىً
وأَعطافُه ظَمأَى وأَردافه ريّا

---

(١) الشفة اللمياء : هي التي بها سواد .

أعارَ اعتِدالاً كُلَّ غُصنٍ كمثلِ ما
أعارَ السَّنَى والنّاضِرَ الشَّمسَ والظَّبيا

وأَخْجَلَ نورَ الشمسِ لما تقابَلا
فحُمرتُهُ إِذْ غابَ من فَرط ما استحيا

عجِبتُ لخالٍ حلَّ في وَسَطِ أنفِهِ
وعَهدي به وَسْطَ الخُدودِ يرَى وَشْيا

ولكنَّما خَدّاهُ فيه تَغايَرا
هوًى فابتغَى من وجهِهِ أَوسَطَ الأَشْيا

[١٨٣]

وحُسنُ الفتَى في الأَنف والأنفُ عاطِلٌ
فكيف اذا ما الخالُ كانَ له طَيّا

أيا باخِلاً حتّى بتقبيلِ كَفِّهِ
على من سَخا حتّى بحَوباهُ في الدنيا(١)

ألم تَدرِ أَنّي طوعُ حُسنِكَ دائما
وقلبيَ لا يَعْصيكَ أمراً ولا نَهْيا

---

(١) هذا البيت والذي بعده مذكوران في المنهل الصافي ج٣ ص ٣٢٣ أ ـ ب . وفيه : حتى بمهجته هديا .
حوباه : نفسه .

٢٤٢

وقال(١) عفا الله عنه : الطويل

عِداتي(٢) لهُم فضلٌ عليَّ ومِنَّةٌ
فلا أذهبَ الرحمنُ عنّي الأعادِيا(٣)
همُ بحثوا عن زلَّتي فاجتنبْتُها(٤)
وهم نافَسُوني فاكتَسَبْتُ المعاليا(٥)

٢٤٣

وقال رضي الله عنه : البسيط

اللهُ أكْبرُ هذا الريمُ روميٌ
أمْ أحْورٌ عادَنا من عَدنِ حُوريُّ

---

(١) البيتان في الوافي بالوفيات وأعيان العصر ج٧ وفوات الوفيات وطبقات الشافعية ج٦ ص٣٥ وفيه : « انشدني شيخنا أبو حيان لنفسه بقراءتي عليه » ، وطبقات الشافعية للاسنوي ورقة ٩٧ والكتيبة الكامنة ص٨٥ والدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٥ وبغية الوعاة ج١ ص٢٨٣ ونفح الطيب ج٣ ص ٢٩٠ وفيه : « واخذ هذا المعنى من قول الطغرائي :

من خص بالود الصحاب فانني ... أحبوا بخالص ودي الاعداءا
جعلوا التنافس في المعالي ديدن ... حتى وطئت بأخمصي الجوزاءا
ونعوا الي مثالبي فحذرتها ... ونفيت عن أخلاقي الاقذاءا
ولربما انتفع الفتى بعدوه ... كالسم أحيانا يكون دواءا

وشذرات الذهب ج٦ ص١٤٧ والبدر الطالع ج٢ ص٢٩١ وروضات الجنات ج٤ ص٢٠٥ .

وتنظر ص٥١ من هذا الديوان .

(٢) كذا في الاصل ومعظم المصادر ، أما في البغية والبدر الطالع والدرر والشذرات : عداي .

(٣) كذا في الاصل ومعظم المصادر ، أما في البدر الطالع والدرر فلا صرف الرحمن .

(٤) كذا في الاصل ومعظم المصادر ، اما في الكتيبة : فسترتها .

(٥) كذا في الاصل وجميع المصادر اما في طبقات الاسنوى : فاجتنيت المعاليا .

مُوَحَّدُ الذاتِ لا تُحصَى محاسِنُهُ

بالطَّرفِ مُبتذلٌ بالسَّيفِ مَحمِي

سناهُ والشَّعْرُ والهادِي وقامتُهُ

صبحٌ وليلٌ وبِلَّورٌ وخِطِّيُّ

٢٤٤

وقال وكتب الى التاج مظفر الذهبي :

الكامل

قلّدتُ طرسي من حُلاكَ جواهرا

فغدا ومنظرُهُ البهيمُ بهِيُّ

دُرَرٌ تَوَدُّ الغيدُ من شَغَفٍ بها

لو كانَ منها للنُّحورِ حُلِيُّ

أبهتْنَ لما لُحنَ كُلَّ مفَوَّهٍ

فالطرفُ مُعْيٍ واللسانُ عَيِيُّ

للهِ مِنها مُذهباتٍ شُرَّدٍ

للتاجِ يَنْمَى دُرُّها الصدَفِيُّ

[١٨٤]

*   *

فكتب اليه التاج مظفر بخطه :

الكامل

فَخْراً أَبا حيان أَنْتَ أَثيرُ دِ
ينِ اللهِ مَجدكَ في الاثيرِ عليُّ
أَغْرَبْتَ إِذ أعربتَ عن أدبٍ لقد
فُقْتَ العراقَ وأنتَ أندلسيُّ
يا حَبْرَ عِلمٍ صَدْرُه بحرٌ طَما
باللَّفظِ منك لكُلِّ راوٍ رِيُّ
هَذَّبتَ ما ذَهَبتُ من نَظمي لقد
عطَّرْتَهُ بالنَّشرِ فهو ذكيُّ

٢٤٥

وقال(١) رحمة الله عليه :

الطويل

أما أنَّهُ لولا ثلاثٌ أُحِبُّها
تمنَّيتُ أني لا أُعَدُّ من الأَحيا

---

(١) ذكرها المقرى في نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٤ ، وقال قبلها : « وقد أورد قاضي القضاة ابن جماعة للشيخ أبي حيان من النظم غير ما قدمنا ذكره ... » . وذكرها في ص ٤١٠ من الجزء نفسه وقال : « وأنشد أبو حيان لابي جعفر احمد بن صابر القيسي :

لولا ثلاث هن والله من ... أكبر آمالي في الدنيا
حج لبيت الله أرجو به ... أن يقبل النية والسعيا
والعلم تحصيلا ونشراً اذا ... رويت أوسعت له ريا
وأصل ود أسأل الله أنْ ... يمتع بالبقيا وباللقيا
ماكنت أخشى الموت أنى أتى ... بل لم أكن ألتذ بالبقيا

وقال أبو حيان فى هذه المادة : أما انه لولا ثلاث ... » ثم ذكر الابيات .

فمنها رَجائي أنْ أفوزَ بتوبةٍ
تُكَفِّرُ لي ذَنباً وتُنجِحُ لي سعيا

ومِنهُنَّ صَوني النفسَ عن كلِّ جاهلٍ
لئيم فلا أَمشِي الى بابِهِ مَشْيا

ومنهُنَّ أخْذي بالحديثِ إذا الورَى
نَسُوا سُنَّةَ المختارِ واتَّبعوا الرَّأيا

أتَتركُ نَصّاً للرسولِ وتقتدي
بِشخصٍ ، لقد بَدَّلْتَ بالرَّشَدِ الغَيّا

٢٤٦

وقال(١) غفر الله له : **الوافر**

يقولُ ليَ العذولُ ولم أُطِعْهُ
تَسَلَّ فقد بَدَتْ لِلحِبِّ لِحْيَه(٢)

تخيَّلَ أنها شانَت حَبيبي
وعندي أنَّها زَيْنٌ وحِلْيَه(٣)

٢٤٧

وقال عفا الله عنه [١٨٥] : **الطويل**

أذَاتَ اللثامِ الحُمِّ والشَفَةِ اللَّميا
بِعادُكِ لي موتٌ وقُربُكِ لي مَحيا(٤)

---

(١) ذكرت في الوافي بالوفيات ونكت الهميان ص٢٨٢ ، وفيه يقول الصفدي : « وانشدني من لفظه لنفسه » ، واعيان العصر ج٧ وفوات الوفيات ونفح الطيب ج٣ ص٣٠٨ .

(٢) الحب – بكسر الحاء – : الحبيب .

(٣) شانت : عابت .

(٤) الأحم : هو الاسود من كل شيء والجمع : الحم – بضم الحاء ، والشديد السواد . (اللسان – حمم)

سكَنتِ فُؤاداً لم يَزَلْ منكِ خافِقاً
وصيَّرتِ حُلوَ العيشِ يا منيتي شَرْيا

برُوحِي التي زارَت بليلٍ وأقبَلَتْ
تَجُرُّ على آثارِها العَصْبَ والوَشْيا

هَداها سَناها نحو طاوٍ ضُلوعَهُ
على سَلْوَةٍ ماتَت ووَجد بها حيَا

تحلَّت بدُرٍّ فوقَ لَبَاتِ نَحْرِها
فكانَ لذاكَ الدُرِّ لَبَاتُها حلْيا

ومَسَّت بمِسواكٍ مؤشَّرَ ثَغْرِها
فذاقَتْ له مِسْكاً ومَجَّت به أرْيا

وألْقَت به نَحوِي لتُبرد غُلَّتي
برَشفي له فازدادَ قلبي به غَلْيا

من التُركِ ضاقَ العينُ منها لبُخلِها
وليست من العِينِ التي تُشبِهُ الظَّبيا

سُمَيراءُ حاكَى طائِرَ السُّمرِ قدُّها
حكاهُ ولكن اينَ أردافُه الرَّيّا

أبَى الدمعُ إلاَّ نشرَ حُبّي وإنْ غدا
فؤادي طواه عن جميع الوَرَى طيّا

٢٤٨

وقال عفا الله عنه :   الطويل

وأَغْيدَ من أَبناءِ خاقانَ قد بَدا
له وجنةٌ يجلو سَناها الدَّياجِيا

تعلَّم من عينِ الظِّباءِ نِفارَها
يمرُّ ويأتي لاعِباً مثلَ ماهِيا

ومرَّ بنا يعدُو وراءَ إِوَزَّةٍ
وقد ذعِرَت منهُ كذُعرِ فؤادِيا

[١٨٦]

عجِبْتُ لهذا الظبيِ يكسِرُ طائراً
وقد كَسَرتْ عيناهُ أُسداً ضواريا

أَيَجْهلُ هذا الطيرُ أَنَّكَ جارحٌ
ألم يرَ أكبادَ الرجالِ دَوامِيا

٢٤٩

وقال عفا الله عنه :   الخفيف

أَنا مشطٌ حُزْتُ المَلاحةَ لمّا
سُرِّحتْ بي دبوقةٌ لِعليٍ[1]

كلُّ قلبٍ في حُبِّهِ قَدْ توالى
كيفَ لا واسمُهُ سَمِيُّ الوَصِيِّ

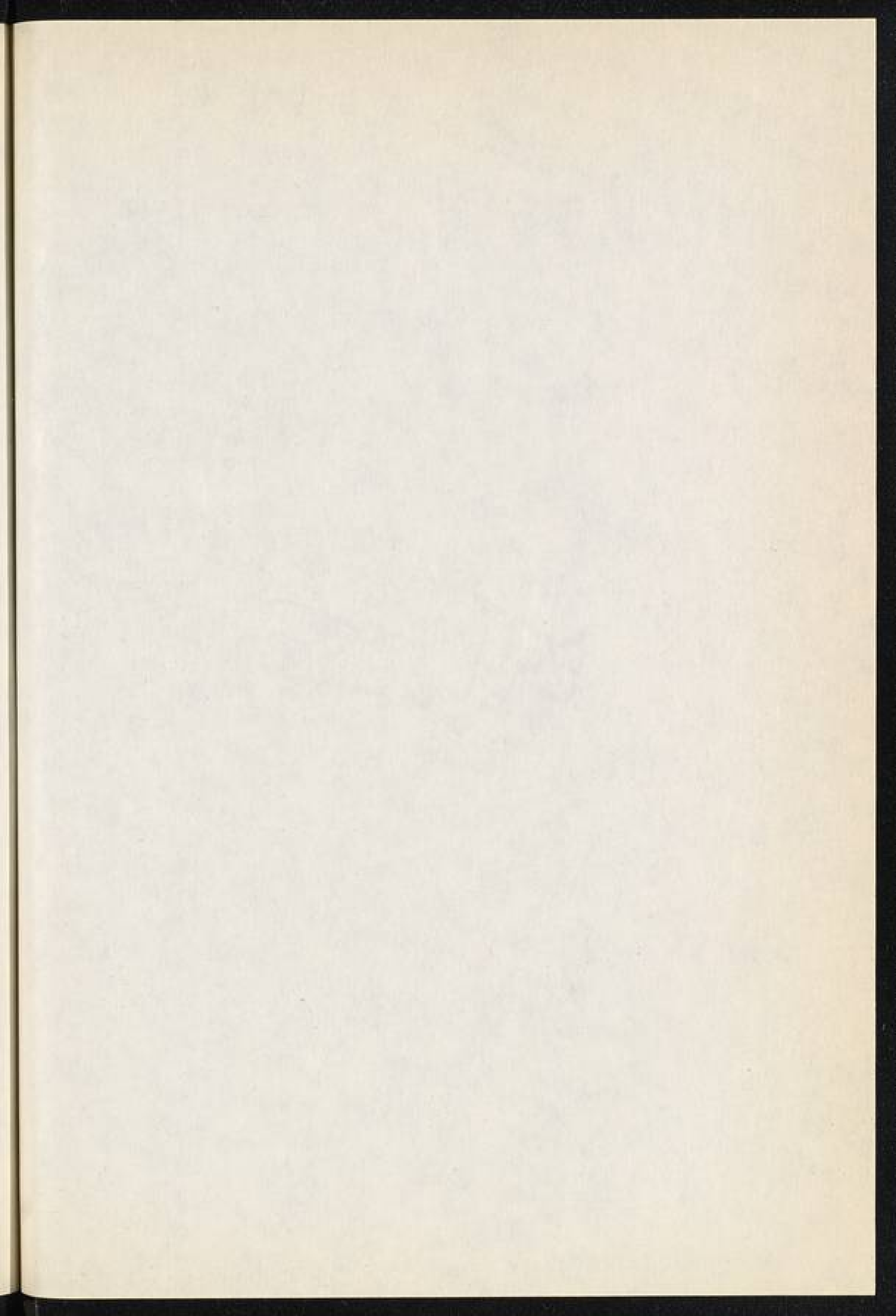
* *

تم الديوان المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، والحمد لله رب العالمين [١٨٧]

---

(١) الدبوقة : الشعر المضفور ، مولدة (القاموس المحيط) .


تكملة الديوان



الهمزة

١

قال من قصيدة في مدح أم ولده حيان(١) :

الطويل

جُنِنْتُ بها سوداء لون وناظرٍ
ويا طالما كان الجنونُ بسَوداءِ

وَجَدْتُ بها بَرْدَ النعيم وإنْ يكن
فؤادي منها في جحيمٍ ولأْواءِ(٢)

وشاهَدْتُ معنى الحسن فيها مُجَسَّداً
فاعجبْ لمعنى صار جَوْهَرَ أَشياءِ(٣)

أطاعنةً من قَدِّها بمثقفٍ
أَصَبْتِ وما أغنى الفَتَى لبْسُ حَصّداءِ(٤)

لقد طعنتْ والقلبُ ساهٍ فما دَرَى
أبالقَدِّ منها أم بِصَعْدَةٍ سَمراءِ(٥)

---

(١) هي زوجه زمردة بنت أبرق ام ولده حيان ٠ وقد أسمعها الكثير على الابرقوهي وغيره ، وحدثت وسمع منها البرزالي ، وماتت في ربيع الاول سنة ٧٣٦هـ ٠ وكانت تكنى « أم حيان » ٠ (ينظر الدرر الكامنة ج٢ ص١١٦) ٠

(٢) اللأواء : المشقة والشدة ، وقيل : القحط ٠ ويقال : « أصابتهم لأواء وشأصاء » ، وتكون اللأواء في العلة ٠ وقال العجاج :
وحالت اللأواء دون نسعي

(٣) جوهر الشيء : ما وضعت عليه جبلته ٠

(٤) المثقف : الرمح ٠ الحصداء : الدرع ضيقة الحلق ، المحكمه ٠

(٥) الصعدة : القناة المستوية ٠

ثم غير البيت الاول وانشد :

جُنِنْتُ بها سوداءَ شعرٍ وناظرٍ
وسمراءَ لونٍ تزدري كُلَّ بيضاءِ

التخريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٥ •

٢

ومن ذلك قوله في فتى يسمى مظلوما :

الطويل

وما كنتُ أدري أنَّ مالِكَ مهجتي
يُسَمَّى بمظلومٍ ، وظلمٌ جفاؤُه
الى أنْ دَعاني للهوى فأجَبْتُه
ومن يكُ مظلوماً أُجيبَ دعاؤه

التخريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين ابن الخطيب ص٨٥ • وذكر أنهما من بديع ما ينسب الى ابي حيان •

البـاء

٣

وقـال : الطويل

ومالَكَ والاتعـابَ نفســاً شريفةً
وتكليفَها في الدهر مـا ليس يَعْذُبُ
أرِحْهـا فعن قُرْبٍ تلاقي حِمامَهـا
فتنعمُ في دارِ البقـا او تُعذَّبُ

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٤٠ ـ ٣٤١ وذكر المقـرى بعـدهمـا : « واستشكل هذان البيتان بان ظاهرهما خلاف الشرع ، وأجيب بان مراده أمر الرزق لا أمر التكليف » .

٤

وقـال : الطويل

إذا غـاب عن عينـي أقـول : سَـلَوْتُهُ
وإن لاحَ حالَ اللـونُ فاضطرب القَلْبُ
يُهيِّجُني عينـاهُ والمبسـمُ الـذي
بـه المِسْكُ منظومٌ به اللؤلؤ الرَّطْبُ

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٤٠ . وذكر المقري قبل هذين البيتين : « وبعد كتبي ما نقله ابن رشيد عن أبي حيان ، رأيت لبعضهم أن أبا حيان هذا الذي ذكره ابن رشيد ليس هو أبو حيان النحوي الاندلسي ، وانما هو شخص آخر . وفيه عندي نظر لا يخفى . والذي اعتقده ولا أرتاب فيه أنه أبو حيان النحوي . وقال ابن رشيد وأنشدني أبو حيان لنفسه : اذا غاب ... » .

٥

وقـال :

الطويل

أريد من الدنيـا ثلاثاً وإنهـا
لغـايةُ مطلوبٍ لمن هو طالبُ
تلاوةُ قـرآنٍ ونفسٌ عفيفـةٌ
وإكثارُ أعمالٍ عليهـا أواظبُ

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٠ ، نقلا عن البرنامج للفقيه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي تلميذ أبي حيان .

٦

وقـال :

الطـويل

سعت حيَّـةٌ من شَعْرِه نحـو صُدْغِه
وما انْفَصَلَتْ من خَدِّه إنَّ ذا عَجبْ[1]
وأعجبُ مِنْ ذا أنَّ سلسـالَ ريقـه
بَرُودٌ ، ولكن شَبَّ في قلبيَ اللَّهَبْ[2]

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٣٠ .

---

(١) الصدغ : ما بين العين والاذنين ، ويسمى أيضا الشعر المتدلي عليه صدغا ، يقال « صدغ معقرب » .

(٢) برود ـ بفتح الباء ـ بزنة (صبور) : بارد .
شب : اضطرم أو أضرم .
اللهب : النار .

٧

وقال في رثاء أستاذه أبي عبدالله بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف الانصارى الشاطبي البلنسي(١) ، وأنشدها ارتجالا :

المتقارب

نُعي لي الرَّضيُّ فقلت لقد
نُعي ليَ شيخُ العُلا والأدَبْ

فَمَنْ للغاتِ ؟ ومَنْ للثقاتِ ؟
وَمَنْ للنُحاة ؟ ومَنْ للنَّسبْ ؟

لقد كان للعلمِ بَحْراً فغارَ
وإنَّ غؤورَ البحارِ العجب

فقُدِّس من عالِمٍ عاملٍ
أثارَ لشجويَ لمّا ذهب

التخريج :

١ ـ الحلل السندسية ج٣ ص٢٠٧ ، ولم يذكر المصدر الذي استقى منه الابيات .

٨

وقال في أعمى :

البسيط

ما ضرَّ حُسْنُ الذي أهواه أنَّ سنى
كريمتيه بلا شَيْنٍ قد احتجبا(١)

---

(١) هو محمد بن علي بن يوسف رضي الدين أبو عبدالله الانصارى الشاطبي اللغوى . ولد ببلنسية سنة ٦٠١هـ . كان امام عصره فى اللغة ، وروى عنه أبو حيان وآخرون . توفى فى القاهرة سنة ٦٨٤هـ . (ينظر بغية الوعاة ج١ ص ١٩٤) .

(١) الشين : يقال شانه يشينه : ضد زانه .

قد كانتا زَهْرَتَي روض وقد ذوتا
لكنَّ حُسْنَهما الفتّان ما ذهبا[1]
كالسيفِ قد زال عنه صقْله فغدا
أنكى وآلمَ في قلبِ الذي ضربا

التخريج :

١ ـ الوافي بالوفيات ، يقول الصفدي : « وانشدني لنفسه ومن خطه نقلت في مليح أعمى » •

٢ ـ أعيان العصر واعوان النصر للصفدي ج٧ •

٣ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣٠١ ـ ٣٠٢ •

٩

وقال :

الطويل

شكا الخصْرُ منه ما يلاقي بردْفه
ويضْعفُ غصنَ البانِ جرّ كثيبِ
إذا كان منه البَعْضُ يَظْلِمُ بعضَه
فما حالُ مشتطّ الديارِ غريبِ[2]

التخريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين ابن الخطيب ص٨٥ • وذكر انهما من أبدع ما ينسب الى أبي حيان من المقطوعات •

---

(١) كذا في الوافي بالوفيات واعيان العصر ونفح الطيب ، ولكن جاء في احدى نسخ نفح الطيب هكذا : « لكن حسنهما الفتان قد ذهبا » •

(٢) شط : بعد •

١٠

وقال : الخفيف

جُنَّ غيري بعارضٍ فترجّى
أهلُه أن يفيقَ عمّا قريبِ
وفؤادي بعارضين مُصابٌ
فهو داءٌ أعيا دَواءَ الطبيبِ[١]

التخريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ص ٨٥ • وذكر انهما من بديع ما ينسب الى أبي حيان من المقطوعات •

٢ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٩ •

١١

وقال رحمه الله : مخلع البسيط

بَعيدُ ودٍّ ، قريبُ صَدٍّ
كثير عَتْبٍ ، قليلُ عُتْبَى[٢]
كالشمسِ ظَرْفاً ، كالمسك عَرْفاً
كالخِشْفِ طَرْفا ، كالصخر قَلْبا[٣]

---

(١) كذا في نفح الطيب ، اما في الكتيبة : أعيا فؤاد الطبيب • عارضتا الانسان : صفحتا خديه • وقولهم : « فلان خفيف العارضين » يراد به خفة شعر عارضيه •

(٢) العتبى : المسرة بعد الاساءة •

(٣) الظرف : الكياسة ، والظرف انما هو في اللسان أو هو حسن الوجه والهيئة ، أو يكون في الوجه واللسان •
العرف : الريح طيبة أو منتنة ، وأكثر استعماله في الطيبة • والعرف : نبات أو الثمام •
الخشف : ولد الظبي أول ما يولد ، أو أول مشيه ، أو التي نفرت من اولادها وتشردت • جمعه كقردة •

التخـريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين ابن الخطيب ص ٨٦ • وذكر انهما من أبدع ما ينسب الى أبي حيان من المقطوعات •

١٢

وقـال :

البسيط

يا نَفْسُ مالَـكِ تَهْوَيْنَ الاقـامة في
أرضٍ تَعَـذَّرَ كُـلٌّ من مناكِ بِهـا

أما تلوتِ وعجزُ المـرءِ منقصـةٌ
في محكم الوحي « فامشوا في مناكبها »[1]

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج ٧ ص ١١٨ • يقول المقري قبلهما : « ومن الغريب في توارد الخواطر ما وجد بخط الأديب البارع المحدث الكاتب أبي عبدالله محمـد ابن الشيخ الكبير أبي القاسم جزي الكلبي رحمهما الله تعالى ما معناه : قلت هذه القطعة :

ومعسـول اللـمى عادت عـذابا ‏ ‏ على قلبـي ثناياه العـذاب
وقـد كـتب العـذار بوجنتيه ‏ ‏ كتـابا خَطُّ قارئه اكتئـاب
وقالوا : لو سلوت ، فقلت خـيراً ‏ ‏ وأنّى لي ؟ وقـد سـبق الكتاب

ثم عرضتها على شيخنا القاضي أبي القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة فقال لي : قد نظمت هذا المعنى بالعروض والقافية في هذه الأيام اليسيرة ، وانشدني :

---

(١) قال تعالى في سورة الملك ، الآية ١٥ : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها » •

واحور زان خديه عـذار • • •

وهذا يقع كثيرا ، منه ما وقع لابن الرقام حيث قال : من شعر عمي قوله :

جُلْ في البلاد تنل عِزاً وتكرمةً في أي أرض فكن تبلغ مناك بها[1]
جلْ الفوائد بالاسفار مكتسبٌ والله قد قال (فامشوا في مناكبها)

فقال له الفقيه ابن حذلم : مثل هذا وقع لابي حيان حيث قال : يانفس ••••

---

(١) جل : أمر من الجولان ، وهو التنقل في البلاد •

التـاء

١٣

ومن أبياته في غرض التصوف قوله في جيد كلامه :

الطويل

تَفَرَّدْتُ لما أنْ جُمِعْتُ بذاتي
وأسكنْتُ لما أنْ بَدَتْ حَرَكاتي

فلم أرَ في الأكوانِ غيري لأنني
أزحْتُ عن الأغيارِ روحَ حياتي

وقدَّسْتُها عن رُتبةٍ لو تَعَيَّنَتْ
لها دائماً دامتْ لها حَسَراتي

فها أنا قد أصْعَدْتُها عن حَضيضها
الى رتبةٍ تقضي لها بثباتِ

تشاهِدُ مَعْنىً ، روضُه أذْهَبَ العنا
وأيقظني للحقِ بَعد سِناتي(١)

أقامت زمانا في حجابٍ فعندما
تزحزح عنها رامتِ الخلواتِ

---

(١) الوسن والسنة : النعاس . وقد وسن الرجل ـ بالكسر ـ يوسن وسناً فهو وسنان ، وأستوسن مثله .

لنقضيْ بهـا مـا فـات من طِيبِ أُنْسِـنا

بهـا وننالَ الجمـع بعـد شـتاتِ

التخـريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان‌الدين بن الخطيب ص ٨٢ ـ ٨٣ .

الثـــاء

١٤

وقـال :

الطويل

ألا إنَّ ألحـاظاً بقلبـي عوابِثـا

أَظُنُّ بهـا هاروت أصبـح نافثا(١)

إذا رام ذو وَجْـدٍ سُـلواً مَنَعْنَهُ

وكُنَّ على دِينِ التَّصابي بواعِثـا

وَقَيَّدْنَ مَنْ أَضْحى عن الحب مُطلقـاً

وأَسْرَعْنَ للبلوى بمن كان رائثا(٢)

بروحي رَشـاً من آل خاقـان راحِلٌ

وإن كانَ مـا بين الجوانحِ لابثـا(٣)

---

(١) كذا في أعيان العصر ونفح الطيب ، أما في الوافي بالوفيات وفي نسخة أخرى من نفح الطيب : الا يانها لحظا بقلبي عوابثا ٠

ورد ذكر هاروت في القرآن الكريم قال تعالى في سورة البقرة الآية ١٠٢ : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون بـــه بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » ٠

(٢) رائثا : مبطئاً ، الريث : الابطاء ٠

(٣) الرشأ : الظبي اذا قوى ومشى مع أمه ٠

غدا واحداً في الحُسْنِ للفضل ثانيا

وللبــــدر والشمس المنــيرةِ ثالثــا

التخـريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي ٠

٢ ـ أعيان العصر واعوان النصر للصفدي ج٧ ٠

٣ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣٠٩ ٠

الحاء

١٥

قال أبو حيان : « وكنت ماشياً بين القصرين مع ابن النحاس(١) ، فعبر علينا صبي يدعي شهرته بجمال ، وكان مصارعا فقال البهاء : لينظم كل منا فيه » . ثم قال :

البسيط

مصارعٌ تصرعُ الآسادَ شهرتُه
تيهاً ، فكلُّ مليحٍ دُونه سَمِج

لما غدا راجحاً في الحُسْنِ قلت لهم :
عن حُسْنِهِ حدّثوا عنه ولا حَرَجُ

فنظمت أنا :

الطويل

سَباني جمالٌ من مَليحٍ مُصارعٍ
عليه دليلٌ للملاحةِ واضِحُ

لئن عزّ منه المِثْلُ فالكلُّ دونَه
وإنْ خفّ منه الخَصْرُ فالرِّدْفُ راجحُ (٢)

التخريج :

١ ــ نفح الطيب ج٣ ص٣٣٦ .

---

(١) هو محمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي نصر الامام أبو عبدالله بهاء الدين بن النحاس الحلبي النحوى شيخ الديار المصرية فى علم اللسان وهو استاذ أبي حيان . ولد سنة ٦٢٧هـ ، ومات سنة ٦٩٨هـ . (ينظر بغية الوعاة ج١ ص١٣) .

(٢) الخصر : وسط الانسان ، وكشح مخصر : أى دقيق .
الردف : الكفل والعجز .

١٦

وقال مادحاً احمد بن علي بن احمد الهمداني ثم الكوفي الحنفي فخرالدين الشهير بابن الفصيح(١) :

الخفيف

شَرُفَ الشَّامُ واستنارَتْ رباه

بإمام الائمة ابْنِ الفصيحِ

كُلَّ يَوْمٍ لـه دروسُ علومٍ

بلِسانٍ عَذْبٍ وفِكْرٍ صحيحِ

التخريج :

١ - الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٠٥ • وذكر ابن حجر بعدهما : «وقال العلامة ابن خطيب الناصرية : انهما من أبيات والله أعلم».

٢ - تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا ص ١٣ (ترجمة ابن الفصيح) وقال قبل هذين البيتين : « كتب اليه الشيخ أثير الدين ابو حيان لما قدم دمشق قصيداً منها : شرف الشام ...»

١٧

ومن شعره في النسيب وما يناسبه ، قوله :

الكامل

كتم اللسانُ ، ومدمعي قد باحا

وثوى الأسى عندي وأنسي راحا

---

(١) هو احمد بن علي بن احمد فخر الدين أبو طالب الشهير بابن الفصيح • درّس ببغداد وقدم دمشق فاعاد وافاد ومهر في حل المشكلات والغوامض ونظم الكنز في الفقه ، والسراجية في الفرائض ، والمنار في أصول الفقه • ونظم شاطبية اظهر رمزها وجاءت أصغر من الشاطبية • وسمع على الصاغاني وروى عنه • وكانت وفاته بدمشق يوم الاحد السادس والعشرين من شعبان سنة خمس وخمسين وسبعمائة ومولده سنة ثمانين وستمائة ، وقد قارب الثمانين • (ينظر تاج التراجم في طبقات الحنفية ص ١٣) •

إني لَصَبٌّ طيَّ ما نشرَ الهوى
نَشْراً ، وما زال الهوى فضّاحا

وبمهجتي من لا أصَرِّح باسْمِه
ومن الاشارة ما يكون صراحا

رِيمٌ أرومُ حنوّه وجنوحَه
ويرومُ عني جفوةً وجماحا(١)

أبدى لنا من شَعْره وجبينه
خدين : ذا ليلاً ، وذا إصباحا

عَجباً له يأسو الجسومَ بطبه
ولكَمْ بأرواحٍ أثارَ جراحا(٢)

فبلفظِه بُرْءُ الأخيذِ ، ولحظه
أخْذُ البريءِ ، فما يطيقُ بَراحا(٣)

نادَمْتُه في ليلةٍ لا ثالثٌ
إلاّ أخوه البدرُ غارَ فلاحا

يا حُسْنَها من ليلةٍ لو أنَّها
دامتْ ومَدَّت للوصال جناحا

التخريج :

١ - الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين ابن الخطيب ص ٨٣ .

---

(١) الريم : الظبي الخالص البياض .
الجماح : جمح الفرس جماحا : تغلب على راكبه وذهب به لا ينثني .

(٢) يأسو : اسا الجرح أسواً وأساً : داواه .

(٣) الأخيذ : الأسير والمسحور .

الـدال

١٨

وقال سامحه الله تعالى :

الطويل

تعشقْتُه شيخاً كأنَّ مشيبه
على وجنتيه ياسمين على وَرْدِ

أخا العَقْلِ[١] يدري ما يراد من النهى[٢]
أمنتُ عليه من رقيبٍ ومن ضدِّ[٣]

وقالوا[٤] : الورى قسمان في شرعة الهوى
لسود اللحى ناسٌ ، وناسٌ الى المُرْدِ

ألا إنني لو كنتُ أصبو لأمردٍ
صبوت الى هيفاءَ مائسةِ القدِّ[٥]

وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركاً
فأحْبَبْتُ أنْ أبقى بأبيضهم وحْدي

التخـريج :

١ - الوافي بالوفيات للصفدي •

---

(١) كذا في الوافي بالوفيات ونكت الهميان ونفح الطيب ، أما في فوات الوفيات : أخا الفضل •

(٢) كذا في الوافي بالوفيات ونكت الهميان ، أما في فوات الوفيات ونفح الطيب : ما يراد من الهوى •

(٣) كذا في الوافي بالوفيات ونكت الهميان وفوات الوفيات ، أما في نفح الطيب : ومن صد •

(٤) كذا في الوافي بالوفيات ونكت الهميان وأعيان العصر ونفح الطيب ، اما في فوات الوفيات : وقال •

(٥) ماس يميس فهو مائس : متبختر •

٢ ـ نكت الهميان في نكت العميان ص ٢٨٢ • وقال الصفدي : « وأنشدني من لفظه لنفسه » •

٣ ـ أعيان العصر وأعوان النصر ج٧ •

٤ ـ فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٧ •

٥ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣٠٩ •

١٩

وقال :

البسيط

يا مُنضِيَ الطَّرْفِ في مَيدان لـذته
وناضيَ الطَّرْفِ بين الراحِ والرُّود[١]

ستشربُ الراحَ راحَ الوقتِ كارهةً
ويذهبُ الجسمُ بين التُرْبِ والدُّودِ

التخريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٥ •

٢٠

وقال ـ رحمه الله ـ في مليح فحّام :

الطويل

وعلّقتُهُ مسودَّ عينٍ ووفرةٍ
وثوبٍ يعاني صنعةَ الفحم عن قَصْدِ[٢]

---

(١) نضاه من ثوبه : جرده ، أنضاه : هزله وأعطاه نضواً ، وانضى الثوب : أبلاه • الرود : جمع راد ، وهي الطوافة في بيوت جاراتها ، والرادة : سريعة الشباب ، وريح رود : لينة الهبوب ، وكذلك المرأة •

(٢) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما سال على الاذنين منه ، أو ما جاوز شحمة الاذن •

كأنَّ خطوطَ الفحمِ في وَجناتِه

لطاخةُ مسكٍ في جنَيٍّ من الوَرْدِ

التخـريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي ٠

٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر ج ٧ ٠ وقال الصفدي : « وانشدني من لفظه لنفسه في فحام » ٠

٣ ـ فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٧ ٠

٤ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣١٠ ٠

٢١

وقال رحمه الله تعالى :

المديد

خُلِقَ الانسانُ في كَبَدِ[١]

بوجودِ الأهْلِ والوَلَدِ

كُلُّ عضْوٍ فيه نافعُه

غيرَ عضوٍ ضَرَّ للأبَدِ

منتجٌ ذُلاً وفَقْدَ غِنًى

وفراخاً جَمَّةَ العَدَدِ

من يَمُتْ منهم يُذِقْه أسًى

أو يعش ألقاه في نكدِ

---

(١) قال تعالى في سورة البلد الآية ٤ : « لقد خلقنا الانسان في كبد » ٠ أى في شدة الامر وصعوبة الخطب ٠ (ينظر الكشاف للزمخشرى ج٤ ص ٦٠٢) ٠

عاشَ في أَمْنٍ فتىً عَزَبٌ
مستريحُ الفِكْرِ والجَسَدِ[1]

التخريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٩ ٠

٢٢

وقال :

الخفيف

إنَّ عِلْماً تعبتُ فيه زماني
باذلاً فيه طارِفي وتِلادي[2]
لجديرٌ بأنْ يكونَ عزيزاً
ومَصوناً إلاَّ على الأجوادِ

التخريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٤٠ ٠

٢٣

وقال :

الطويل

وقابلني في الدرسِ أبيضُ ناعِمٌ
وأسمرُ لدنٌ أورثا جسمي الرَّدَى[3]
فذا هَزَّ من عطفيه رُمحاً مثقفاً
وذا سَلَّ من جفنيه عَضْباً مُهنداً[4]

---

(١) العزب : من لا أهل له ، ولا يقال : أعزب ٠

(٢) الطارف : الجديد ٠

التالد : القديم الموروث ٠

(٣) اللدن : اللين من كل شيء ، جمعه لدان ولدن ٠

(٤) العضب : السيف والرجل الحديد الكلام ٠

المهند : السيف المطبوع من حديد الهند ٠

التخـريج :

١ ـ تأريخ أبي الفدا ج ٤ ص١٤٢ .

٢ ـ تأريخ ابن الوردي ج٢ ص٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

٣ ـ جلاء العينين في المحاكمة بين الاحمدين ص١٨ .

٢٤

قال أحمد بن علي بن عبدالكافي بهاءالدين السبكي(١) يمدح شيخه أبا حيان من قصيدة :

الطويل

فداكم فـؤادٌ حـانَ للبُعْدِ فَقْدُه
وصَبٌّ قضى وَجْداً وما حال عَهْدُه(٢)

وقَلْبٌ جريـحٌ بالغـرام مُتَيَّمٌ
وطرْفٌ قريحٌ طال في الليل سُهْدُه(٣)

فأجابه الشيخ أبو حيان بقوله :

أبو حامدٍ حَتْمٌ على الناسِ حَمْدُه
لما حازَ من علمٍ به بانَ رُشْدُه

غَذِيُّ علومٍ لم يَزَلْ منذ نَشئه
يلوحُ على أُفْقِ المعارِفِ سَعْدُه

ذكيٌّ كأنْ قد جاحَمَ النارَ ذِهْنُه
ذكاءً ومن شمسِ الظهيرةِ وَقْدُه(٤)

---

(١) هو احمد بن علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام السبكي بهاءالدين ابو حامد . ولد سنة ٧١٩هـ وتوفي ٧٧٣هـ . وهو تلميذ أبي حيان (ينظر بغية الوعاة ج١ ص ٣٤٢) .

(٢) حال يحيل : تغير .

(٣) قريح : قرحه : جرحه ، فهو قريح أي جريح .

(٤) جحمت النار : اضطرمت وكثر جمرها ولهبها وتوقدها .

وَمَنْ حَازَ فِي سِنِّ البلوغِ فضائلاً

زَمانَ اغْتَذى بالعِيِّ والجَهلِ ضِدُّه

التخريج :

١ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ج١ ص٣٤٣ .

٢٥

وقال في مدح النحو :

الطويل

هو العلم لا كالعلم شيءٌ تراوِده

لقد فاز باغيه وانجح قاصِدُه

التخريج :

١ ـ اعيان العصر واعوان النصر ج٧ . قال الصفدي : « وانشدني من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التى نظمها في مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها الى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه وأولها : هو العلم ... وهي قصيدة جيدة تزيد على مائة بيت . وحكي لي ان الشيخ أثير الدين ـ رحمه الله تعالى ـ ضعف فتوجه اليه جماعة يعودونه ، وفيهم شمس الدين ابن دانيال فأنشدهم الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ القصيدة المذكورة . فلما فرغت قال ابن دانيال : يا جماعة : اخبركم ان الشيخ قد عوفي وما بقي عليه بأس لانه لم يبق عنده فضلة ، قوموا باسم الله » .

٢ ـ الوافي بالوفيات للصفدي وذكر ما ذكره في أعيان العصر ، ولم يذكر القصيدة .

٣ ـ نفح الطيب ج ٣ ص ٣١٤ . وقد نقل الكلام السابق عن الصفدي .

الـراء

٢٦

وقال رحمه الله في النسيب :

الـكامل

نورٌ بخدِّكَ أم توقُّدُ نارِ ؟
وضنىً بجفنِكَ أم كؤوسُ عُقارِ[١] ؟
وشذاً بريقِكَ أم تأرجُ مِسْكةٍ
وسنا بثغرِكَ أم شعاعُ دراري[٢] ؟
جمعتْ معاني الحسنِ فيك فأصبحت[٣]
قيدَ القلوبِ وفتنةَ الأبصارِ
متصاونٌ خفِرٌ[٤] إذا ناطقْتَهُ
أغضى حياءً في سكونِ وقارِ
في وجهه زهراتُ روضٍ تُجتلى
من نرجسٍ مع وردةٍ وبَهارِ[٥]

---

(١) كذا في الكتيبة الكامنة ، اما في الاحاطة ونفح الطيب : أم فتور عقار •
العقار ـ بالضم ـ الخمر ، سميت بذلك لانها عقرت العقل أو عاقرت الدن ، أى : لازمته • والمعاقرة : ادمان شرب الخمر •

(٢) الشذا : حدة ذكاء الرائحة •
الارج والاريج : توهج ريح الطيب • وأرج الطيب : فاح •
المسك : من الطيب • فارسي معرب ، وكانت العرب تسميه المشموم •

(٣) كذا في الكتيبة ، أما في الاحاطة ونفح الطيب : فقد غدت •

(٤) كذا في الكتيبة ، اما في الاحاطة ونفح الطيب : متصاون خفراً •
الخفر ـ بكسر الفاء ـ شديد الحياء ، والخفر ـ بفتحتين ـ شدة الحياء •

(٥) البهار : نبت طيب الريح ، وكل حسن منير •

خافَ اقتطافَ الوَرْدِ من وجناته[1]

فـأدارَ من آسٍ سـياجَ عِذار[2]

وَسـللت نمـل العِـذارِ بخدِّه

لـيرِدنَ شـهدةَ ريقـه المعطـارِ

وبخـدِّه وَرْدٌ حَمَتْهـا وِرْدَهـا

فوقَفْنَ بين الوِرْدِ والإِصْدارِ[3]

كـم ذا أواري في هـواه مَحبتـي

ولقد وشى بي فيه فَرْطُ أواري[4]

التخـريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ص٨٣ ـ ٨٤ ٠

٢ ـ الاحاطة في اخبار غرناطة للسانالدين بن الخطيب ٠

٣ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٣٩ ٠

---

(١) كذا في الكتيبة ، أما في الاحاطة ونفح الطيب : وجناتها ٠

(٢) عذار الرجل : شعره النابت في موضع العـذار ، والعـذار : جانب اللحية ٠

(٣) الورد ـ بالكسـر ـ المجيء ٠ والورّاد : هم الذين يردون الماء ٠ الاصدار : الرجوع ٠

(٤) أوارى : اخفي وأدارى ٠
اوار ـ الثانية ـ : الحرقة ٠

٢٧

جاء أبو حيّان الى ابن تيمية(١) والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا :

البسيط

لما أتينا(٢) تقيَّ الدين لاح لنا
داعٍ الى الله فَرْدٌ ماله وَزَرُ
على محياه من سيما الالى صحبوا
خيرَ البريةِ نورٌ دونه القمرُ
حَبْرٌ تسربل منه دهره حِبَراً
بحر تقاذَفُ من أمواجه الدرر(٣)
قام ابنُ تيميةٍ في نَصْرِ شرعتنا
مقامَ سيِّد تيمٍ(٤) إذ عصت(٥) مضر
وأَظْهَرَ الحقَّ إذ آثاره اندَرَسَتْ
وأخْمَدَ الشرَّ إذ طارتْ له شرر(٦)
كنا نُحَدَّثُ عن حَبْرٍ يجيء فها
أنت الامامُ الذي قد كان يُنْتَظَرُ(٧)

---

(١) هو تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي الامام شيخ الاسلام ولد في حران سنة ٦٦١هـ ومات في دمشق سنة ٧٢٨هـ · له تصانيف كثيرة وآراء قيمة عظيمة ·

(٢) كذا في نفح الطيب والدرر ، أما في جلاء العينين · لما أتانا ·

(٣) الحبر : العالم ·

(٤) سيد تيم : هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ·

(٥) كذا في نفح الطيب والدرر ، اما في جلاء العينين : مضت ·

(٦) لم يرد في نفح الطيب ·

(٧) كذا في نفح الطيب والدرر الكامنة ، اما في جلاء العينين ·
يا من يحدث عن علم الكتاب أصخ
هذا الامام الذى قد كان ينتظر

التخريج :

١ ـ الدرر الكامنة ج١ ص١٥٢ .

٢ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٣٥ . يقول المقري بعد هذه الابيات : « ثم انحرف أبو حيان فيما بعد عن ابن تيمية ، ومات وهو على انحرافه ولذلك اسباب : منها انه قال له يوما : كذا قال سيبويه . فقال : يكذب سيبويه . فانحرف عنه رحم الله تعالى الجميع ».

٣ ـ جلاء العينين في المحاكمة بين الاحمدين ص١٧ .

٢٨

وقال :

البسيط

لقد ذكرتكَ والبحرُ الخِضمُّ طغتْ
أمواجُه والورى منه على سَفَرِ

في ليلةٍ أسْدَلت جلبابَ ظلمتها
وغاب كوكبُها عن أعينِ البشرِ

والماءُ تَحْت وفوق المزن واكفُه
والبرقُ يستلُّ أسيافاً من الشّررِ

والفُلْكُ في وَسَط الماءين تحسبُها
عيناً وقد أطبقت شفراً على شفرِ[1]

والروح من حَزَنٍ راحت وقد وردت
صَدْري فيالك من ورْدٍ بلا صَدَرِ

(١) الفلك : السفينة .

هذا وشَخْصُكَ لا ينفك في خَلَدي

وفي فـؤادي ، وفي ســمعي ، وفي بصـري

التخـريج :

١ ـ الغيث المنسجم في شرح لامية العجـم ج٢ ص٣٦ . وقـال صلاح‌الدين الصفدي قبل هذه الابيات : « وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالقاهرة سنة سبعمائة وثمانية وعشرين » .

٢٩

وقال في مدح تاج الدين السبكي(١) صاحب طبقات الشافعية الكبرى :

الطويل

ألا إنَّ تــاجَ الدين تــاجُ معارفٍ

وبدرُ هُدىً تجلى بها ظُلَمُ الدَّهْرِ

سليلُ إمام قَلَّ في الناس مثلُه

فضائِلُه تربـو على الزهر والزهر

التخـريج :

١ ـ طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٦ . وقال السبكي قبل هذين البيتين : «وأنشدنا لنفسه ما مدحني بهما وأنا ابن ثلاث سنين . وهما عندي بخطه ، وعليهما خط الوالد رحمه الله » .

---

(١) هو تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب تقي‌الدين الســبكي صاحب « طبقات الشافعية الكبرى » . ولد سنة ٧٢٧هـ وتوفي سنة ٧٧١هـ في دمشق .

٣٠

وقال :

المتقارب

حُبِيتَ بريحانَتَيْ روضةٍ
وبَعْدَهُما جاء نَجْلٌ أغرّ[١]

وسميته اسمَ امام إذا
رآه أبو مُرَّةٍ منه فَرّ[٢]

ولا عجب منك عبدالعزيز
إذا كان نجلك سَمِيَّ عمَر

تَفَرَّعتما من امام الهدى
وبدر الدجى ورئيس البشَرّ

فلا زال يُوضِحُ سُبْلَ الهدى
ولا زلتما تقفُوانِ الأثَرّ

التخريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٥ ـ ٣٢٦ • وقال المقري : « قال ابن جماعة : خاطبني به ارتجالا عند ولادة ابني عمر بعد بنتين » •

---

(١) النجل : الابن •
الأغر : الابيض ، والشريف •
(٢) أبو مرة : كنية ابليس •

٣١

وقـال :

الطويل

إِذا وضِـعَ الاحسـانُ في الخَبِّ لم يُفِدْ
سوى كفره ، والحـرُّ يجزى به الشكرا[١]

كَغَيْثٍ سقى أفعى فجاءت بسـمها
وصاحَبَ أَصدافاً فاثمـرتِ الدرَّا

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٣٩ ـ ٣٤٠ • يقـول المقري قبلهمـا : « وقال ابن رشيد : حدثنا أبو حيان قال : حدثنا التاجر أبو عبدالله البرجوني بمدينة عيذاب من بلاد السودان ، وبرجونة قرية من قرى دار السلام قال : كنت بجامع « لولم » من بلاد الهند ، ومعنا رجل مغربي اسمه يونس فقال لي : اذكر لنا شيئاً • فقلت له : قال علي رضي الله عنه : « اذا وضع الاحسان في الكريم أثمر خيراً ، واذا وضع في اللئيم أثمر شراً كالغيث يقع في الاصداف فيثمر الدر ويقع في فم الافاعي فيثمر السم » • فما راعنا إلا ويونس المغربي قد أنشدنا لنفسه :

صنائع المعـروف إن أودعـت — عنـد كريم ذكت النعمـا
وان تكـن عند لئيم غـدت — مكفـورة موجبـة إثمـا
كـالغيث في الاصـداف دُرٌ وفي — فـم الافـاعي يثمر السما

قال أبو حيان : فلما سمعت هذه الأبيات نظمت معناها في بيتين وهما : اذا وضع •••• » •

٢ ـ تأريخ الفكر الاندلسي ص١٨٨ •

---

(١) الخَب : الخداع •

٣٢

وقال رحمه الله :

الطويل

وزَهَّدَني في جمعيَ المالَ أنَّه
إذا ما انتهى عند الفتى فارق العُمْرا

فلا روحَه يوماً أراحَ من العنا
ولم يكتسبْ حَمْداً ولم يَدَّخِرْ أجرا

التخـريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ص٨٤ • وقال لسان الدين قبل هذين البيتين : « ومن نظمه في المقطوعات وان عدت لها اجادة فهي مظنة ذلك » •

٢ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٠ ، نقلا عن كتاب البرنامج للفقيه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي تلميذ أبي حيان •

٣٣

وقال رحمه الله تعالى يمدح البخاري[١] وكتابه الصحيح :

الطويل

أسامعَ أخبارِ الرسول لك البُشْرى
لقد سُدْتَ في الدنيا،وقد فُزْتَ في الأُخرى

تشنف آذانا بعقد جواهر
تَوَدُّ الغواني لو تُقَلَّدُهُ النَّحرا

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري • ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ • طوف في العالم الاسلامي وسمع من نحو الف شيخ وجمع نحو ٦٠٠ ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته • توفي في خرتنك ـ من قرى سمرقند سنة ٢٥٦هـ •

جواهـــركم حلّت نفوساً نفيسةً
فحلت بهـا صدْراً وجلّت بهـا قـدرا[1]

هـل الـدين إلا مـا روتـه أكابرٌ
لنـا نقلوا الأخبارَ عن طيب خِبْرا

وأَدَّوْا أحاديثَ الرسـول مصونةً
عن الزَّيْفِ والتصحيفِ فاستوجبوا الشكْرا

وإنَّ البخاريَّ الامـامَ لجـامعٌ
بجامعِـه منهـا اليواقيت والـدرا

على مَفْرقِ الاسلامِ تـاجٌ مرصَّعٌ
أضاءَ بـه شمساً ونـارَ بـه بدْرا

وبحـرُ علـوم يلفـظُ الـدُرَّ لا الحَصا
فأنفِسْ بـه دراً ، وأعْظِـم بـه بَحْـرا

تصـانيفه نَـوْرٌ ، ونُـورٌ لنـاظرٍ
فقد أشرقت زهْـراً وقد أينعت زهْـرا[2]

نَحا سُنَّةَ المختـارِ ينظم شتَّهـا
يلخصُهـا جمعـاً ويخلصهـا تِبـرا

---

(1) في احدى نسخ نفح الطيب : « تحلت بها صدرا وجلت بها قدرا » .
(2) النور ـ بالفتح ـ الزهر ، أو الابيض منه .
الزهر ـ بالضم ـ المشرقة ، والازهر : النير .
الزهر ـ بالفتح ـ الورد الاصفر .

وكم بَذَلَ النَّفْسَ المصونةَ جاهداً
فجاز لها بحراً وجاب لها برا[1]
فطوراً عراقياً ، وطوراً يمانيا
وطوراً حجازياً ، وطوراً أتى مِصْرا
الى أنْ حوى منها الصحيحَ صحيحُه
فوافى كتابا قد غدا الآيةَ الكبرى
كتابٌ له من شَرْعِ أَحْمَدَ شِرْعَةٌ
مطهرةٌ تعلو السماكينِ والنَّسرا[2]

التخريج :

١ - نفح الطيب ج٣ ص٣٣٠ - ٣٣١ .

٣٤

وقال - رحمه الله :

الطويل

على قَدْرِ حبي فيك وافاني الصَّبْرُ
فَلَسْتُ أُبالي كان وَصْلُكَ أمْ هَجْرُ
وما غَرَضي إلاّ سلامٌ ونظرةٌ
وقَدْ حصلا ، والذُّلُ يأنفه الحرُّ
سأَسْلوك حتى لا أَراك بناظري
وأَنْساك حتى لا يمرُّ بك الفكرُ

---

(١) جاب : طاف .
(٢) السماك : ما سمك به الشيء أي رفع ، والاعزل والرامح نجمان نيران ، وهما السماكان .

التخـريج :

١ ـ الطالع السعيد للأدفوي ص٥٨٤ . وقد ذكرهما في ترجمة ابن دقيق العيد . يقول : « وقال شيخنا أثيرالدين : أنشدته ـ أي ابن دقيق العيد ـ مرة لنفسي : على قدر ... فقال : أعده لي . فأعدته عليه حتى حفظه » . والبيتان غير مذكورين في « من شعر أبي حيان » .

٣٥

قال رحمه الله :

البسيط

أرحتُ نفسي من الايناس بالناس
لمّا غنيتُ عن الأكياس بالياسِ[1]
وصرتُ في البيت وحدي لا أرى أحداً
بناتُ فكري وكتبي هُنَّ جُلّاسي

التخريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان‌الدين بن الخطيب ص٨٤ وقال لسان الدين قبل هذين البيتين : « ومن نظمه في المقطوعات وان عدت لها اجادة فهي مظنة ذلك » .

٢ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٠ نقلا عن كتاب البرنامج للفقيه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي تلميذ أبي حيان .

---

(١) الاكياس : جمع كيس وهو : الرجل الظريف . البعيد عن الحمق .

٣٦

وقال في مليح أبرص :

الطويل

وقالوا : الذي قد صِرْتَ طَوْعَ جماله
ونفسُكَ لاقَتْ في هواه نِزاعها

به وَضَحٌ تأباه نفس أُولي النهى
وأفظع داء ما ينافي طباعَها[1]

فقلتُ لهم : لا عيبَ فيه يَشينُه
ولا علة فيه يروم دِفاعَها

ولكنها شَمْسُ الضحى حين قابَلَتْ
محاسنَهُ ألقت عليه شعاعها

التخريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي .
٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر ج٧ . وقال الصفدي قبلها : « وانشدني اجازة في مليح أبرص ومن خطه نقلت » .
٣ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣١٠ .

---

(١) الوضح : الضوء والبياض ، وقد يكنى بهما عن البرص .

القـاف

٣٧

وقـال :

الخفيف

بدرُ تمٍّ لـه على الخـد خـالٌ
في احمرار ينْشَقُ منه الشقيق
كتبَ الحُسْنُ بالمحُقَّــقِ معنـا
ه ، ولـكنْ عِـذارَه تعليـقُ

التخـريج :

١ ـ بدائع الزهـور ج١ ص٢٠٠ • وقال ابن اياس قبلهما : « وكان عالما فاضلا ناظما ، وله شعر جيد • ومن شعره اللطيف قوله : بدر تم ••• » •

الكاف

٣٨

ولـه :

الطويل

وَقَصَّرَ آمـالي مآلي الى الـردى

وأنّي وإنْ طـال المدى سوف أهْلِكُ

فَصنْتُ بماءٍ الوجـه نَفْساً أبيـةً

وجادت يميني بالـذي كنت أمْلِكُ

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٢٩٠ . وقال المقري قبل هذين البيتين : « وأنشـدني الرحالـة ابن جابر الـوادي آشي لابي حيـان قوله : وقصَّر ... » . وفي احدى نسخ نفح الطيب : « فصنت بماء الوجه نفس أبية » .

٣٩

وقـال :

الطويل

وذي شَـفَةٍ لمياءَ زِينَتْ بشامةٍ

من المسك في ترشافها يذهبُ النُسْكُ(١)

ظمئتُ اليهـا ريقـةً كَـوثريَّةً

بمِثلِ لآلي ثغرها يُنْظم السِلْكُ

(١) اللمى : سمرة في الشفة تستحسن ، ورجل ألمى ، وجارية لمياء : بينة اللمى .

تُعلُّ بمعسولٍ كأنَّ رُضابَه
مُدامٌ من الفردوس خاتمهُ مِسْكُ

التخريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ص ٨٥ ـ ٨٦ • وذكر ان هذه الابيات سماها بالمورد العذب في معارضة قصيدة كعب » •

اللام

٤٠

وقال معارضا قصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير[١] :

البسيط

لا تَعْذلاه فما ذو الحبِّ مَعْذول
العقلُ مُخْتَبِلٌ والقلبُ متبول[٢]

هزَّتْ له أسْمراً من خُوط قامتها
فما انثنى الصَّبُّ إلاّ وهو مقتول[٣]

جميلةٌ فُصِّلَ الحسنُ البديعُ لها
فكم لها جُمَلٌ منه وتفصيلُ

فالنَّحْرُ مرمرةٌ ، والنَّشْرُ عَنْبرةٌ
والثَّغْرُ جوهرةٌ ، والريقُ مَعْسولُ[٤]

والطَّرْفُ ذو غَنَجٍ ، والعَرْفُ ذو أَرَجٍ
والخَصْرُ مختطفٌ ، والمتنُ مجدولُ[٥]

---

(١) هو الصحابي الجليل وأحد فحول الشعراء المخضرمين المجيدين ، كعب ابن زهير بن أبي سلمى . عده ابن سلام في الطبقة الثانية . وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يجز مكبول

(٢) عذل : لام . التبل : الاسقام ، وتبله : ذهب بعقله .

(٣) الخوط ـ بالضم ـ الغصن الناعم ، يقال خوط بان ، الواحدة : خوطة .

(٤) النحر : موضع القلادة من الصدر .

(٥) غنج : تدلل . الأرج : نفحة الرائحة الطيبة .

هيْفاء ينبس في الخصر الوشاح لها
درماء تخرس في الساق الخلاليل[1]

من اللواتي غَذاهُنَّ النعيمُ فما
يَشْقَيْنَ ، آباؤُها الصِّيدُ البهاليل[2]

نَزْرُ الكلامِ عيّاتُ الجوابِ إذا
يسألْنَ ، رقد الضحى حصر مكاسيلُ[3]

مِنْ حلّها وسناها مؤنسٌ وهدى
فليس يَلْحقها ذُعْرٌ وتضليل

حلّت بمنعقدِ الزوراءِ زائرة
شوساً غيارى فعقد الصبْرِ محلولُ

حي لقاح إذا ما يلحقون وغى
حيت ونادم مهزوزٌ ومسلولٌ

لبانة لك من لبناك ما قضيت
وموعد لك منها الدَّهْرَ ممطولُ

---

(١) كذا في الممتع المقتضب ، أما في طبقات الشافعية الكبرى : تسلس في الخصر ، وفي الاحاطة ونفح الطيب : يستن · الهيف : ضمر البطن والخاصرة · درم الساق : استوى ، وامرأة درماء : لا تستبين كعوبها ومرافقها ، وكل ما غطاه الشحم واللحم وخفي حجمه فقد درم ·

(٢) كذا في الممتع ونفح الطيب ، أما في طبقات الشافعية الكبرى : من اللواتي علاهن ···

(٣) كذا في الممتع ، اما في المصادر الاخرى : نزر الكلام عنات ··· عنت عنه : أعرض ·

فَعَدِّ عن ذِكْرِ لبنى إنَّ ذِكْرَكَها
على التنائي لتعذيبٌ وتعليلُ

إيَّاكَ منك نذيرٌ ما نذرت به
وبادر التوبَ ، إنَّ التوبَ مقبولُ

وأمِّل العَفْوَ واسلُكْ مَهْمَهاً قذفاً
الى رضى الربِّ ، إنَّ العَفْو مأمولُ

إنَّ الجهادَ وحجَّ البيتِ مختتماً
بذمة المصطفى للعفوِ تأميلُ

فشُقَّ حَيْزومَ هذا الليل مُمْتطياً
أخا حزامٍ به قد تَبْلُغُ السُّولُ (١)

أقبَّ أقْوَدَ يعزى للوجيه لـه
وَجْهٌ أغَرُّ ، وفي الرجلين تحجيلُ (٢)

جفْرٌ حوافرُه ، مُعْرٌ قوائمُه
ضُمْرٌ أياطله ، والذَّيْلُ عثكولُ (٣)

---

(١) الحيزوم : وسط الصدر .
(٢) الأقب : الضامر البطن . الأقود : الذليل المنقاد .
(٣) جفر : واسعة . الأمعر من الشعر : المتساقط ، ومن الخفاف : الذي ذهب شعره ، ومن الحافر : الشعر الذي يسبغ عليه . العثكول : هو في النخل بمنزلة العنقود في الكرم . الايطل : الخاصرة ، الجمع : اياطل .

إذا توجَّسَ أصغى وهو ملتهبٌ

أساعراً عُتقاً فيهن تآليل[1]

وإنْ تعارضْ به هوجاءُ هاج له

جرْيٌ يرى البرق فيها وهو مخذول

تحمي به حوْزةَ الاسلامِ ملتقباً

لبابياً غصَّ منها العرْض والطول[2]

لبابياً قد عموا عن كلِّ واضحة

من الكتابِ وغرَّتهم أباطيلُ

في مأقطٍ ضرب الموْت الزؤام به

سرادقاً فعلتهم منه بحليلُ[3]

هيجاء يُشرق فيها المشرفيُّ على

هامِ العدا ولسُحْبِ النقع تظليلُ

نديرُ كأسَ شعُوبٍ من شعوبهم

فكلهم منْهلٌ بالموتِ معْلولُ[4]

---

(١) التاليل : التحديد والتحريف .
(٢) كذا في الاصل .
(٣) المأقط : الموضع الذي يقتتلون فيه ، والمضيق في الحرب (اللسان) .
(٤) شعوب : الموت ، المنية .

فبينهم هَوَمَتْ عُرْجٌ مغرَّثةٌ
وفوقَهم دوَمَتْ فتخٌ شماليلُ[1]

تخطو قشام على أشلائهم ولها
تَبَسُّمٌ ولوجْهِ السِّيدِ تهليلُ[2]

واذْ قضيت غزاةً فأتنفْ عمَلاً
للحجِ فالحج للاسلامِ تكميلُ

واصِلْ سُراك بسيرٍ يا ابْنَ انْدلسٍ
والطرفُ أدْهمُ بالأشطان مغلولُ[3]

يُلاطم الريحَ منه أبيضٌ يقَقٌ
له من السُحبِ المربَدِّ إكليلُ[4]

تعلو خضارة منه شامخٌ جللٌ
سامٍ، طفا، وهو بالنكباء محمولُ[5]
كأنما هو في طخياء لجَّتِه
أيم يفري أديم الماء شمليلُ[6]

---

(١) الشمليل : الخفيفة ، السريعة ·
(٢) السيد : الذئب ·
(٣) الأدهم : الاسود ·
(٤) اليقق : الشديد البياض · المربد : اربد : تحول لونه الى الغبرة ·
(٥) النكباء : كل ريح ، وقيل : كل ريح من الارياح الاربع انحرفت ووقعت بين ريحين ·
(٦) ليلة طخياء : شديدة الظلمة ، والطخياء : ظلمة الليل ·

مـا زالت الموج تُعليـه وتخفضـه

حتى بـدا من منـارِ الثَّغْـر قنديـلُ

فكَبَّـرَ النـاسُ إعظـاماً لربهـم

وكلُّهم طرفُـه بالسُّـهْـدِ مكحولُ

وصافحوا البيدَ بعد اليَـمِّ وابتـدأوا

سُبْلاً لها لجنـابِ اللهِ توصيـلُ

عـلى نجائبَ تتلوهـا جنائبهـا

جيداً بها الخيرُ معقـودٌ ومَعْقـولُ

في موكبٍ تَزْحفُ الأرْضُ الفضاءُ بـه

أضْحتْ ومُوحِشُها بالناسِ مأهـولُ

تطاردُ الوحشَ منـه فَيلقٌ لجبٌ

حتى لقـد ذعرت في بيدهـا الغـولُ

يَسُوقهم طربٌ نحـو الحجازِ فَهُمْ

ذوو ارتياحٍ على أكوارِهـا مِيـلُ

شُعْثٌ رؤوسُهم ، يُبْسٌ شفاهُهم

حُوصٌ عيونُهم ، غُرْثٌ مهـازيلُ

حتى إذا لاح من بيت الإلـه لهم

نـور إذا هـم عـلى الغبرا أراحيـلُ

يُعفرون وجوهاً طالما سهَمت

حتى كأنّ أديم الأرض مبلولُ[1]

حفوا بكعبةٍ مولاهم فكعبهم

عالٍ بها ، فلهم طوفٌ وتقبيلُ

وبالصفا وقتهم صافٍ بسعيهم

وفي منى لمناهم كان تنويلُ

تعرفوا عرفاتٍ واقفين بها

لهم الى الله تكبيرٌ وتهليلُ

لمّا قضينا من الغرّاء منْسكنا

ثرنا ، وكلٌّ بنار الشوقِ مشمولُ

ثرنا الى الشدْقميات التي سهِكَتْ

أبدانهن وأعياهُنّ تنعيلُ[2]

الى الرسولِ نُزَجّي كلّ يعملة

أجل من نحوه تزجى المراسيلُ[3]

مَنْ أُنزلتْ فيه آياتٌ مطهرة

وأوريت فيه توراةٌ وانجيلُ

---

(١) في الأصل : حتى اديم الأرض مبلول ، السهام ـ بضم السين وفتحها ـ الضمر وتغير اللون وذبول الشفتين ·
سهم ـ بفتح الحاء ـ : ضمر وتغير ·

(٢) سهك الرجل : ظهرت له ريح كريهة من عرقه · وسهكت الدابة : جرت جرياً خفيفا ·

(٣) اليعملة : الناقة · ناقة مرسال : سهلة السير ، ج : مراسيل ·

وسُطِّرَتْ في علاه كُلُّ خالدةٍ
لها من الذكر تجويدٌ وترتيلُ
وعطرت من شذاه كل ناحيةٍ
كأنما المسْكُ في الأرجاء محلولُ
سِرٌّ من العالم العلويِّ ضمَّنَهُ
جسمٌ من الجوهرِ الأرضيِّ مجبولُ
نورٌ تَمَثَّلَ في أبصارِنا بشَراً
على الملائكِ من مسماه تمثيلُ
لقد تسامى وجبريل مصاحبُه
الى مقامٍ تراخى عنه جبريلُ
أَوْحى اليه الذي أَوْحاه من كتبٍ
فالقَلْبُ واعٍ بسرِّ الله مشّغولُ
يتلو كتاباً من الرحمن جاء به
مطهراً ظاهِرٌ منه وتأْويلُ
جارٍ على منْهجِ الأعراب أعْجزهم
باقٍ مدى الدهر لا يأتيه تبديلُ
بلاغة عندها كعَّ البليغ فلم
ينطِقْ ، وفي هديه طاحت أضاليلُ (١)

(١) كذا في الممتع ، اما في البحر المحيط : فلم ينبس .

وطولبوا أنْ يجيئوا حين رابهم

بسورةٍ مثلهِ فاستعجز القيلُ

لاذوا بذبَّل خطّيٍ وبتْرِ ظبىً

يوم الوغى واعتراهم منه تنكيلُ

فموثق في جبال الوهد منْجدلٌ

وموثق في جبالِ القدِّ مكبولُ

ما زال كالعضب هتّاكاً سوابغَهم

حتى انثنى العضب منهم وهو مفلولُ

وقد تخطَّم في نحر العدا قصداً

صم الوشيح وخانتها العواميلُ

من لا يُعدِّلُهُ القرآن كان له

من الصعاد وبيض البتر تعديلُ

وكم له معجزاً غير القرآن أتى

فيه تظافرَ منقولٌ ومعقولُ

فللرسولِ انشقاق البدر نشهده

كما لموسى انفلاق البحر منقولُ

ونبع ماءٍ فراتٍ من أَناملـه

كالعينِ ثرّت فما التهتان ما النيلُ ؟

أروى الخميس وهم زهاءَ سبعماءٍ

من الركابِ فمشروب ومحمولُ

ورد عيناً بكفٍ جاءَ يحملها

قتالة وله شكوى وتعليلُ

وكانت أَحْسَنَ عينيه ولا عَجَبٌ

مسّت أنامل فيها اليُمْنُ مَجْعولُ

والجدْع حَنَّ اليه حين فارقه

حنين ولهى لها للروم مثكولُ

وأشبع الكُثْرَ من قُلٍّ الطعام ولم

يكن ليعروهُ بالكبر تقليلُ

وفي جرابِ أبي هرٍ عجائب كم

يمتار منه ، فمأكولٌ ومبذولُ

وفي ارتوائي الى ذر بزمزم ما

يلفى لبدّن منه وهو مهزولُ

والعنكبوت بباب الغارِ قد نسجت

حتى كأنَّ رداءً منه مَسْدولُ

وفرَّخت في رجاه الوِرْقُ ساجعة

تبكي وما دمعها في الخد مطلولُ

هذا وكم معجزاتٍ للرسولِ أَتَتْ

لها من الله امدادٌ وتأصيلُ

غدَت من الكثر أعداد النجوم فما

يُحصي لها عدداً كُتْبٌ ولا قيلُ

قد انقضَتْ معجزاتُ الرُسْلِ مُنْذُ قَضوا

نَحْباً وافحم منها ذلك الجيلُ

ومعجزاتُ رسولِ اللهِ باقيةٌ

محفوظةٌ ما لها في الدهرِ تحويلُ

تكفل اللهُ هذا الذكر يحفظه

وهل يضيع الذي بالله مكفولُ

هذي المفاخر لا تحظى الملوكُ بها

الملْكُ منقطعٌ والوحيُ موصولُ

التخـريج :

١ ـ ذكرها كلها الشيخ شهاب الدين محمود الشافعي المقدسي في كتاب « الممتع المقتضب في سيرة خير العجم والعرب » ص٢٠٣ ، وقال قبلها وهو يتحدث عن قصيدة كعب بن زهير : « وقد عارض هذه القصيدة جماعة من الفضلاء منهم شيخنا العلامة حجة العرب أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن موسى بن حيان الاندلسي ـ رحمه الله • وقد قرأت عليه جزءاً من حديثه خرجه لنفسه ، وجزءاً انتقيته له من متنوعة على قاضي القضاة شهابالدين النحوي ، وجزء الانصاري ، وقطعة صالحة من شعره ، وأجازني رواية ما تجوز لـه روايته » • وجاء في آخر القصيدة : « آخر القصيدة وعدتها ثلاثة وثمانون بيتـا » •

٢ ـ ذكر أبو حيان بيتين منها في تفسير البحر المحيط ج٣ ص٤١٩ همـــا :

جـار على منهـج الأعراب أعجزهم
باقٍ مدى الدهـر لا يأتيـه تبديـل
بلاغة عندها كعّ البليـغ فلم
ينبس ، وفي هديـه طاحت أضاليـل

وقال قبلهما : « وفي مثل هذا أقول من قصيدة مدحت بها رسول الله (ص) معارضاً لقصيدة كعب ، ومنـه في وصف كتاب الله تعالى : جار على ••• » •

٣ ـ ذكر السبكي منها ستة عشر بيتاً في طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٦ ، وقال : « وأنشدنا لنفسه اجازة قصيدته التي عارض بها بانت سعاد » •

٤ ـ الاحاطة في اخبار غرناطة •

٥ ـ أشار اليها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٥ ، وذكر منهـا

الابيات السبعة الاولى ، وقال : « وله ـ رحمه الله قصيدة سماها بالمورد العذب في معارضة قصيدة كعب » .

٤١

ومن نظمه :

الخفيف

سبقَ الدمعُ بالمسيلِ المطايا
إذ نوى من أحبُّ عنّيَ نقله
وأجادَ السطورَ في صفحة الخـ
ـدِّ ، ولِمْ لا يُجيدُ وهو ابنُ مقله[1] ؟

التخريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي .

٢ ـ نكت الهميان في نكت العميان ص٢٨٢ . وقال الصفدي قبلهما : « وانشدني من لفظه لنفسه » .

٣ ـ فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٦ .

٤ ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ .

٥ ـ طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٥ .

٦ ـ النجوم الزاهرة ج١٠ ص١١١ . وقال قبل هذين البيتين : « ولنذكر هنا من شعره نبذة يسيرة بسندنا اليه ، أنشدنا القاضي عبدالرحيم بن الفرات اجازة ، أنشدنا الشيخ صلاحالدين بن أيبك الصفدي اجازة ، قال : أنشدني العلامة أثيرالدين أبو حيان

---

(١) كذا في جميع المصادر ، ما عدا نفح الطيب فالبيت فيه :
وأجاد الخطوط في صفحة الخـ ـد ، ولم لا يجيد وهو ابن مقله ؟
وابن مقلة هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة أبو علي وزير من الشعراء الادباء يضرب بحسن خطه المثل ولد في بغداد سنة ٢٧٢هـ ، وتوفي سنة ٣٢٨هـ .

من لفظه لنفسه » .

٧ ـ المنهل الصافي ج٣ ص٣٢٢ أ .

٨ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ج١ ص٢٨٣ .

٩ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٠١ .

١٠ـ أزهار الرياض في أخبار عياض لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ص٣٠٤ (القاهرة ١٩٣٩) .

١١ـ شذرات الذهب لابن العماد ج٦ ص١٤٧ .

الميم

٤٢

وقال ـ رحمه الله ـ في مليح أحدب :

المتقارب

تَعَشَّقْتُه أَحدَباً كَيِّسَاً
يُحاكي نَجيباً حنينَ البغام[1]
إذا كِدْتُ أسْقُطُ من فوقه
تعلَّقْتُ من ظهرِه بالسَّنام

التخريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي .
٢ ـ نكت الهميان في نكت العميان ص٢٨٢ . وقال الصفدي قبلهما : « وأنشدني من لفظه لنفسه في أحدب » .
٣ ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ .
٤ ـ فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٧ .
٥ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣٠١ .

٤٣

وقال :

المتقارب

ويعجبني رَشْفُ تلك الشفاهِ
وعَضُّ الخدودِ ، وهَصْرُ القوام[2]

---

(١) البغام : صوت الظبية .
وفي فوات الوفيات : يحاكي نجيبا حنين البغام .
(٢) الهصر : الجذب والامالة والكسر والدفع والادناء وعطف شيء رطب كالغصن ونحوه .

محاسنَ فاقت قضيبَ الأراكْ

ووردَ الرياض ، وكأسَ المدام[1]

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٤٠٩ •

٤٤

وقال رحمه الله :

الطويل

أَجَلُّ شفيعٍ ليس يُمْكِنُ رَدُّه

دراهِمُ بيضٌ للجروحِ مراهمُ[2]

تُصَيِّرُ صَعْبَ الأمرِ أسهلَ ما أرى

وتقضي لباناتِ الفتى وهو نائمُ[3]

التخـريج :

١ ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ •

٢ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان‌الدين بن الخطيب ص٨٤ ـ ٨٥ قال لسان‌الدين قبل هذين البيتين : « ومن نظمه في المقطوعات وان عدت لها اجادة فهي مظنة ذلك » •

٣ ـ الدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٥ •

٤ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٢٩٨ •

---

(١) الاراك : شجر من الحمض يستاك به ، واحده : أراكة •

(٢) كذا في الكتيبة ، اما في الدرر الكامنة وأعيان العصر ونفح الطيب • أتى بشفيع •

(٣) كذا في الكتيبة ، اما في الدرر : أهون ما ترى • وفي نفح الطيب : أهون ما يرى •
اللبانة : الحاجة ، ج لبان ، ولبانات • يقال : « قضى لبانته » اى حاجته ووطره •

٤٥

وقال في مليح نوتي :

الطويل

كلفت بِنوتي[١] كأنَّ قوامَه
إذا ينثني خوْطٌ من البانِ ناعِمُ

مجاذِفُه في كل قلبٍ مجاذبٌ
وهزَّاته للعاشقينَ هزائِمُ

التخريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي ٠
٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ ٠
٣ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣٠١ ٠

٤٦

ومن النسيب قوله :

الخفيف

سال في الخدِ للحبيبِ عِذارٌ
وهو لاشكَّ سائِلٌ مرْحومُ

وسألت التثامه فتجنَّى
فأَنا اليوم سائِلٌ محرومُ[٢]

التخريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ص٨٥ ٠ وقد ذكر انهما من بديع ما ينسب الى أبي حيان ٠
٢ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٤ ٠

---

(١) النوتي : الملاح الذي يدير السفينة في البحر ، ج : نواتي ٠
(٢) كذا في الكتيبة ، اما في نفح الطيب : التثامه ٠

٤٧

وقال في المنتسبة الى الصوف :

الخفيف

فارْتَموا يَدَّعُون أمراً عظيمـــاً
لم يكن للخليـلِ لا والكليـمِ(١)

بينما المرءُ منهـم في استـفالٍ
أبصـر اللوح ما بـه من رقومِ(٢)

فجنى العلم منـه غضاً طريـــا
ودرى ما يكون قبـل الهجـومِ

إنَّ عقلي لفي عقـــالٍ إذا مـا
أنـا صدقت بافتـراءٍ عظيـمِ

التخـريج :

١ ـ البحر المحيط ج٤ ص١٤٥ • وقال أبو حيان نفسه قبل هذه الابيات عند تفسير قوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » « ولقد ظهر من هؤلاء المنتسبة الى الصوف أشـياء من ادعاء علم المغيبات ، والاطلاع على علم عواقب اتباعهم وانهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولاتباعهم بها يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ، ولا ينكر ذلك أحد • هذا مع خلوهـم عن العلوم يوهمون انهم يعلمون الغيب •••• وقد كثرت هــذه

---

(١) الخليل : نبي الله ابراهيم • والكليم : نبي الله موسى •

(٢) الرقم : الكتابة • وفي القرآن الكريم : « كتاب مرقوم » •

الدعاوى والخرافات في ديار مصر ، وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقل والنقـل ، وأعياهم طلاب العلوم » .

وقال ابن مكتوم في الدر اللقيط ج٤ ص١٤٥ : « هذه الابيات من قصيدة شيخنا العالم أبي حيان أيده الله ، وقد أنشدنيها بكمالها من لفظه وحفظه » .

٢ ـ الطالع السعيد ص ١٣٣ ، وفيه البيت الأخير فقط .

٤٨

وقال رحمه الله تعالى :

الطويل

رجاؤُكَ فَلْساً قد غَدا في حَبائلي
قَنيصاً رجاءٌ للنِتاجِ مِنَ العَقْمِ

أأتعبُ في تَحْصيله وأُضيعه[1]
إذَنْ كنتُ معتاضاً من البرءِ بالسقْمِ

التخريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي .

٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ .

٣ ـ فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٧ .

٤ ـ الدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٥ .

٥ ـ نفح الطيب ج٣ ص٢٩٧ . وفي احدى نسخ نفح الطيب : « اذن كنت معتاضا عن البرء بالسقم » .

٦ ـ البدر الطالع ج٢ ص٢٩١ .

---

(١) كذا في جميع المصادر ، أما في الدرر الكامنة : أأتعب في تخليصه .

٤٩

ومن شعره ، قال رحمه الله تعالى حسبما نقل عن خطه : قدم علينا الشيخ المحدث أبو العلاء محمد بن أبي بكر البخاري الفرضي[١] بالقاهرة في طلب الحديث ، وكان رجلا حسنا طيب الاخلاق لطيف المزاج ، فكنا نسايره في طلب الحديث ، فاذا رأى صورة حسنة قال : هذا حديث على شرط البخاري فنظمت هذه الابيات :

الطويل

بدا كهـلالِ الأُفقِ وقتَ طلوعِـــه
ومال كغُصْنِ الخـيزران المنعَّمِ

غزالٌ رخيمُ الـدَّلِّ وافى مواصـلاً
موافقـةً منـه على رَغْمِ لُوَّمِ

مليحٌ غريبُ الحسن أصبحَ مَعْلَمـاً
بحمرةِ خَـدٍّ بالمحـاسِنِ مَعْلِمِ

وقالوا : على شَـرْط البخاريِّ قد أتى
فقلتُ : على شرط البخاريْ ومسْلِمِ

قال : فقال لي : يا مولانا أنا البخاري ، فمن مسلم ؟ قلت له : أنت البخاري وأنا مسلم . قلت : ولو كنت المخاطب لكان مدى الدعابة أفسح ، ومن العصمة أنْ لا تجدً .

التخـريج :

١ ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان‌الدين بن الخطيب ص٨٢ .

---

(١) كذا في الكتيبة الكامنة ، وفي تاج التراجم ص ٧٠ انه : « محمود بن ابي بكر بن أبي العلاء شمس‌الدين أبو العلاء الكلاباذي البخاري الفرضي برع في الفرائض وغيرها ، وقدم القاهرة . وكان رأسا في الفرائض ، عارفا بالحديث والرجال . مات في دمشق سنة ٧٠٠هـ .

٥٠

وقـال :

الطويل

لقـد زادني بالناس علمـاً تجاربي
ومن جَرَّبَ الايامَ مِثْلي تعلَّما
واني وتَطْلابي من الناس راحةً
لكالمبتغي وَسْطَ الجحيم تَنَعُّما
سأَزْهَدُ حتى لا أرى لي صاحباً
وأُنْجِدُ حتى لا أُلاقيَ مُتْهِما(١)

التخـريج :

١ ـ نفح الطيب ج٣ ص٣٢٦ •

---

(١) أنجد : دخل نجداً •
أتهم : دخل تهامة •

النــون

٥١

وقـال : **الطويل**

أَمدعيـاً علمـاً ولَسْتَ بقـاريءٍ
كِتابـاً على شيخٍ به يَسْهُل الحزْنُ(١)

أتَزْعُم أنَّ الذهن يُوضِحُ مشكلاً
بلا موضح ؟ كَلاَّ لقد كَذَبَ الذِّهْنُ

وإنَّ الـذي تَبْغيــه دون مُعَلِّمٍ
كموقدِ مصباحٍ وليس لـه دُهْـنُ

التخـريج :

١ – نفح الطيب ج٣ ص٣٢٤ ٠

٥٢

ونسب اليه في مدح أبي محمد عبدالمهيمن الحضرمي(٢) :

من مجزوء الخفيف

ليس في الغَرْبِ عـالِمٌ
مِثْلُ عبدِ المُهَيْمِنِ

نحـن في العِلْمِ أسـوةٌ
أنـا منه وهُـو مِنِي

التخـريج :

١ – نفح الطيب ج٧ ص٣٩٠ ٠ قال المقري : « واما ما اشتهر على

---

(١) الحزن : ما غلظ من الارض ٠

(٢) هو عبدالمهيمن بن محمد بن عبدالمهيمن أبو محمد الحضرمي ، صاحب القلم الاعلى بفاس وصدرها في عصره ٠ كان غزير العلم بالادب والتاريخ ٠ ولد سنة ٦٩٦هـ بسبتة ونشأ فيها ، وولي كتابة الانشاء لابي الحسن المريني بفاس ٠ توفي بتونس سنة ٧٤٩هـ في الطاعون ٠ تقدم في علم الحديث وضبط رجاله ، وله شعر ٠

الالسنة بالمغرب من أن أبا حيان مدح عبدالمهيمن بقوله :

ليس في الغرب عالم مثل عبد المهيمن
نحن في العلم اسرة أنا منه وهو مني

فقد نسبه ابن غازي الى أبي حيان كما اشتهر ، ولكن تأريخ مرور أبي حيان بالمغرب كان قبل ظهور عبدالمهيمن بلا خفاء . وهو عندي محمول على أحد أمرين : ان المراد عبدالمهيمن جد عبدالمهيمن المذكور . أو انّ أبا حيان كتب بالبيتين من مصر بعد ما ظهر عبدالمهيمن وصارت له الرياسة بالمغرب ، اذ أبو حيان عاش الى ذلك الزمان بلا ريب . ولذا لما ذكر لسان‌الدين ابن الخطيب في كتابه « الكتيبة الكامنة في أبناء أهل المائة الثامنة » الشيخ أبا حيان : قال : وهذا الرجل طالت حياته حتى أجاز ولدي »[1] .

٥٣

وقال : الكامل

إنَّ الدراهمَ والنساءَ كلاهما
لا تأمَنَنَّ عليهما انْسانا
يَنْزَعْنَ ذا اللب المتينِ عن التقى
فيرى أساءة فعلهِ احسانا

التخريج :

١ ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج٧ .
٢ ـ الدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٥ .
٣ ـ نفح الطيب ج٣ ص٢٩٨ .

---

(١) قال لسان‌الدين بن الخطيب في كتابه « الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة ص ٨١ : « وكان له شعر مهاده في الاجادة وثير ، ودعابة يثيرها الطبع فتثير ، وان لم ألق هذا الرجل فهو من بلدي ، وتأخرت وفاته عن مولدي الى أن أجاز ولدي » .

اليـاء

٥٤

قال في مدح الشافعي(١) رضي الله عنه :

الطويل

غُذِيتُ بعـلم النحـو اذْ دَرَّ لي ثديـا(٢)
فجسمي به ينمى ، وروحي به تحيـا

وقـد طـال تَضرابي لزيـدٍ وعَمْرِهِ
وما اقترفـا ذنبـاً ولا تبعـا غيّـا

وما نِلْتُ من ضَرْبِيهما غيرَ شُـهرةٍ
بفنٍ وما يُجدي اشتهاري به شيّاً

ألا إِنَّ علمَ النحـو قد بادَ أهلُـه
فما أنْ ترى في الحـي من بعدهم حيّـا

سـأتركه تَـرْكَ الغـزالِ لظلـه
وأُتبِعُه هَجْـراً وأُوسِعُه نَأْيـا

وأسـمو الى الفِقـه المبـارَكِ إِنَّـه
لِيُرضيكَ في الاخرى، ويُحْظيك في الدُّنْيا

(١) هو محمد بن ادريس بن العباس ، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ وطاف في البادية والعراق والحجاز ومصر وكان فيلسوفا في أربعة أشياء : في اللغة واختلاف الناس والمعاني والفقه ، وهو صاحب المذهب المعروف . توفي سنة ٢٠٤هـ وقد بلغ من العمر أربعة وخمسين عاما .

(٢) كذا في طبقات الشافعية ونفح الطيب ، اما في الدرر الكامنة : ان صار لي ثديا . ولم يرد في الدرر غير هذا الشطر .

وما الفِقهُ إلا أصلُ دينِ محمدٍ

فَجَرِّدْ له عزْماً ، وجدِّدْ له سعْيا

وكُنْ تابِعاً للشافعيِّ وسالِكاً

طريقتَه تبلُغْ به الغايةَ القصْيا

ألا يا ابن ادريس قد اتضحَ الهُدى

وكم غامضٍ أبْدَى ، وكم دارسٍ أحْيا

سمي الرسول المصطفى وابن عمه

فناهيك مجداً قد سما الرتبة العلْيا

هو استنبط الأصول فاكتسى به الـ

فقهَ من ديباج إنشائه وَشْيا

التخريج :

١ ـ طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٦ . وقال السبكي بعدها : « وهي قصيدة مطولة . وقصيدته التي امتدح بها البخاري رضي الله عنه ومطلعها :

أسامع أخبار الرسول لك البشرى

لقد سدت في الدنيا وقد فزت بالاخرى

٢ ـ الدرر الكامنة ج٤ ص٣٠٦ . ورد الشطر الاول فقط .

٣ ـ أشار اليها المقري في نفح الطيب ج٣ ص٣٢٥ ، ولكنه لم يذكرها ، واكتفى بقوله : « وقصيدة في مدح الامام الشافعي مطلعها : غذيت بعلم النحو اذ درَّ لي ثديا » .

٥٥

وقال في استاذه محمد بن علي بن يوسف العلامة رضي الدين أبي عبدالله الانصاري الشاطبي اللغوي :

الوافر

وأوصاني الرَّضِيُّ وصاةَ نُصْحٍ
وكانَ مُهَذَّباً شَهْماً أَبِيَّاً

بألاَّ تُحسنَنْ ظَنَّاً بشَخْصٍ
ولا تَصْحَبْ حياتَكَ مَغْرِبِيَّا

التخريج :

١ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ج١ ص١٩٤ وقال السيوطي في ترجمة الشاطبي قبل هذين البيتين : « واياه عنى بقوله : واوصاني .... » .

٢ ـ فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لابي المفاخر محمد الحسني الادريسي . ج١ ص١٠٩ .

٥٦

وله لغز في قيراط زاعما انه لا يفك :

الطويل

وما اسْمٌ خُماسيٌّ إذا ما فككتَهُ
يصيرُ لنا فِعْلينِ : أَمْراً وماضيا

بعكس وهو كُلٌّ وجزءٌ جمعه
بإبدالِ عين حاز فيه التناهيا

وَمَعْ كونه فَرْداً وجمعاً فأولٌ

وآخرهُ أضحى لشخصٍ مُعادِيا

وفي عكْسِهِ صَوْتٌ فتبنيه صيغةً

وتَبْني بمعناه وما أَنْتَ بانيا

فكم فيه من معنى خفي وانما

عنيت بذكري للذي ليس خافيا

التخريج :

١ - نفح الطيب ج٣ ص٣٢١ ، نقلا عن كتاب البرنامج للفقيه المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي تلميذ أبي حيان .

٥٧

قال العز بن جماعة : وخاطب والدي وقد أبل من ضعف أشيع فيه موته مهنئاً له :

المتقارب

أدامَ الاله لك العافِيَه

وصَيَّرَ دُورَ العدا عافيَه(١)

إِذا لاح من بدركم نورُه

فكلُّ النجومِ به خافِيَه

---

(١) عافية : مدروسة .

تَخِذْتَ كلامَ الالهِ الدوا

فآياتُه كانت الشافيه

تشوُّفُ ناسٍ لمنصبكم

ورتبتُهم للعُلا نافيه(١)

فأين العلومُ ؟ واين الحلومُ ؟

وخُلْقٌ مواردُه صافيَه

هُمُ عُصْبَةٌ لا تنال العُلا

ولو أنَّها قد سعت حافيه

إذا كان خَرْقٌ تداركْتَه

وليست لما مزَّقت رافيه(٢)

فإنْ عَنَّ خَطْبٌ ثبَتَّ له

وآراؤهم عنده هافيه(٣)

سجاياك لِيْنٌ ورِفْقٌ بنا

وأخلاقُهم كلُّها جافيَه

---

(١) تشوف : تطلع . وفي احدى نسخ نفح الطيب : تشوق ـ بالقاف ـ من الشوق .

(٢) رفا الثوب يرفيه : أصلح ما فسد منه بان خاط ما تمزق منه .

(٣) الهفو : المرء الخفيف ، وهوافي الابل : ضوالها ـ هافاه : مايله الى هواه .

تصلي على سبعةٍ منهم
وثامنُهم نَفْسُه طافيه
يقيمون في تُرْبِهم هُمَّداً
وتَسْفِي على قبرهم سافِيه(1)
فلا زِلْتَ في صحَّةٍ دائماً
تجرّ ذيولَ السنى ضافيه(2)
ويوردك اللهُ عَيْنَ الحياة
فتحيا بها مائةً وافيه
فان زاد عَشْراً فذاك المنى
وعشرونَ أيضاً هي الكافيه
وهذي القوافي أَتَتْ كُمَّلاً
فلم تَبْقَ لي بعدها قافيه

التخريج :

١ - نفح الطيب ج٣ ص٣٢٨ - ٣٢٩ .

٥٨

وقال رحمه الله تعالى :

الطويل

أعاذِلَ ذَرْني وانفرادي عن الورى
فَلَسْتُ أرى فيهم صَديقا مصافِيا

---

(١) سفت الريح التراب تسفيه : ذرته أو حملته ، والسافياء : الغبار ، أو ريح تحمل ترابا .

(٢) الضفو : السبوغ والكثرة .

نداماي كُتْبٌ أَستفيدُ علومَها
أحبَّايَ تُغني عن لقائي الأعاديا
وأنسَها القرآنُ فهو الذي به
نجاتي إذا فكَّرْتُ أَوْ كُنْتُ تاليا
لقد جلْتُ في غَرْب البلادِ وشرقِها
أُنَقّبُ عمن كان للهِ داعِيا
فلم أَرَ إلاّ طالباً لرياسةٍ
وجمَّاعَ أَمْوالٍ وشيخاً مرائيا
قبَضْتُ يَدي عَنْهُمْ وآثرْتُ عزْلةً
عن الناسِ ، واستغنيت باللهِ كافيا

التخريج :

١ - نفح الطيب ج ٣ ص ٣٢٨ .

الموشحات

٥٩

وقال رحمه الله موشحا :

إنْ كان ليلي[١] داج وخاننا الاصباح
فنورها الوهّاج يغني عن المصباح

* *

سُلافة تبدو كالكوكبِ الازهر[٢]
مزاجها شهد وعَرفُها عنبر
يا حبّذا[٣] الوردُ منها وإنْ أسكر
قلبي بها قد هاج فما تراني صاح
عن ذلك المنهاج وعن هوًى يا صاح

* *

وبي رَشاً أهيف قَدْ لجَّ في بُعدي[٤]
بدر فلا يُخسف منه سنا الخدّ

---

(١) كذا في الوافي بالوفيات وفوات الوفيات ، أما في النجوم الزاهرة وطبقات الشافعية ونفح الطيب : ان كان ليل .

(٢) السلاف : ما سال من عصير العنب قبل ان يعصر ، ويسمى الخمر سلافا . وسلافة كل شيء عصرته : أوله .

(٣) كذا في جميع المصادر ، أما في نفح الطيب : وحبذا .

(٤) الهيف : ضمر البطن والخاصرة ، ورجل أهيف وامرأة هيفاء .

بلحظه المرهف[١] يسطو على الأسد

كسطوة الحجاج في الناس والسفاح

فما ترى من ناج[٢] من لحظه السفاح

* *

علل بالمسك[٣] قلبي رشا أحور[٤]

منعم المسك ذو مبسم أعطر[٥]

ريّاه كالمسك وريقه كوثر[٦]

غصن على رجراج طاعت له الأرواح

فحبذا الأراج إن هبت الأرواح[٧]

* *

مهلاً أبا القاسم على أبي حيان

ما إنّ له عاصم من لحظك الفتان

---

(١) كذا في جميع المصادر ، أما في طبقات الشافعية الكبرى : فلحظه المرهف .

(٢) كذا في جميع المصادر اما في طبقات الشافعية : فما يرى .

(٣) كذا في جميع المصادر ، أما في طبقات الشافعية : عذاره المسكي .

(٤) كذا في الوافي بالوفيات وفوات الوفيات والنجوم ، أما في طبقات الشافعية الكبرى : فلى رشا أحور . وفي نفح الطيب : قلب رشا أحور

(٥) كذا في الوافي والفوات والنجوم ، اما في طبقات الشافعية ونفح الطيب : ذي مبسم أعطر . والمسك ـ بالفتح ـ الجلد ، يريد ان جلده ناعم .

(٦) كذا في جميع المصادر ، اما في فوات الوفيات : وريقه سكر .

(٧) كذا في جميع المصادر ، أما في فوات الوفيات : الارياح .

وهجرك الدائم قد طال بالهيمان[1]
فدمعه أمواج وسرّه قد لاح[2]
لكنه ما عاج[3] ولا أطاع اللاح[4]

* *

يا رُبَّ ذي بهتان يعذل في الراح[5]
وفي هوى الغزلان دافعت بالراح
وقلت لا سلّوان عن ذاك يا لاحي[6]
سبع الوجوه والتاج هي مُنْيةُ الأفراح[7]
فاختر لي يا زجَّاج قمصال وزوجْ أقداح[8]

---

(١) في سكردان السلطان ص ١٤٥ : قد زاد في الهيمان ٠

(٢) كذا في الوافي والفوات وطبقات الشافعية ، أما في النجوم الزاهرة ونفح الطيب : وسره قد باح ٠

(٣) كذا في جميع المصادر ، اما في النجوم الزاهرة : لكنه ما هاج ٠

(٤) كذا في جميع المصادر ، اما في طبقات الشافعية : ولا اطال اللاح ٠

(٥) كذا في معظم المصادر ، اما في النجوم الزاهرة وسكردان السلطان : يعذلني في الراح ٠

(٦) في سكردان السلطان : عن حبه يا صاح ٠

(٧) كذا في معظم المصادر ، اما في النجوم الزاهرة وسكردان السلطان : هي منية الارواح ٠ وسبع الوجوه : مكان مشهور ظاهر القاهرة ، وهو من منتزهاتها الحسنة يقصده الناس في أيام الربيع ٠ (ينظر سكردان السلطان ص ١٤٥) ٠

(٨) لعله يريد بقمصال خابية الخمر او دنها أو شيئا من هذا القبيل ٠ وليست هذه الكلمة عربية ٠ (ينظر هامش ص٣١٣ ج٣ من نفح الطيب وفي هامش ٥٥٩ ج٢ من فوات الوفيات : « القمصال : كلمة مغربية معناها الوعاء الذي يستعمل للشرب ، وأصلها لاتيني » ٠

التخـريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي ٠

٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر ج٧ ٠ وقال الصفدي : « وأنشدني من لفظه لنفسه » ٠

٣ ـ فوات الوفيات ج٢ ص٥٥٧ ٠

٤ ـ طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٦ ـ ٣٧ ٠

٥ ـ النجوم الزاهرة ج١٠ ص١١٢ ٠ وقال ابن تغري بردى بعد هذه الموشحة : قلت : ومذهبي في أبي حيان انه عالم لا شاعر ٠ ولم أذكر هذه الموشحة هنا لحسنها ، بل قصدت التعريف بنظمه بذكر هذه الموشحة ؛ لانه أفحل شعراء المغاربة في هذا الشأن ٠ وأما الشاعر العالم هو الأرجاني وأبو العلاء المعري وابن سناء الملك » ٠

٦ ـ المنهل الصافي ج٣ ص ٣٢٢ أ ـ ٣٢٣ أ ٠

٧ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص٣١٣ ٠

٨ ـ سكردان السلطان لابن حجلة ص١٤٥ ٠

٦٠

وقال يعارض موشح ابن العفيف التلمساني :

عـاذلي في الأهيفِ الأنس

لـو رآه كان قـد عَذَرا[١]

★ ★

رشـاً قـد زانـه الحـور

غُصُنٌ من فوقـه قمـر

قمـر من سُـحْبه الشَّعَر

ثَغَـرٌ في فيـه أم دُرر[٢]

حَال[٣] بين الدر[٤] واللَّعَسِ[٥]

خمـرة مَنْ ذاقَهـا سـكرا

★ ★

رجـةٌ بالرِدْف أم كَسَلُ

ريقـةٌ بالثغـر أم عَسَـلُ

وردة بالخـد أم خَجَـلُ

كَحَلٌ بالعين أم كُحُلُ[٦]

---

(١) كذا في جميع المصادر ، اما في نفح الطيب : لو رآه الان قد عذرا •

(٢) كذا في جميع المصادر ، اما في نفح الطيب : من فيه أم درر •

(٣) كذا في الوافي والفوات ، اما في طبقات الشافعية ونفح الطيب : جال •

(٤) كذا في جميع المصادر ، اما في طبقات الشافعية : الدور •

(٥) اللعس : سواد مستحسن في الشفة • يقال : شفة لعساء •

(٦) الكحل ـ بفتح الكاف والحاء ـ أن يعلو منابت الاجفان سواد خلقة ، أو ان تسود مواضع الكحل •

يا لها من أعين نُعُسِ
جَلَبتْ للناظرِ السَّهرا[7]

★ ★

مُذْ نأى عن مقلتيَّ سَني
ما أذيقا لذة الوسنِ
طال ما ألقاه من شَجَن
عجباً ضدان في بدنِ
بفؤادي جذوةُ القبس
وبعيني الماءُ منفجرا

★ ★

قد أتاني[8] اللهُ بالفَرج
إذْ دنا مني أبو الفرج
قَمَرٌ قد حَلَّ في المُهَجِ[9]

★ ★

كيف لا يخشى من الوهج[10]
غَيره لو صابَه نفسي

---

(7) كذا في الوافي والوفيات ، اما في نفح الطيب وطبقات الشافعية : لناظري سهرا .
(8) كذا في جميع المصادر ، اما في طبقات الشافعية : قد أتانا .
(9) كذا في الوافي وطبقات الشافعية ، اما في فوات الوفيات ونفح الطيب : بالمهج .
(10) كذا في جميع المصادر ، اما في الطبقات : كيف لا تخشى من الوهج .

ظنه من حرّه شررا

★ ★

نصبَ العينينِ لي شَركا
فانثنى والقلبُ قد ملكا
قمرٌ أضحى له فلكا
قال لي يوماً وقد ضحكا :
أَتجيءُ من أرضِ أندلسٍ[11]
نحو مصر تعشق القمرا

★ ★

والموشحة التي لشمس الدين محمد بن التلمساني[12] - رحمه الله - في هذا الوزن هي :

قمر يجلو دجى الغَلَسِ
بَهَرَ الأبصارَ مذ ظهرا[13]
آمِنٌ من شَينةِ الكَلَف
ذبت في حُبِّه بالكلفِ
لَمْ يزل يسعى على تلفي

(١١) كذا في جميع المصادر ، أما في الوافي والطبقات : أنت جئت من أرض اندلس .
(١٢) هو محمد بن سليمان بن علي شمس الدين بن الشيخ عفيف الدين التلمساني . ولد في القاهرة في عاشر جمادى الاخرة سنة ٦٦١هـ ، وتوفي في شهور سنة ٦٨٨هـ بدمشق .
(١٣) يجلو : يكشف ويمحو . الدجى : جمع دجية ، وهي الظلام الشديد . وبهر الابصار : غلبها .

بركاب الدَّلِّ والصَّلَف[14]

آهِ لولا أعينُ الحرسِ
نلتُ منه الوصل مقتدرا

* *

يا أميراً جار مذ وليا
كيف لا ترثي لمن بليا
فبثغر منك قد جُليا
قد حلا طَعْماً وقد حليا
وبما أوتيتَ من كَيَسِ
جُدْ فما أبقيت مصطبرا

* *

بدر تم في الجمال سنِي
ولهذا لقبوه سني
قد سباني لذةَ الوسنِ
بمحيّاً باهرٍ حَسَنِ
هو خِشْفي وهو مفترسي
فارْوِ عن اعجوبتي خبرا

* *

لك خَدٌّ يا أبا الفرجِ

---

(١٤) الصلف ـ بالتحريك ـ التيه والكبر .

زِيـنَ بالتـوريدِ والفـرجِ
وحـديث عاطـــر الارج
كم سبى قلباً بـلا حَـرَجِ
لـو رآك الغصن لـم يمِسِ
أو رآك البـدر لاسـتترا

* *

يا مُذيبـاً مهجتي كمـدا
فُقْتَ في الحسن البدورَ مدى
يا كحيلا كحلـه اعتمـدا
عجبـا أن تبـريء الرمـدا
وبســقم الناظـرين كُسي
جفنُـك السَّحّارُ فانكسـرا

التخـريج :

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي •
٢ ـ أعيان العصر وأعوان النصر ج٧ • وقال الصفدي : وأنشدني من لفظه لنفسـه موشحة عارض بها شمس الدين محمـد بن التلمساني » •
٣ ـ فوا ت الوفيات ج٢ ص ٥٥٩ ـ ٥٦٠ •
٤ ـ طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٣٧ ـ ٣٨ •
٥ ـ نفح الطيب للمقري ج٣ ص ٣١٠ ـ ٣١٣ •

الأبيات

٦١

قال في « غاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب »

الرجز

عرفهما أو نكرن أو عرفن
للوصف أو معموله ولتعربن[1]

معمولَه بضمة أو كسره
فتحة تبلغ ثماني عشره

يقبح ما حذفت منه المضمرا
أو كان فيه مضمر تكررا

ونحو داجي شعره قد وردا
نثراً ونظماً فاترك المبردا

ونصب شعره دليل الجر
والنصب في النثر أتى والشعر

ويمنع اثنانِ كَهمْ بالحَسَنِ
عذارُه لا بالقبيح ذَقنِ

التخريج :

١ – الارتشاف ص ٣٣٦ ب . وقال أبو حيان قبلها وهو يتحدث عن الصفة المشبهة . « وتلقفنا عن شيوخنا ان ما تكرر فيه الضمير

---

(١) من مؤلفات أبي حيان التي قال عنها في اجازته انها لم تكمل حتى سنة ٧٢٨هـ ، أرجوزة في علمي التصريف والاعراب سماها « غاية الاغراب في علمي التضريف والاعراب » . وقد أشار اليها في كتابه « الارتشاف » وكتابه « منهج السالك » ، ونقل السيوطي بعض أبياتها في « الاشباه والنظائر » ، وهذه هي الابيات التي ذكرها أبو حيان في « الارتشاف » .

من المسائل أو عري منه فهو ضعيف ، وما وجد فيه ضمير واحد قوي الا ما وقع الاتفاق على منعه وهو مثل « الحسن وجهه » و « الحسن وجه » ، وقد نظمت هذا الذي تلقفناه في ارجوزتي المسماة « غاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب » ولم تكمل ، فقلت عرفهما أو نكرن ... » .

٢ ـ منهج السالك ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

٦٢

ذكر المتاخرون البواعث على حذف الفاعل ، وقد نظم أبو حيان ذلك في قوله :

الرجز

وحذفه للحول والابهام
والوزن والتحقير والاعظام
فالعلم والجهل والاختصار
والسجع والوفاق والايثار

التخريج :

١ ـ الارتشاف ص ١٦٦ ـ أ .

٦٣

وقال في مسوغات الابتداء بالنكرة :

الرجز

وكل ما ذكرت في التقسيم
يرجع للتخصيص والتعميم

التخريج :

١ ـ منهج السالك ص٤٥ . يقول أبو حيان وهو يتحدث عن مسوغات الابتداء بالنكرة : « وقد ذكرت جملة من هذه المسوغات

في أرجوزتي المسماة بـ « نهاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب » ، ثم ذكرت أن جميعها راجع الى مسوغين اثنين فقلت : وكل ما ذكرت ....

ولولا الغرض في هذا الكتاب الاختصار لاوضحت رجوع كل واحد من هذه المسوغات الى أحد هذين الوصفين اللذين هما : التخصيص ، والتعميم » .

٦٤

قال أبو حيان في حصر جموع التكسير واسماء الجموع واسم الجنس :

الطويل

لجمع قليل في المكسر : أفعل
وأفعِلَة أفعال في كثرة فُعَل

وبالتا وفُعْل والفَعال فعولها
وبالتا هما الفَعال فعّل مع فِعل

وبالتا وفعلى ثم فعلى وافعلاء
فعلان فعلان فواعل مع فعل

فعاليّ فعّالى فعالى فعائل
ومع فعلاء فعلة هكذا نقل

فعالى وما ضاهى وزان فعاعل
وتمت ولاسم الجمع فعلة مع فعل

فعالة فعلان وفعلة مع فعل
وفعلاء مفعولاء مفعلة فعل

وبالخلف فعل مع فعيل وفعلة

وبالفتح عيناً مع فعال فعل فعل

وقاعدة اسم الجنس ما جاء فرده

بيا أو بتا والعكس في التاء قل وقل

التخريج :

١ - الاشباه والنظائر ج٢ ص١٢٦ .

٦٥

قال في ارجوزته « خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان » :

الرجز

اللفْظُ إنْ أريدَ منه الظاهرُ

حقيقةٌ مجازُه مغايرُ

لابدَّ من علاقةٍ تكونُ

بينهما تقربٌ أو تبينُ

مثالُه مقالُ بعضِ العربانِ

« صار الثريدُ في رؤوس العيدان »

أرادَ بالثريدِ حَبَّ السُّنْبُلَه

سماه بالشيءِ الذي يؤولُ لَه

وفي الأعمِّ جعلوا مدارَه

كنايةً تمثيلاً استعارَه

كنايةٌ أنْ تثبت المعنى لما

يكونُ عن وجوهِه قد لزما

كقولهم : يتعبُ هنداً رِدْفُها
كمثل ما يريح دعداً عِطفُها
وذا رمادُ قدره جليل
وذا نجادُ سيفِه طويل
دَلاًّ على الجودِ وطولِ القامه
كلاهما لـذا وذا علامه
وربما يُنْسَبُ ما يراد
لشاملٍ لمن له المراد
نحو : رقاشُ الحُسْنُ في بُرْدَيها
وحبَّذا التفاحُ في خدّيها
والنحوُ واللُّغى لسيبويهِ
في قبةٍ مضروبةٍ عليه
تمثيله كنحو : إنّ بشرا
مُقَدِّمٌ رجلاً مؤخر اخرى
إذا يكونُ فعلُه تردُّدا
في فعلِه أو تركه ما قد بدا
ونحو لم يَبْرح أَبو المناقبِ
يفتل في ذروته والغاربِ
إذا غدا مستسهلاً ما استصعبا
كيما ينال منه ما قد طلبا

وجعلك اسم مُشبهٍ عباره
عن مشبه ، ذلك الاستعاره

بشرط فقدانٍ أداةٍ للشَّبَه
وجعلَكَ الشيءَ لشيء ليس له

نحو محت خطا الدجى كف الصباح
وقد جرى ريق الندى على الأقاح

التخريج :

١ - الارتشاف ص٣٤٠ ب .

٦٦

قال في قصيدته « عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي » :

الطويل

وعشرةُ أفعالٍ تُمالُ لحمزةٍ
فجاءَ وشاءَ ضاقَ رانَ وكمّلا

بزاد وخابَ طابَ خافَ معاً وحا
قَ زاغ سوى الأحزاب مع صادها فلا

ومنها :

تولّوا بأنفالٍ وهودٍ هما معاً
ونور وفي المحنة بهم قد توصلا

تنزّل في حجر وفي الشعرا معا
وفي القدر في الاحزاب لا آن تبدلا

تبرجْن مع تناصرون تنازعوا
تكلم مع تيمموا قبلهن : لا

تلقف أنى كان مَعْ لتعارفوا

وصاحبتيها فتفرّق حصلا

بعمران لا تفرقوا بالنساء أتى

توفاهم تخيرون له انجلا

تلهى تلقونه تلظى تربصو

ن ، زد ولا تعارفوا تميز تكملا

ثلاثين مع احدى وفي اللات خلفه

تمنون مع ما بعد ظلتم تنزلا

وفي بدئه خفف وإنْ كان قبلها

لدى الوصل حرف المد مدّ وطولا

التخريج :

١ - البحر المحيط ج١ ص٥٩ ، وقد ذكر فيه البيتان الاولان ، أما الأبيات الاخرى فقد ذكرت في ج٢ ص١٧ ٣٠

انتهى بعونه تعالى

المصادر والمراجع

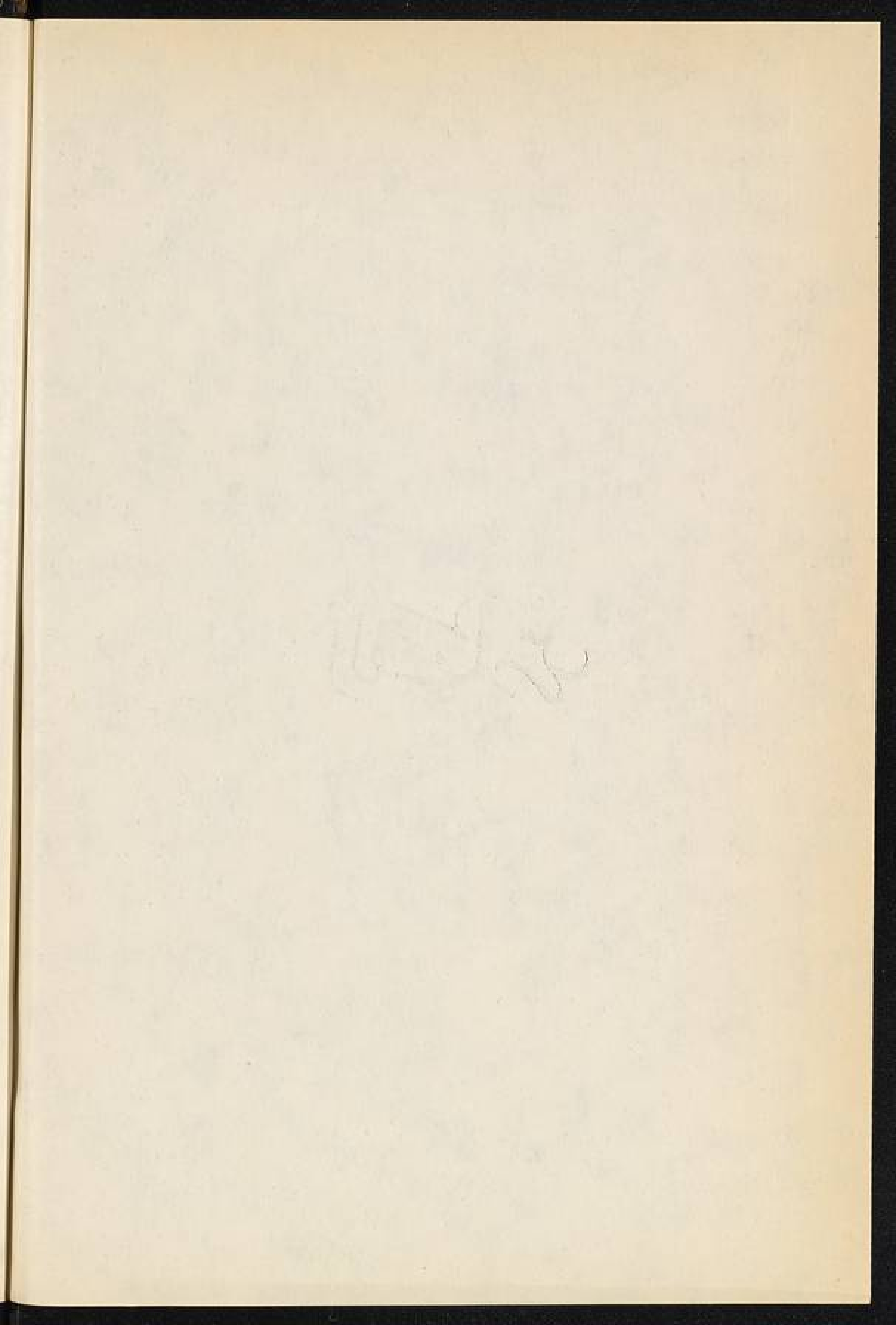
١ ـ ابن نباتة المصري · الدكتور عمر موسى باشا · القاهرة ١٩٦٣ ·
٢ ـ أبو حيان النحوي · الدكتورة خديجة الحديثي · بغداد ١٩٦٦ ·
٣ ـ الاحاطة في أخبار غرناطة · لسان‌الدين بن الخطيب الطبعة الاولى والثانية في القاهرة ·
٤ ـ أدب الدول المتتابعة · الدكتور عمر موسى باشا · بيروت ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م ·
٥ ـ الادب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري · الدكتور علي صافي حسين · القاهرة ١٩٦٤ ·
٦ ـ الادب المصري ـ الدكتور عبداللطيف حمزة · القاهرة ·
٧ ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب · ابو حيان الاندلسي مخطوطة دار الكتب في القاهرة والمصورة المحفوظة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ·
٧ب : أزهار الرياض في أخبار عياض · شهاب‌الدين المقري التلمساني · القاهرة ١٩٣٩م ·
٨ ـ الاشباه والنظائر في النحو · جلال‌الدين السيوطي · الطبعة الثانية حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ ·
٩ ـ الاعلام · خيرالدين الزركلي · الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م ·
١٠ـ أعيان العصر وأعوان النصر · صلاح‌الدين بن أيبك الصفدي · مخطوطة دار الكتب في القاهرة ·
١١ـ البحر المحيط · أبو حيان الاندلسي · الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٢٨هـ ·
١٢ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور · محمد بن احمد بن اياس الحنفي المصري الطبعة الاولى ـ بولاق ـ القاهرة ١٣١١هـ ·
١٣ـ البداية والنهاية في التاريخ · عمادالدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر ابن كثير · القاهرة ـ الطبعة الاولى ·
١٤ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع · محمد بن علي الشوكاني الطبعة الاولى في القاهرة ١٣٤٨هـ ·
١٥ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة · جلال‌الدين السيوطي · تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم · الطبعة الاولى في القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤ ·
١٦ـ تاج التراجم في طبقات الحنفية · قاسم بن قطلوبغا · بغداد ١٩٦٢م ·
١٧ـ تاريخ ابن الوردي · زين‌الدين عمر بن الوردي · القاهرة ١٢٨٥هـ ·
١٨ـ تاريخ الفكر الاندلسي · آنخل جنثالث بالنثيا · ترجمة الدكتور حسين مؤنس · الطبعة الاولى في القاهرة ١٩٥٥م ·

١٩ــ تحفة الانظار في غرائب الامصار · ابن بطوطة · القاهرة ــ ١٣٥٨هـ ــ ١٩٣٨م ·
٢٠ــ جلاء العينين في المحاكمة بين الأحمدين · نعمان خيرالدين بن الآلوسي البغدادي · القاهرة ١٢٩٨هـ ·
٢١ــ الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول · الدكتور عبداللطيف حمزة · الطبعة الاولى ــ القاهرة ·
٢٢ــ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة · جلال الدين السيوطي ١٢٩٩هـ ·
٢٣ــ الحلل السندسية في الأخبار والآثار الاندلسية · الأمير شكيب أرسلان · الطبعة الاولى في القاهرة ١٣٥٨هـ ــ ١٩٣٩م ·
٢٤ــ الدارس في تاريخ المدارس · عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي · تحقيق جعفر الحسني · دمشق ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م ·
٢٥ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة · أحمد بن علي العسقلاني · الطبعة الاولى بحيدر آباد الدكن ١٣٥٠هـ ·
٢٦ــ روضات الجنات ــ ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري طبعة حجرية في ايران ·
٢٧ــ سكردان السلطان · احمد بن يحيى بن أبي بكر الشهير بابن حجلة المغربي التلمساني ·
٢٨ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب · عبدالحي بن العماد الحنبلي · القاهرة ١٣٥١هـ ·
٢٩ــ شرح ديوان كعب بن زهير · طبعة دار الكتب في القاهرة ١٣٦٩هـ ــ ١٩٥٠م ·
٣٠ــ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل · شهاب الدين احمد الخفاجي المصري · تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي · الطبعة الاولى ــ القاهرة ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢ ·
٣١ــ الطالع السعيد · الادفوي · تحقيق سعد محمد حسن · القاهرة ١٩٦٦م ·
٣٢ــ طبقات الاولياء · ابن الملقن · مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ·
٣٣ــ طبقات الشافعية · جمال الدين الاسنوي · مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة في بغداد رقم ٩٧٠ ·
٣٤ــ طبقات الشافعية الكبرى · تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي · الطبعة الاولى في القاهرة ·
٣٥ــ عصر سلاطين المماليك · الدكتور محمود رزق سليم · القاهرة ١٩٦٥ ·
٣٦ــ غاية النهاية في طبقات القراء · شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري · القاهرة ١٣٥٢هـ ــ ١٩٣٣ ·
٣٧ــ الغيث المنسجم في شرح لامية العجم · صلاح الدين بن أيبك الصفدي · القاهرة ١٢٩٠هـ ·

٣٨ـ فوات الوفيات · محمد بن شاكر بن احمد الكتبي · تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد · القاهرة ١٩٥١م ·
٣٩ـ القاموس المحيط · مجدالدين الفيروزابادي ·
٤٠ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة · لسان‌الدين بن الخطيب · تحقيق الدكتور احسان عباس · بيروت ١٩٦٣م ·
٤١ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل · محمود بن عمر الزمخشري · الطبعة الثانية في القاهرة · ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م ·
٤٢ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون · الحاج خليفة مصطفى بن عبدالله · استانبول ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م ·
٤٣ـ لسان العرب · ابن منظور المصري ·
٤٤ـ المختار من صحاح اللغة · محمد محيي‌الدين عبدالحميد ومحمد عبداللطيف السبكي · الطبعة الثالثة في القاهرة ·
٤٥ـ المختصر في اخبار البشر · عمادالدين اسماعيل أبو الفدا · الطبعة الاولى في القاهرة ·
٤٦ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة · احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده · الطبعة الاولى في حيدرآباد الدكن ١٣٢٨هـ ·
٤٧ـ الممتع المقتضب في سيرة خير العجم والعرب · شهاب‌الدين الشافعي المقدسي · مخطوطة المكتبة الظاهرية في دمشق (٧ سيرة) ·
٤٨ـ من شعر أبي حيان الاندلسي · جمعه وحققه الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي · بغداد ١٩٦٦ ·
٤٩ـ منهج السالك في الكلام على الفية ابن مالك · أبو حيان الاندلسي · تحقيق سدني جليزر · نيوهافن ١٩٤٧م ·
٥٠ـ المنهل الصافي · جمال‌الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي · مخطوطة دار الكتب في القاهرة ·
٥١ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة · جمال‌الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي · دار الكتب في القاهرة ١٣٦١هـ ـ ١٩٤٢م ·
٥٢ـ نظرات في ديوان أبي حيان الغرناطي · بحث للاستاذ سعيد أعراب نشر في مجلة دعوة الحق المغربية (العدد الخامس ابريل ١٩٦٧ والعدد السادس مايو ١٩٦٧) ·
٥٣ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان‌الدين بن الخطيب · أحمد بن محمد المقري التلمساني · تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد · القاهرة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م ·
٥٤ـ نكت الهميان في نكت العميان · صلاح‌الدين خليل بن ايبك الصفدي · القاهرة ١٣٢٨هـ ـ ١٩١١م ·

٥٥ـ النهر الماد من البحر المحيط ، أبو حيـان الاندلسي • مطبوع على حاشية البحر المحيط •
٥٦ـ هدية العارفين • اسماعيل باشا البغدادي • استانبول ١٩٥٥م •
٥٧ـ الوافي بالوفيات • صلاح‌الدين بن أيبك الصفدي • مصورة مخطوطة المتحف البريطاني (محفوظة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد) •

الفهارس



الموضوعات

أبو حيان

حياته وآثاره وشعره

٩ ــ ١٠٠

ديـوان

أبي حيان الاندلسي

١٠٣ ـ ٤٢٠

تكملة الديوان

٤٢١ ـ ٥٠٦

قصائد الديوان

الهمزة

البـاء

التـاء

(*) رتبت هذا الفهرس حسب رقم القصيدة فأولها فقافيتها فوزنها فرقم الصفحة .

الذال

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

العين

الغين

الفـاء

القاف

الميم

النون

الهـاء

الواو

اليـاء

تكملة الديوان

الهمزة

البـــاء

التـــاء

الثـــاء

الحـاء

الدال

الراء

النون

اليـــاء

الموشحات

الأبيات

الأشعار*

الهمزة

البـــاء

الجيم

الدال

الراء

(*) هي ما ورد في الديوان لغير أبي حيان ، وقد رتبت حسب اول البيت فقافيته فوزنه فقائله فرقم الصفحة .

الميم

صنائع	النعما	السريع	يونس المغربي	٤٥١،٥٣

النون

لو كنت	جبني	البسيط	الصفدي	٢٥

الهـاء

رضيت	وجيها	الطويل	الزجاج	١٣

اليـاء

قلدت	بهي	الكامل	الذهبي	٤١٦
لولا	الدنيا	السريع	القيسي	٤١٧
فخراً	علي	الكامل	مظفر	٤١٧

الأعلام

الهمزة

البــاء

التاء

الجيم

الحـاء

الخـاء

الدال

الـدال

الـراء

الـزاي

السين

الشين

الصاد

الطاء

العين

الفـــاء

القاف

اللام

الكاف

الميم

النون

الهاء

الياء

الألف

الكتب

الهمزة

البـاء

الغين

الفـاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الأماكـن

الخطأ والصواب

الخطـا	الصواب	الصفحة	السطر
تضخم	تفخيم	٢٧	١٧
كمتلي	كمثلي	٩٣	١٧
سافح	سابح	١٥٢	١٦
كيـد	كبـد	١٥٦	١٣
فاحمة	فاحمه	١٧٥	١٠
فتكحل	فكحل	١٧٩	١٨
تلبس	تلبس	١٧٩	١٨
نابيات	نانيات	١٩٨	٩
فيدوور	فيدور	١٩٩	٣
تلت	تلت	٢٠١	١٥
يسرى	يسرى	٢٢٢	٩
العذرة	الشعر المضفور	٢٣٢	هامش ٦
االاسي	الاسى	٢٣٦	١٢
«مضى	لعله (معنى)	٢٤١	١٦
العذرة	الشعر المضفور	٢٤٦	هامش ٢
فواده	فوداه	٢٦٣	٤
الحرم	الرحم	٢٦٨	١٤
أبوك	أبوك	٣٢٣	١٢
١٦٩	١٦٨	٣٢٩	٥
١٦٨	١٦٩	٣٢٩	١٦
مدائحم	مدائحهم	٣٣١	٤
امتعضت	امتعضت	٣٤٧	١٠
قلة	قبلة	٣٥٨	١
يجفلن	يحفلن	٣٦١	١٣
أو حشت	أُحشت	٣٧٠	٥
يقضون	يقضون	٣٨٤	١
النشع	النفع	٣٩٦	١٥
(١)	(٥)	٤٠٣	١٧
(٢)	(١)	٤٠٤	هامش ١
الناضر	الناظر	٤١٤	٣
١	٢	٤٢٧	١٧
١	٢	٤٢٧	هامش ٢
وذكر ان	تحذف هذه العبارة لانها فى غير مكانها	٤٦٠	٥
——	تضاف الى هامش (١) هـذه العبارة : «كع : جبن وتاخر» .	٤٦٨	هامش ١

ملاحظة :

صور معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية نسخة الديوان الفريدة من المكتبة الوطنية بالرباط في مراكش ، وهي التي عثر عليها في مكتبة وزان .

انتهى طبع ديوان أبى حيان فى ٣٠ مايس ١٩٦٩ ومن الله التوفيق .

